



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة وهران 1 - أحمد بن بلة -



كلية الآداب والفنون

قسم اللغة والأدب العربي

**الأبعاد التداولية وأثرها في فهم الخطاب القرآني لدى
الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير أنموذجا -**

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات النصية

إشراف:

أ. د. ملياني محمد

إعداد الطالب:

دايد عبد القادر

أعضاء لجنة المناقشة:

ناصر سطمبول	أستاذ محاضر "أ"	جامعة وهران 1	رئيسا
محمد ملياني	أستاذ محاضر "أ"	جامعة وهران 1	مشرفا ومقررا
نور الدين زراي	أستاذ محاضر "أ"	جامعة وهران 1	عضوا مناقشا
عبد الله مفلح	أستاذ محاضر "أ"	جامعة غليزان	عضوا مناقشا
زغودة إسماعيل	أستاذ محاضر	جامعة الشلف	عضوا مناقشا
معمرفاس	أستاذ محاضر "أ"	جامعة الشلف	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2022 – 2023 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

قال النبي صلى الله عليه وسلم " لا يشكر الله من لا يشكر الناس "

فمن منطلق العمل بهذا الحيث النبوي الشريف وإقرارا بالفضل لذويه، وردًا لبعض المعروف إلى مستحقه، أتوجّه بالشكر إلى المولى - جلّ وعلا - الذي بيده التوفيق، وهو المعين والرفيق، وبه أستعين على التدقيق والتحقيق، ثم الشكر والتقدير إلى أستاذي المشرف الدكتور "ملياني محمد" الذي لم يأل جهدا في إسداء التوجيهات والملاحظات والنصائح، منذ أن كان هذا البحث فكرة حتى اكتمل واستوى على سوقه، فجزاه الله عني خير الجزاء، وأجزل له المثوبة والعطاء.

كما أسجل شكري وامتناني للأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة المناقشة الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذا العمل، وأسهموا في تقويم اعوجاجه بملاحظاتهم القيمة، وإثرائهم بتوجيهاتهم السديدة للوصول إلى الغاية المنشودة، فجزاهم الله خيرا.

ومسك الشكر وختامه أرفه إلى كل من كان له الفضل بعد الله - عز وجل - في إخراج هذا البحث في أحسن حلة وأجمل طلّة، ومن بين هؤلاء زملائي في الدفعة وأخص بالذكر محمد هاشمي بلحبيب، دون أن أنسى من رافقني في الكتابة والاعتناء بالأطروحة وأقصد في هذا المقام أخي - فارس بلوني - فجزاهم الله خيرا.

ب. دايد عبد القادر

إهداء

بكل الحب والوفاء وخالص البذل والعطاء أهدي ثمرة جهدي:

✓ إلى روح والدي النازلة عليه سحائب الرحمة وعظيم الرضوان.

✓ إلى والدتي الكريمة أمد الله في عمرها ومتعها بالصحة والعافية.

✓ إلى إخوتي وأهلي وكل أحبائي.

✓ إلى كل من علّمني حرفاً أو أسدى إليّ نصحاً.

✓ إلى كل الذين يذكرهم قلبي ونسيهم قلمي.

إليهم جميعاً أهدي هذا العمل المتواضع وفاء وتقديراً.

ب. دايد عبد القادر



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي رفع أهل العلم إلى أعلى الرّتب، ونضّر وجوههم برواية سيّد العجم والعرب، وجعل الاتصال به أشرف سبب، نحمده سبحانه على ما تسلسل من آلائه وتواصل من نعمائه، ونصلي ونسلم على نبينا محمد خير البشر، ما اتصلت عين بنظر أو سمعت أذن بخبر، وعلى آله وأصحابه الأبرار وأتباعه الأخيار ومن اقتفى أثرهم إلى يوم القرار أمّا بعد:

إنّ التداولية منهج لساني جديد يُعنى بدراسة اللّغة حال استعمالها، ويهتم بدراسة مقاصد المتكلم بوصفه طرفاً في الخطاب ويمتلك سلطة القول، وبالمخاطب بامتلاكه أدوات التلقي وكذا بالمقصدية باعتبارها منطقة جامعة بين المتكلم والسّامع، وما يشهده البحث اللّساني من تطورات يحتمّ علينا النّظر في معطياته، ولا سيما ما جاوز حدود اللّغة وأنساقها التعبيرية ليثمر نظريات لسانية مدعّمة بلامح فلسفية أو اجتماعية أو نفسية، هذا المنهج التداولي ولد نتيجة تلاقي اللسانيات مع العلوم الأخرى، قد تجاوز التحليلات التي كانت تعالجها البنية التحليلية والتي كنت تقف عند حدود الوصف الظاهري لعناصر الملفوظ .

وقد توصّل معظم الباحثين العرب في دراساتهم إلى مدى اهتمام العلماء القدامى بالجانب التداولي في مصنّفاتهم ومؤلفاتهم المتنوعة، النحوية والبلاغية والأصولية وغيرها، وبيّنوا أهمية البعد التداولي وأولوه عناية بالغة في تأويل نصوص القرآن الكريم، وربطها بالمقام الخارجي المتمثّل في أسباب النزول، ومعرفة السّابق واللاحق وأثرهما في الوصول إلى المعنى لذا كان عمل المفسرين عملاً تداولياً بامتياز، من خلال جنوحهم للسّياق وبيان أهميّته في توجيه النّصوص والتفاعل بينها.

إنّ الخطاب القرآني خطاب نبعت قيمته من قداسته فامتزج بالحياة والأحكام قبل أن يكون نصّاً بلسان قوم، فهو اللّسان العربي المبين الذي أعجز بلفظه ومعناه أئمة العلم والبلاغة، فما يفتأ المسلمون ينهلون من معينه، ويسبرون أغوار إعجازه، حتى ملك النفوس والقلوب، وجرى على الألسنة فقومها وعدّلها وهذبها، فانطلقوا يبحثون في غريبه ومعانيه.

ظل النص القرآني نصا ممتنعا على أن تأتي بمثله ألسنة الناس، وأمام هذا الإعجاز انبرى اللغويون لدراسته والنظر في وجوه ذلك الإعجاز فدارت حوله العلوم لغة وفقها، بل خصصت له علومه التي لا تكون إلا له، ولقد سار اللغويون العرب على مرّ التاريخ العربي في دراسة اللغة على نمط واحد، دون الخروج على قواعد النحو والبلاغة، مستغلين معارفهم في تطبيقها على النص القرآني، ولم تكن تلك ظاهرة مرضية، بل كانت ظاهرة صحية، فرضت وجودها في شكل مساجلات واستنباطات واجتهادات أدّت إلى هذا الزخم الفكري الذي نشهد آثاره في فكر الأمة العربية على اختلاف توجهاتها.

وفي العصر الحديث قام الباحثون بالتطبيق على النص القرآني من كل ما تجود به المعرفة الإنسانية حول اللغة، واستمرّ هذا الامتداد لدراسة الظاهرة اللغوية وربطها بالخطاب القرآني إلى يومنا هذا، وما كان ذلك ليكون إلاّ لأنّه استقر في ذهن الوعي الفكري الذي بيّن مدى التزاوج بين اللغة العربية والنص القرآني، بل يتعدى ذلك الى علاقة التماهي والتداخل بحيث يصعب على المتصدي لدراسة الظاهرة اللغوية تجريدتها من الخطاب القرآني الحامل المادي لها.

ولمّا كان القرآن الكريم الأساس الذي قامت عليه جملة الدراسات العربية، ونخص بالذكر هنا الدراسات التداولية، لوجود مقاربة بين التداولية وخطاب التفسير في الرؤية والإجراء، فالتداولية تدرس اللغة في أثناء الاستعمال بوصفها ظاهرة خطابية تواصلية تحوي قوة إنجازية، وخطاب التفسير مبني على المقاصد بحسب الاعتقادات من جهة، ومتداولي الخطاب من جهة أخرى.

وتجدر الإشارة إلى أن ما أنجزه الدرس اللساني الغربي المعاصر في بعض القضايا لا ينأى بعيدا عمّا أنجزه التراث العربي، والمتأمل في مدونات التراث يلحظ مادة ثرية اشتغلت على النص بكل مكوناته، رغم غياب التطابق الاصطلاحي بين المادتين التراثية والغربية الحديثة إلا أن حضور كثير من المفاهيم في المصنفات التراثية يكاد يشاكل إلى حد بعيد ما حققه الدرس اللساني الغربي المعاصر.

ولم يكن اختياري في الحقيقة لهذا المجال من باب المصادفة، وإنما كان وليد اهتمام سابق، فقد شدّني دراسة تلك المفاهيم التراثية منذ أن انتسبت إلى مشروع اللسانيات النصية في مرحلة الماجستير، وما شجّعني على توجيه اهتمامي لهذه القضايا هو الرغبة في البحث عن التصورات والمفاهيم والأفكار التي اعتمدها علماءنا في مدوناتهم، ومقارنتها بما توافر في الثقافة اللسانية المعاصرة من مفاهيم ومصطلحات محاولة استثمارها إيجابياً.

وتبلور هذا الإحساس لما كنت في مرحلة الماجستير عند وقوفي على مدونة تراثية تزخر بمادة علمية غزيرة، وتناولتها بالدراسة تداولياً، حيث عكفت على مدونة الكشف للزمخشري وتناولت السياق وأثره في فهم الخطاب القرآني لدى الزمخشري، فتبين لي أن أتوسع في هذا الموضوع بتسليط الضوء على تلك الكنوز الثمينة من خلال مدونة تفسيرية حديثة يعتبر صاحبها من أبرز المفسرين تأثراً بالزمخشري، ويلحظ ذلك من خلال ورود هذا الاسم كثيراً في تفسيره وقد عُذ فوجد في أكثر من ألف موضع، وكان هذا من مسوغات الإقدام على صياغة البحث صياغة نهائية، وهي " الأبعاد التداولية وأثرها في فهم الخطاب القرآني لدى الطاهر بن عاشور - التحرير والتنوير أنموذجاً -".

ولعل سائلاً يسأل لماذا وقع الاختيار على هذا التفسير دون غيره من التفسيرات، وللإجابة نقول: وقع الاختيار عليه، لأنه موسوعة معارف تجسد لفكر التراثي الحي المنفتح على الحاضر، ولكونه يمثل آخر المحاولات المتكاملة، وإذ ابتعد صاحبه عن المتابعة ليكون له رأي وموقف منفرد به في أغلب صفحات التفسير، فضلاً على أنه غني بتحليلات نحوية ولغوية تخضع لأبعاد تداولية على وفق وغرض المتكلم، وإفادة المخاطب وعلمه أو جهله إلى غير ذلك.

أمّا عن أسباب اختيار الموضوع فتتمثل في كون البحث في مجال الدراسات اللسانية التداولية ما يزال في بداياته، وفرص البحث فيه ما تزال ممكنة وثمرّة، وكذا الميل الشخصي إلى هذا النوع من الدراسات التي تزوج بين الدرس اللساني التداولي الحديث والتراث اللغوي العربي بعامة، والخطاب القرآني على وجه الخصوص، ثم محاولة الكشف عن الأبعاد التداولية فيه من

خلال مدونة مفسره من الموسوعية ما يجعل الباحث يرغب في الاستفادة من علومه المتنوعة في ميادين اللغة والمقاصد.

تكمّن أهمية هذا الموضوع في كونه يطمح الى دراسة الخطاب القرآني بمنظور تداولي، من خلال تتبّع أبعاده التّداولية، وأهمّ القضايا التي ينبني عليها الدّرس التداولي، وهي تتمثّل في أفعال الكلام، والحجاج، الاستلزام الحواري، والإشاريات، والوقوف عليها من خلال المنجز العربي القديم، والدّرس اللّساني الغربي الحديث، ثم رصدها في الخطاب القرآني وتفسيره من خلال المدوّنة التي وقع عليها اختيارنا للطّاهر بن عاشور المعنونة بـ: "التّحرير والتّنوير".

وسنحاول من خلال هذا البحث الإجابة على العديد من الإشكالات، ومن أبرزها:

• هل تعامل العرب القدماء مع المفاهيم التداولية وأبعادها في جُلّ مصنفاتهم ودراساتهم بوعي؟

• إلى أي مدى يمكن لتلك الإسهامات المفاهيمية المرتبطة بالأبعاد التداولية الوصول الى تحقيق فهم الخطاب القرآني ومقاصده؟

• فيم يتجلى أثر الشبكة المفاهيمية للتداولية في فهم الخطاب القرآني؟ .

• إلى أي مدى استطاع الطاهر بن عاشور مقارنة النص القرآني من وجهة تداولية؟

وللإجابة عن هاته الإشكالات جاء بحثنا وفق خطة مكوّنة من: مدخل وأربعة فصول تسبقها مقدمة وتتلوها خاتمة ومدخل.

جاء المدخل بعنوان: "إضاءات على الطّاهر بن عاشور وتفسيره" تناول قيمة تفسير الطاهر بن عاشور وميزته من بقية التّفاسير، وأهم الخصائص اللّغوية التي أودعها المفسّر في مدوّنته، ثم وقفنا على بعض المفاهيم التداولية لهذا المصطلح وكذا مصطلح الخطاب لغويا واصطلاحيا ، ثم مهدت للأفق التداولي لدى ابن عاشور، والأسلوب الذي اعتمده في مدونته .

أما الفصل الأول فجاء بعنوان : "تجليات الأفعال الكلامية في التحرير والتنوير" وقسمته الى ثلاثة مباحث، خصّص المبحث الأول منه "لظاهرة الأفعال الكلامية في الدرس اللغوي العربي" القديم مبينا أن نظرية الأفعال الكلامية تندرج ضمن الظاهرة الأسلوبية المعنونة بالخبر والإنشاء، وركزت في المبحث الثاني على "ظاهرة الأفعال الكلامية في الدرس اللغوي العربي"، مشيرا فيه إلى موطن الاتفاق بين جهود "أوستين" (Austin) و"سيرل" (Searle)، وبيان جهود "أوستين" (Austin) الرائدة في هذا المجال، وخصّص المبحث الثالث لدراسة "تجليات الأفعال الكلامية في القرآن الكريم من خلال مدونة - التحرير والتنوير - حسب تصنيف - سورل - وكيف أن الطاهر بن عاشور أظهر مقدرة على تحليل النصوص القرآنية انطلاقا من استفادته من الدرس اللساني الممزوجة بكفاءته وبراعته في استنتاج النصوص انطلاقا من فهمه العميق لعلماء التراث.

أما الفصل الثاني فجاء بعنوان : "المنحى الحجاجي في التحرير والتنوير" وقد قسمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، تحدثت في المبحث الأول عن "مفهوم الحجاج في الدرس العربي"، حيث عرفت مصطلح الحجاج لغة واصطلاحا، ثم تطرقت إلى مفهوم الحجاج في الدرس العربي القديم مع ذكر أهم العلماء الذين تناولوا هذا المصطلح في مصنفاتهم كـ "الجاحظ" و "ابن وهب"، وقد أبرزت أن نظرة القدماء للحجاج كانت متمحورة حول الجدل والمناظرة وما ينتج عنهما من إفهام وتأثير وإقناع، ثم أعقبت هذا بالحديث عن الحجاج في الدرس العربي الحديث مشيدا بكل من جهود "طه عبد الرحمن" و "محمد العمري" ... وغيرهم، وكيف أنّهم جعلوا الحجاج علما مستقلا متجاوزين النظرة القديمة لمفهومه.

وفي المبحث الثاني تحدثت عن "مفهوم الحجاج في الدرس الغربي قديمه وحديثه"، وأوضحت كيف استفاد الغربيون المعاصرون من التراث اليوناني محاولين بعثه من جديد خصوصا ما قدّمه السفسطائيون "أرسطو" و"أفلاطون"، هذه الاستفادة التي أثمرت ميلاد العديد من النظريات الحجاجية، ومن أبرزها نظرية "الحجاج اللغوي" التي وضعها كل من "أنسكومبر" (Anscombe) و "ديكرو" (ducrot).

أما المبحث الثالث فقد حاولت إسقاط الآليات اللغوية لتحليل الخطاب الحجاجي على النص القرآني من خلال معالجات الطاهر بن عاشور في تفسيره، الذي انطلق من رؤية جادة مفادها أن الخطاب القرآني قوامه الحجة كونه يهدف إلى الإقناع.

والفصل الثالث وسمته "الاستلزام الحواري في التحرير والتنوير" قد جاء هو الآخر في ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول "ظاهرة الاستلزام الحواري في الدرس اللغوي العربي" وخصوصا عند "السكاكي" (ت 201هـ) في تناوله لثنائية - الخبر والانشاء - وما تخرج إليه من معان وثنوان مستلزمة.

وفي المبحث الثاني تطرقت إلى دراسة "الاستلزام الحواري في الدرس التداولي الغربي" من خلال أعمال "بول غرايس" (Paul Grice) وما تضمنته من قواعد أطلق عليها "قواعد التعاون" بين أطراف العملية التواصلية للوصول إلى الغاية المنشودة والمقاصد المعهودة من عملية التخاطب.

وأما المبحث الثالث من هذا الفصل فخصصته لرصد وتتبع مواطن الظاهرة في مدونة الطاهر بن عاشور، الذي ارتكز على أساسيات ما تبنته التداولية في هذا المقام لفهم الخطاب وتوجيه مقاصده.

وأما **الفصل الرابع** والأخير أطلقت عليه: "الإشارات في التحرير والتنوير" والذي لم يختلف عن سابقه كونه يتضمن ثلاثة مباحث؛ المبحث الأول خصصته للحديث عن "الإشارات في التراث" وتحديدًا عند النحاة ثم الفلاسفة المسلمين ثم جمهور المفسرين، وفي المبحث الثاني عرضت الإشارات بأنواعها الخمسة عند الغربيين كدراسة تأصيلية، والمبحث الثالث حاولت رصدها في المدونة من خلال معالجات ابن عاشور.

أما **الخاتمة** فقد تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ثم ملحقًا عرّجت فيه على سيرة ابن عاشور ونشأته العلمية، وأهم المناصب التي تقلدها ثم أبرز مؤلفاته.

ومن الأهمية بمكان أن أشير إلى من سبقني من الدارسين في اعتماد تفسير- التحرير والتنوير- ميدانا من ميادين مقاربتهم التداولية ومنها:

❖ الأفق التداولي نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية، د. إدريس مقبول.

❖ الخطاب القرآني: دراسة في البعد التداولي، د. مؤيد آل صوينت.

أما عن الدراسات التي أفدت منها في هذا الميدان فأذكر أبرزها:

❖ التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي للدكتور: مسعود صحراوي.

❖ الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية للدكتور: خالد ميلاد.

وخضوعا لطبيعة الموضوع التي تفرض على الدارس تتبّع المفاهيم التداولية في المدونات العلمية التراثية، والمتصلة بالإسهامات التداولية التراثية ومقارنتها بالمفاهيم والمصطلحات في المنجز اللساني المعاصر، اتبعت المنهج الوصفي التحليلي التاريخي المقارن الذي أتاح لي إمكانية الوقوف على مجموعة من المسميات التي تؤدي معنى المفاهيم التداولية في الثقافة اللسانية الغربية المعاصرة، أو تقترب منها، أي رصد ما يتفق منها مع المصطلح في المفهوم، ثم رصد طريقة تناوله.

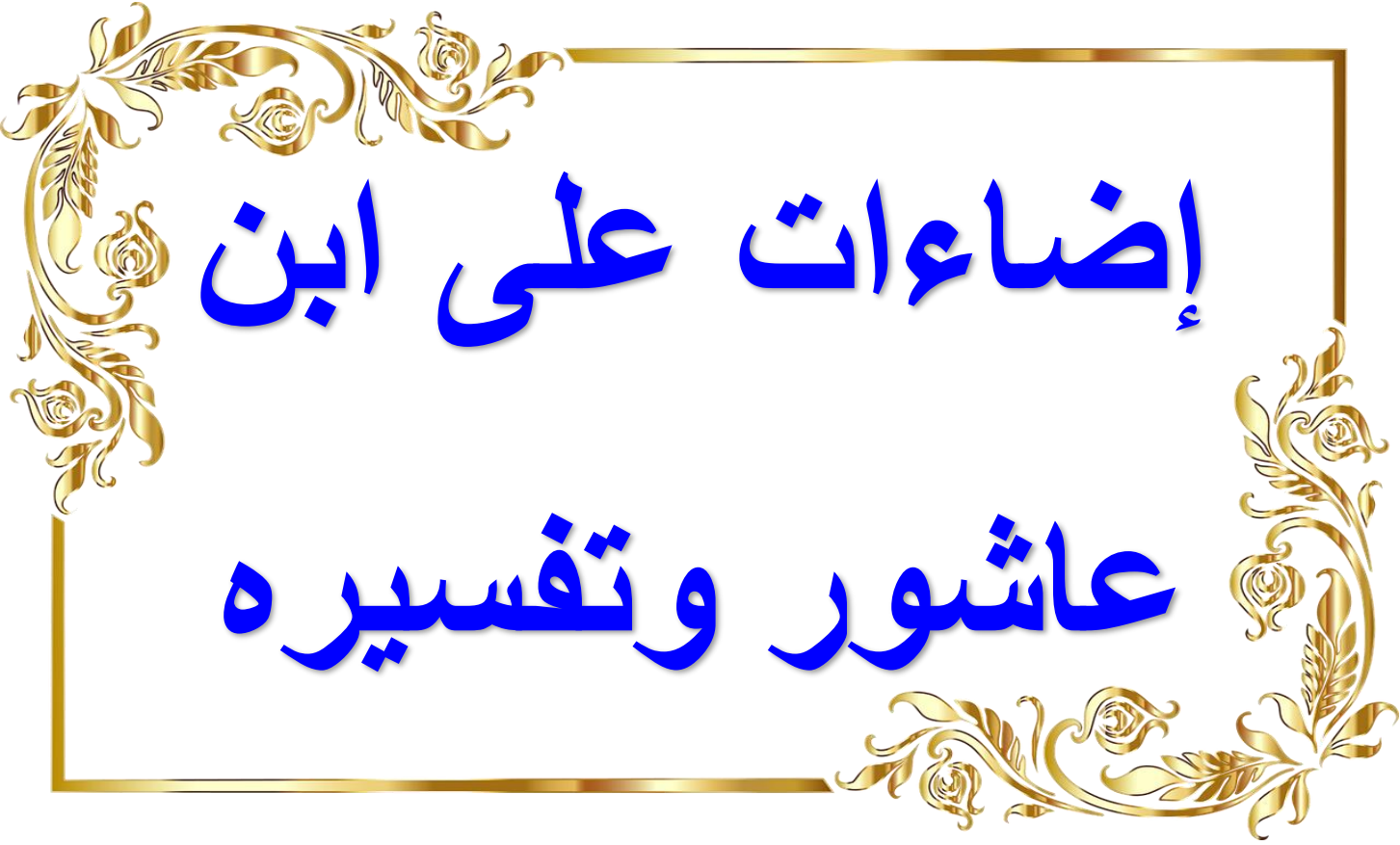
ومن الصّعوبات التي واجهتني أثناء البحث واعتضت سبيلي قلة المراجع المتخصصة في هذا النوع من الدراسة بسبب حداثة الموضوع، وكذا خصوصية المدونة وكيفية تطبيق آليات المنهج التداولي عليها، دون أن ننسى أسلوب الطاهر بن عاشور الفذ وقدرته الفائقة في التحليل والتعامل مع النصوص، وتفسيره يغني الباحث عن العودة إلى التفسير على كثرتها وتنوعها.

وقبل الختام لا يفوتني أن أتقدم بأسمى عبارات الشكر والامتنان لأستاذي الفاضل المشرف على هذا البحث، الأستاذ الدكتور: محمد ملياني على ما أولانيه من عناية وتوجيه طيلة فترات البحث، فأسال الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناته.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الخالص إلى السادة الخبراء المحترمين ، أعضاء اللجنة المناقشة الذين تحملوا قراءة هذا البحث الذي سيحيا من جديد بفضل ملاحظاتهم القيّمة وتوجيهاتهم العلمية الرصينة.

وفي الختام أقول: إنني قدمت هذه الأطروحة، ولا أدعي فيها الكمال فألتمس العذر من أساتذتي، إن جانب الصواب عمّا رمت الإفصاح عنه، أو خانني دقة التعبير فيها، ولكن حسبي أنني سعت، فإن وفقت فذلك من فضل الله ونعمة أسبغها علي، وإن كانت الأخرى فعذري أنني بشر، والكمال لله وحده، والحمد لله رب العالمين.

مدخل



إضاءات على ابن

عاشور وتفسيره

مدخل:

يُعتبر تفسير الطاهر ابن عاشور (ت 1393هـ) الذي أفنى فيه أربعين سنة تفسيراً موسوعياً – وإن كان في نظر مؤلفه مختصراً¹ – إذ تضمّن علوماً متنوّعة ومعارف مختلفة، فلذلك يمكن القول: إنّ دائرة معارف متخصصة في علوم الشريعة وعلوم اللغة، إذ أحاط صاحبه باللغة العربيّة، فله فيها استنباطات عجيبة، وتأمّلات تؤكّد مدى تعمّقه في القضايا التي يعالجها و سبره المسائل التي يخوض فيها²، وهذا فيه دليل على الإمامة في العلوم اللّغويّة و الدّينيّة، لذا كان لزاماً الاطّلاع على هذا التفسير والعناية به، و سنبداً من عنوانه، وقد أشار ابن عاشور في المقدّمة إلى أنّه قد سمّى تفسيره: "التحرير والتنوير"، وهذا العنوان قد اختصره من تفسير أوسع إذ قال: "وسمّيته" **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد** واختصرت هذا الاسم بـ (التحرير والتنوير) من التفسير³، وقد بيّن - رحمه الله - في التمهيد الغاية من تأليف هذا التفسير بقوله: "طمعاً في بيان نكت من العلم، وكنيات من التشريع، ونفاصيل من مكارم الأخلاق وكان يلوح أنموذجاً من جميعها من خلال تدبره، أو مطالعة كلام مفسره"⁴، وأوضح في موضع آخر الغرض منه التّوجه إلى القرآن الكريم هو الفهم الجديد برؤية مقصدية وهدف إصلاحية، حيث يؤكّد "أن الغرض الأكبر للقرآن هو إصلاح الأمة بأسرها"⁵.

1 ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1984، ج 1، ص 8.

2 ينظر: د. حواس بري، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت 2002، ص 38.

3 الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 7.

4 المرجع نفسه ج 1، ص 5.

5 المرجع نفسه، ج 1، ص 8.

لم يجد ابن عاشور ضالته في كتب التفسير الموجودة لأنه اعتبرها كثيرة النقل والحشو وقليلة الفائدة فهي (وإن كانت كثيرة فإنك لا تجد الكثير فيها إلا عالة على كل كلام سابق)¹، فهو يرى أن القرآن الكريم يتطلب التجديد في الرؤية لتحقيق فهم جديد فإن (الاقتصار على الحديث المعاد تعطيل للنص القرآني الذي ماله من نفاذ)²، فنظرته — رحمه الله — إلى سبب تأخر علم التفسير واضحة، فهو يرى أن السبب يعود إلى الوقوف عند النقل وإن كان ضعيفا أو فيه كذبا، وترك الرأي ولو كان صوابا، وانتقد بذلك الكثير من المفسرين والتفاسير، وقد أشار في بعض المواضع إلى إفادته من كلام المتقدمين اعترافا بجهودهم فقال: "وهناك حالة أخرى ينجر بها الجناح الكبير، وهي أن نعلم إلى ما أشاده الأقدمون، فنهذب ونزيده وحاشا أن ننقضه أو نبينه، علما بأن غمط فضلهم كفران للنعمة وبعد مزايا سلفها ليس من حميد خصال الأمة"³.

وذكر في موضع آخر مراجعته السابقة التي شملها تفسيره فذكر أهمها في نظره، فكانت بمنزلة مراجعته الأساسية التي اعتمدها في تفسيره فقال: "وإن أهم التفاسير تفسير الكشاف، والممرر الوجيز لابن عطية، ومفاتيح الغيب لغفر الدين الرازي، وتفسير البيضاوي المُلَفَّص من الكشاف ومن مفاتيح الغيب بتحقيق بدیع، وتفسير الشهاب الألوسي، وما كتبه الطيبي والقزويني والقطب التفتازاني على الكشاف، وما كتبه الففاجي على تفسير البيضاوي، وتفسير أبي السعود، وتفسير القرطبي، والموجود من تفسير محمد بن عرفة التونسي من تقييد تلميذه، وهو بكونه تعليقا على تفسير ابن عطية أشبه منه بالتفسير، لذلك لا يأتي على جميع أي القرآن وتفسير الأحكام، وتفسير الإمام

1 ينظر: المرجع السابق، ج 1، ص 7.

2 ينظر: المرجع نفسه، ج 1، ص 7.

3 المرجع نفسه، ج 1، ص 6 - 7.

محمّد بن جرير الطّبري، وكتاب دُرّة التّنزيل المنسوب لفكر الدّين الرّازي وربّما ينسب للرّاعب الأصفهاني ولقصد الاختصار أعرض عن العزو إليها"¹.

تفسير الطّاهر بن عاشور غني بالأراء والأفكار التي من شأنها أن تنهض بمعان تفسيرية تتناسب ومتطلّبات العصر، فهو يعتمد التّدبر والتعمّق في معاني القرآن واستخراج أراء جديدة عبر تأويل سديد، ثمّ يرى ابن عاشور أنّه ليس كل من فسّر القرآن فهم مقاصده وأدرك أسرارهِ بل لا يتأتّى ذلك إلا باستنطاق الخطاب القرآني واستيعاب مضامينه والوصول إلى أهدافه، يقول بشأن ذلك : "فمراد الله من كتابه هو بيان ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدّين وقد أودع ذلك في ألفاظ القرآن التي خاطبنا بها خطاباً بيناً ونعبّدنا بمعرفة مراده والاطّلاع عليه"²، لذا يتبيّن لنا من كلام ابن عاشور أنّ عمل المفسّر يدور مع المقصد وحوله، فالمقصد القرآني هو قطب الرّحى في حركة المفسّر بمختلف مستوياتها، وتحليلاته كلّها يجب أن تصبّ في خدمة المقصد القرآني أساساً³.

من خلال كل ما سبق يمكن القول بأنّ تفسير ابن عاشور تفسير عصري، يقوم بأداء وظائفه بنظرة مقصدية تتبلور عبر قراءة فلسفية أو كلامية واجتماعية للنّص، فضلاً عن غناه بتحليلات نحوية ولغوية خاضعة لأبعاد تداولية وفق غرض المتكلم وقصده، وفائدة المخاطب وعلم المخاطب أو جهله أو كثرة الاستعمال المدرج في البعد الاجتماعي المتداول، وهذه الأبعاد التي أعملها المفسّر تقارب ما تعتمده الدّراسة التداولية، ونسعى من خلال بحثنا هذا إلى تجلّيه وبيان التّحليل التداولي عند الطّاهر بن عاشور.

1 المرجع السابق، ج1، ص 35

2 المرجع نفسه، ج1، ص37.

3 ينظر: د. سامي الرشواني، الاتجاه المقاصدي في تفسير ابن عاشور، المكتبة الشاملة، مقال منشور على شبكة المعلومات، ص4.

الأفق التداولي عند الطاهر بن عاشور:

يعتبر مجال التداوليات من أحدث المجالات في الدراسات اللسانية المعاصرة، وقد ساهمت الأبحاث التي أنجزت لحدّ الآن في تطوير معرفتنا بالألسنة الطبيعية من جهة وآليات التواصل وديناميته من جهة أخرى¹، فهذا الاكتشاف لمثل هذه الأبعاد التداولية فتح للغة آفاقا أرحب وأنتج أسئلة جديدة، والتداولية تُعنى بالبعد الاستعمالي والإنجازي للغة فهي تأخذ بعين الاعتبار المتكلم والمخاطب والسياق وشروط الخطاب والهدف من الخطاب، فإنّه وإن كانت بدايات التداولية في الثقافة الغربية، إلا أنّ إرهاباتها كانت عند العرب أسبق، يقول الدكتور إدريس مقبول²: " فإنّ الواقف على الممارسة التراثية العربية الإسلامية في مجال التفسير تحديدا يجد نظرات ثاقبة وأفكارا جديدة لو أُتيح لها الإطار المنهجي لعرضها لكانت أسبق في مجال التحليل التداولي من تلك التي تنسب اليوم للغرب".

1 ينظر: إدريس مقبول، التحليل التداولي عند الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره، المعهد العالمي لفكر الإسلامي، المغرب 2009. ص 12.

2 المرجع نفسه، ص 14-15.

مفهوم الخطاب:

تمهيد: الخطاب: الشأن والأمر صغر أو عظم، والخطب الأمر الذي تقع فيه المخاطبة، والشأن والخطاب والمخاطبة مراجعة الكلام، ويقال خاطب مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان¹، والخُطبة ما يقوله الخطيب، وهي مثل الرسالة التي لها أول وآخر².

من خلال هذا الكلام يمكن تتبّع بعض سمات الخطاب وهي:

- السّمة الاجتماعية.
- السّمة التّواصلية.
- السّمة القصدية.

وهي كلّها موجودة في التّراث إذا تتبّعنا مفهوم الخطاب في الموروث العربي، يقول ابن فارس: "الخطاب كلّ كلام بينك وبين آخر"³، ويقول الكفوي: "خاطبه، وهذا الخطاب له، لا خطاب معه ... اللَّفْظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيء لفهمه"⁴. ونجد هذا المصطلح أعني الخطاب يتردّد كثيرًا بين المفسّرين والمهتمين بالدراسات القرآنية، فيطالعنا

1 ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د ط، د ت، مادة (دول).

2 الأزهرى، أبو منصور محمد بن محمد تهذيب اللغة، تح يعقوب عبد الله ومراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة، د ط - د ت، مادة (دول) مادة (خطب).

3 أحمد بن فارس، مجمل اللغة، تحقيق الزهير عبد المحسن سلطان، دار مؤسسة الرسالة، ط 2 (خطب).

4 الكفوي أبو البقاء، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، -1998، ص 419.

مدخل

الباقلاني بعبارات مثل: (تنزيل متفرقات الخطاب)¹، و(ما يقتضيه نظام الخطاب)، و(وجوه الخطاب)، و(أجناس الخطاب)².

مفهوم الخطاب:

يعدّ مفهوم الخطاب (Discours) من المفاهيم التي شكّلت اختلافًا نسبيًا عند الباحثين المهتمين، وهذا التباين في إعطاء الخطاب مفهومًا واضحًا ومحددًا، يرجع إلى كونه ينتمي إلى أكثر من حقل معرفي في الفكر المعاصر، يقول الفيلسوف الفرنسي "ميشيل فوكو" (Michel Foucault) : "اختلاف الفهم وتطوّراته لدى الباحثين في النظرة إلى الخطاب"³.

لذا ينظر إلى الخطاب من المنظورات الآتية:

1. المنظور اللساني.
2. المنظور السيميائي.
3. المنظور الاجتماعي التّواصلي.
4. المنظور الإيديولوجي.
5. المنظور التّأويلي.

1 محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، ت ح على دحروش، مكتبة ناشرون بيروت، 1996، ج2، ص175.

2 المصدر نفسه، ص 30.

3 ميشيل فوكو، حفريات المعرفة، تر سالم يفوت، مكتبة طريق العلم، ط2، 1987، ص 102.

مدخل

ويحدد بعض الألسنين الخطاب على أنه (الصياغة الشكلية للكلام)¹، كما يحدّه البعض على أنه مرادف للملفوظ، إلا أنّ هاريس يُعرّفه بقوله: "ملفوظ طويلة أو هو متتالية من الجمل تكون منغلقة يمكن من خلالها (كذا) معاينة بنية سلسلة من العناصر"².

ويظهر أثر "القصدية" بشكل واضح في تعريف "طه عبد الرحمن" للخطاب إذ يحدّه: "كلّ منطوق به موجّه إلى الغير (كذا) بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا"³، وهذا يعني أنّ مدار الخطاب هو وجود العلاقة التّخاطبية مع الآخر مع خاصية المقصدية فضلا عن العلاقة اللفظية أما "بنفست" (Benfest) فيبرز المنظور التواصلّي في تحديده مفهوم الخطاب بقوله: "الخطاب هو الملفوظ منظورا إليه من وجهة آليات وعمليات اشتغاله في التواصل"⁴.

ويجعل الدكتور "سعيد علوش" الأثر الإيديولوجي سمة بارزة في تحديد مفهوم الخطاب، يقول: "مجموع خصوصي، لتعبير، تحدد وظائفها الاجتماعية ومشروعها الإيديولوجي"⁵.

وخلاصة عامّة يمكن أن نخلص إلى جملة من السّمات العامّة، التي تتفق عليها كثير من هذه الاستعمالات المختلفة لمفهوم الخطاب، منها:

1. أنّ الخطاب متتالية أو (وحدة لغوية) أكبر من الجملة، وتتّسم بالكلية.

2. يخضع الخطاب لكشف دلالي خاص به.

3. الاتّصال قيمة عليا لكل خطاب.

1 ديان ماك دونيل، مقدمة في نظريات الخطاب، تر الدكتور عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية مصر، الطبعة العربية الأولى، 2001، ص 27.

2 سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، مجلة الموقف الأدبي دمشق، العدد 336، 1999، ص 112.

3 البحث اللساني والسينمائي، ندوة سنة 1981 منشورات كلية الآداب والعلوم الإسلامية بالرباط، الطبعة الأولى، 1984 (بحث)، ص 215.

4 سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ص 16.

5 د. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت - 1985، ص 83.

مدخل

4. تمثل القصدية الركن الأبرز في تجليات الخطاب ومفهومه.

5. يمثل الأثر الاجتماعي محورًا أساسيًا لكل خطاب.

6. لا وجود لحدّ أعلى للخطاب.

مفهوم الخطاب القرآني:

انفردت الحضارة الإسلامية بخطاب خاص بها، إنّه الخطاب القرآني ولهذا يمكن تسميتها حضارة النص، وكلّ دارس للقرآن عليه أن يدرك أنّ تعامله معه أي الخطاب القرآني يكون من منظورات عدّة أهمّها: الدلالة التاريخية والدلالة النصية والدلالة الآنيّة¹، وكل مستوى من هذه المستويات يتجلّى في بنية لغوية خاصة داخل إطار النّسق العام للنّص، ولفظ الخطاب ورد في القرآن على ثلاثة معان كل منها يكمل معنى الآخر ويتمّمه، فمرّة حمل اللفظ معنى: "التّوجه بالحديث" في قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾²، وفي مرّة ثانية حمل اللفظ معنى "التفصيل للكلام والمعاني في قوله تعالى: ﴿وَشَدَنَّا مَلِكًا وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ﴾³، وفي مرّة حمل اللفظ معنى الجدال والحجاج في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾⁴5.

وإذا عدنا للقرآن فإننا نجد أنّ كلمة "قل" التي تدل على فعل الكلام تكرّرت أكثر من ثلاث مئة مرة، وهذا فيه دلالة على أنّ القرآن متشبع إلى حد أقصى "بالتنبيه على فعل المخاطبة"⁶،

1 ينظر: د. سعيد علوش، اللسانيات والدلالة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1996، ص 118.

2 سورة النبأ 37.

3 ص 20.

4 ص 23.

5 ينظر: محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، ص 74 - 921 - 922.

6 ينظر: ستار جبر حمود الأعرجي، مناهج المتكلمين في فهم النّص القرآني، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط 2، 2009، ص 24.

مدخل

وما يميّز الخطاب القرآني عن بقية أجناس الخطاب أنّه لا يخضع لخصائص أيّ جنس أو أي نوع قولي ولا لمعايير الكلام الاعتيادي، لأن مصدره مصدر إلهي، في حين أنّ الخطاب الأدبي مصدره إنساني وبشري، ودراسة الخطاب القرآني تتطلّب النظر في كلّ مستوياته (إنتاج المعنى وآثار المعنى من أجل توضيح ملاسبات هذا النصّ المؤسّس، وحينما أقول آثار المعنى فإنّي أقصد تلك المنتشرة داخل الأمة المفسّرة)¹، وينبغي أن ندرك حقيقة أنّ النصّ القرآني هو نص لغوي ترتبط تراكيبه ودلالاته بنصوص أخرى فضلا عن الظروف المحيط به، إذا لا يمكن فهمه إلا بأخذها بعين الاعتبار، فالوهية النصّ القرآني لا تنفي بأي حال من الأحوال مدى الارتباط بين النص والواقع التاريخي.

وإذا كانت اللسانيات تستعمل مصطلح "النص" للدلالة على مقطع شفوي أو مكتوب بغض النظر عن طوله، ولكنّه يؤلّف كلّ متكاملًا، فإنّ النصّ القرآني ينماز من بقية النصوص باتساقه العجيب، وانسجامه المعجز، وهو ليس مجرد بنية، وإن كان كذلك في أحد مستوياته (إلا أنه في مستوياته الأخرى يظهر تداوليا، ولذا فإنّ ذات القارئ المتحولة به تتدخّل أيضا في إعطاء تاريخيته معنى مضافا غير المعنى المتصل بأسباب النزول وزمن حدوثه)²، ويتسم النصّ القرآني بأنّه نص حي، ففي كل مرة يعيد نقد الأفهام السابقة باستمرار، ممّا يجعل في كل مرة منتجا لنص أو لنصوص هامشية تتحوّل مع شروط الوعي بالتاريخ إلى نصوص مركزية، والاشتغال على رمزية النص بالتأويل لا يتأتّى إلا حينما تعطي كقوة محايدة لفعل الفهم نفسه³، والمتأمل في جهد المشتغلين بالخطاب القرآني يدرك أنّهم تعدّوا حدود التفسير بالأثر، وأنّهم التمسوا آفاقه ودلالاته

1 مجموعة باحثين، الفكر الإسلامي المعاصر، مجلة علمية عالمية يصدرها المعهد العالي للفكر الإسلامي، العدد 104، 2002م، ص 104.

2 سعيد علوش، اللسانيات والدلالة، ص 15.

3 عمارة ناصر، اللغة والتأويل مقاربات في الهرمينوطيقا الغربية والتأويل العربي الإسلامي، دار الفارابي، ص 95.

مدخل

لما استجدّ من أفكار، وما طرح من مشكلات، وهذا لم يكن ليحصل لو لم يكن النصّ القرآني يحمل في نفسه بذور قابلية فهم كثيرة متعددة.

يشير الدكتور محمّد مفتاح إلى قضية اختلاف مستويات القرآن في الفهم، فالقرآن نزل متعدّد الفهم، وكلّ متلق يتلقّاه حسب قدراته شرط ألا يخرج هذا الفهم عن مقاصد الشريعة، يقول: "إنّ الشرع راعى في خطابه الجمهور من الأميين والخطابين والجدليين، ولذلك جاءت التصورات والتصديقات والقياسات مجرّاة على عادة العرب في مخاطباتها"¹.

الخطاب القرآني والبعد التّداولي: يمكن رصد الأبعاد التّداولية للخطاب القرآن في الفهم والإفهام بشكل جليّ عند علمائنا القدماء، فنجد الطّبري يشير إلى أهمية الفهم في عملية التواصل، فيقول في مقدمة تفسيره: "يقتضي جلال الله وعظمته ألا يخاطب - جل ذكره - أحدًا من خلقه إلا بما يفهمه المخاطب، ولا يرسل أحد منهم رسولاً برسالة إلا بلسان وبيان يفهمه المرسل إليه، لأنّ المخاطب والمرسل إليه إن لم يفهم ما خوطب به، وأرسل به إليه فحاله قبل الخطاب وقبل مجيء الرّسالة وبعده سواء"².

وإذا اتّجهنا إلى الخطاب القرآني نجد أنفسنا أمام نمط خاص من اللّغة في تراكيبها وأنساقها ودلالاتها، ممّا يحمل المتلقي على التّعامل مع بنية الخطاب وفق ما يتطلّبه سياق الممارسة نفسها، لا سيما وأنّ النصّ القرآني هو نص مفتوح تتناوله الأجيال المتعاقبة حسب مرجعياتها الثقافية.

التّداولية: قراءة في المصطلح.

مثّل التّداولية "la pragmatique" حقلاً علمياً متميّزاً، ظهرت كنتيجة عن القطيعة النّثي أحدثتها الدراسات البنويّة عن معطيات السّياق ككل، حيث ركّزت على الاستعمال اللّغوي كإنتاج

1 د. محمد مفتاح، التلقي والتأويل - مقارنة نسقية - المركز الثقافي العربي، الرباط، دط، 2005، ص 123.
2 الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل أي القرآن (تفسير الطبري)، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط1 2001، ج 1، ص 11.

مدخل

لغوي لا ينفصل عن الموقف الذي يتحدّد فيه¹، واعتماد مفهوم دقيق وشامل للتداولية يُعدّ صعباً في الحقيقة والسبب في ذلك كما يقول الدكتور بن عيسى عبد الحليم² : " والسبب في ذلك يعود إلى طبيعة هذا المجال المرنة والمتشعبة والمتداخلة المعطيات، إذ ليس لها أنماط تجريدية، ووحدات التحليل، وليست مستوى من مستويات الدرس اللساني المعتمدة (الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي)، كما أنّها لا تقتصر على دراسة جانب محدّد من جوانب اللغة، بل من الممكن أن تستوعبها جميعاً"، ولهذا كانت هناك صعوبة لدى المتخصصين الغربيين في ضبط مفهومها.

اللسانيات التداولية : "المفاهيم والأصول":

مفهوم التداولية لغة واصطلاحاً:

أ - المعنى اللغوي للتداولية:

يعود مصطلح التداولية إلى الجذر اللغوي (دول)، فقد جاء في لسان العرب: "تداولنا الأمر أخذناه بالدول، وقالوا دوايلك أي مداولة على الأمر، ودالت الأيام أي دارت والله يداولها بين الناس، وتداولته الأيدي أخذته هذه مرة وهذه مرة"³.

والدولة انقلاب الزّمان من حال البؤس والحزن إلى حال الغبطة والسرور، والدولة في الحرب أن تدار إحدى الطائفتين على الأخرى يقال: كانت عليهم الدولة⁴.

1 ينظر: د. بن عيسى عبد الحليم، "مصطلح التداولية" في الدراسات العربية المعاصرة بين التلقي والتأسيس – قراء تحليلية نقدية –، بحث في المجلة الأكاديمية لدراسات الاجتماعية والانسانية، ص 5.

2 المرجع نفسه، ص 5.

3 ابن منظور، لسان العرب، مادة (دول).

4 الأزهري، تهذيب اللغة، مادة (دول).

مدخل

وقد وردت مادة (دول) في القرآن الكريم دالة على المعنى اللغوي للتداولية، ومن شواهد هذا الاستعمال قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾¹، أي "نصرفها بينهم ندبل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء"²، ومنه قوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾³، قرئت "دولة بضم الدال وفتحها، وقراءة الجمهور بالضم، وقرأ علي بن أبي طالب والسلمي بفتحها"⁴.

ومعنى الدولة والدولة يدور عند المفسرين على معنيين⁵:

• **المعنى الأول:** (الدولة بالفتح) الظفر في الحرب وغيره وهي المصدر.

• **المعنى الثاني:** (الدولة بالضم) اسم الشيء الذي يتداول من الأموال وغيرها.

ولم يفرق عيسى بن عمر ويونس والأصمعي بين مضموم الدال وفتحها وقالوا: "هما لغتان بمعنى واحد"⁶.

بعد تتبع معاني مادة (دول) وسبر استعمالاتها نلني أنها تدور حول معاني: التعاقب والتناقل والتحول من شخص إلى آخر أو من مكان إلى مكان أو من هيئة إلى أخرى، وهذه المعاني تدل على المشاركة والتفاعل، وهذا قريب من المفهوم الاصطلاحي للتداولية التي تُعنى بالتفاعل الذي

1 آل عمران 140.

2 القاسمي، محمد جمال الدين، محاسن التأويل، تح محمد فؤاد عبد الباقي دار أحياء الكتب العربية ط 01 سنة 1957، ج 04، ص 980.

3 الحشر 07.

4 ينظر: أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف، تفسير البحر المحيط، تح عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط 01 سنة 1993، ج 08، ص 244.

5 ينظر: محمد الأمين عطية محمد سالم، تنمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، دار عالم الفوائد ط 02، 1980، ج 08، ص 53.

6 القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، دط، دت، 2006، ج 20، ص 353.

مدخل

يكون بين المتكلم والسّامع (المتلقي) وتهتم بدراسة العلاقة التواصلية مع التركيز على الظروف المحيطة بهذه العلاقة.

ب - المعنى الاصطلاحي للتداولية:

يكاد يجمع جلّ الباحثين المنشغلين بالدّرس التّداولي على صعوبة وضع تعريف جامع مانع للتداولية، وهذا راجع لأسباب قد ذكرت سابقاً عند نقلنا لكلام الدكتور بن عيسى عبد الحليم، إضافة إلى الإشكالية التي طرحها وهي الوصول إلى مقابل عربي يترجم مصلح التّداولية، فذكر منها : التداول، التّداولية، التّداوليات، المقامية، الذرائعية، الذريعية، السياقية، التخاطبية، علم

المقاصد، علم التخاطب، علم الاستعمال، فلسفة العمل¹، وبين هذه المصطلحات فروق لا تسمح باستعمالها مترادفة لتكون مقابلة للمصطلح الأجنبي، لذا فإننا نختار "التّداولية" كمقابل عربي لأنه المصطلح الأكثر شيوعاً وتداولاً بين الدارسين ويشهد لهذا الكتب المؤلفة في هذا الباب والرسائل الجامعية والمقالات.

وأول من اصطلح مصطلح التّداولية مقابلاً لـ (pragmatique) هو الباحث المغربي "طه عبد الرحمن" حيث يقول: "وقد وقع اختيارنا منذ 1970م على مصطلح التّداوليات مقابلاً للمصطلح الغربي "براغماتيك" لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالاته على المعنيين "الاستعمال" و"التفاعل" معاً، ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"²، وتبعه في ذلك "أحمد المتوكل" في مؤلفاته، وقد وصفه "محمد يحياتن" في ترجمة

1 ينظر: محمد يونس علي، مقدمة في علم الدلالة والمخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، ط1، سنة 2004، ص 05.

2 طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد على الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط 02، سنة 2000، ص 28.

مدخل

(مدخل إلى اللسانيات التداولية) بالخفة والسلاسة حيث يقول: "وأثرنا اللفظ الذي وضعه زملاؤنا بالمغرب الشقيق ألا وهو اللسانيات التداولية لخفته وسلاسته"¹.

بعد ضبط المصطلح نعرض أهم تعاريف التداولية التي وضعها اللسانيون الغربيون لهذا العلم ثم نتبعها بذكر جهود اللسانيين العرب وإسهاماتهم في وضع تعريف اصطلاحي للتداولية.

مفهوم التداولية عند الغرب:

يعود مصطلح التداولية بالمفهوم الحديث إلى الفيلسوف الأمريكي "شارل موريس" (Charles Maurice) الذي استخدمه سنة 1938 م، والتداولية عنده جزء من العلامات²، وأحد مكوناتها الأساسية فهي علم يهتم بدراسة علاقة العلامات بمفسريها، فهذا العلم يهتم بالنسق التواصلية الذي أقصاه اللسانيون وركزوا على علمي التراكيب والدلالة.

أما التداولية عند "فان ديك" (Van Daik) فهي العلم الذي يُعنى " بتحليل أفعال الكلام ووظائف منظومات لغوية وسماتها في عمليات الاتصال يوجه عام"³، ويلاحظ من خلال هذا التعريف أنه ركز على ذكر بعض الإجراءات في تحليل الخطاب وهي الأفعال الكلامية التي تعد أبرز نظرية قام عليها الدرس التداولي، ولم يركز فيه على ماهية التداولية وحقيقتها، ويعرفها "بول إيلوار" (Paul Eluard) بأنها: "إطار معرفي يجمع مجموعة من المقاربات تشترك عند معالجتها للقضايا اللغوية في الاهتمام بثلاثة معطيات لما لها من دور فعال في توجيه التبادل الكلامي وهي:

✓ المتكلمون (المتكلم والمخاطب).

1 الجليلي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط 1 – دت، ص 01.

2 ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ط 1، ص 09.

3 فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر سعيد حسن بحيري، القاهرة مصر، ط 1، ص 114.

✓ السّياق (الحال / المقام).

✓ الاستعمالات العادية للكلام: أي الاستعمال اليومي والعادي للغة في الواقع¹.

فعملية الفهم والإفهام حسبها لا يمكن أن تتمّ بمعزل عن السّياق الذي هو: "الوظيفة الملموسة والتي توضع وتنطلق من خلالها مقاصد تخص المكان والزمان وهوية المتكلّمين ... الخ، وكل ما نحن بحاجة إليه من أجل فهم وتقويم ما يقال، وهنا ندرك مقدار أهمية السّياق"²، كما نجد أيضا "دومينيك مانغونو" (Dominique Maingueneau) يربط التّداولية بالسّياق فهو يرى أن "المكون التّداولي يعالج وصف الملفوظات في سياقاتها"³.

وقد أكد "كنت باش" (Comte Bache) الذي قام بحصر تعريفات التّداولية ومفاهيمها، فوجد أنّها تدور في "فكرة الاستعمال" التي ترددت في أكثر التعريفات⁴، وعندما نقول الاستعمال فإنّه يحيلنا إلى مثلث الوصول إلى المعنى (متكلم ومتلق وسياق)، فلا يمكن الوصول إلى حقيقة الفهم إلا بتضافر هذه العناصر.

المعنى الاصطلاحي للتّداولية عند العرب:

ظهرت عند العرب جهود جادة محاولة التعريف بمصطلح التّداولية، وقبل عرضها لا بد من التعرّيج على مصادر التفكير اللغوي التّداولي عند العرب ومبادئه، إذ أن حاجة البحث اليوم إلى مقولات الدرس الغربي وكشوفاته لا تلغي بأية حال حاجته القائمة إلى التراث العربي و

1 محمد الأخضر صبحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاته، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 01، سنة 2008، ص 49 – 50.

2 فرنسواز أرمينيكو، المقاربة التّداولية، تر سعيد علوش مركز الانماء القومي، الرباط ط 1، 1986، ص 09.

3 دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب، تر محمد يحياتن، منشورات الاختلاف الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 2008، ص 101.

4 ينظر: عيد بلبع، التّداولية البعد الثالث في سيموطيقا مورييس، مجلة فصول القاهرة، العدد 66، 005، ص 38.

مدخل

الإنساني على اختلاف مشاربه، فما هو موجود اليوم في الحقيقة هو امتداد معرفي للمدونة العربية وتأسيس جانب من الأفكار الرائدة التي عرضها علماء العربية قديما، وإن لم تكن تحظى بالاحتفاء أحيانا من لدن بعض الدارسين احتفاءهم بكل وافد حديث من المقولات الغربية، والناظر إلى دراسة اللغة في التراث العربي، يجد أنها تتميز ببعض السمات التي هي من أهم المبادئ التداولية الحديثة، فقد تناول الدارسون القدماء مثلا¹:

- أن التكلم يتم لغايات وأهداف أو إشباع حاجات أو الحصول على فائدة.
- تستعمل اللغة للأغراض والمآرب ذاتها.
- يضيف المتحاورون الملفوظات دلالات أخرى غير ظاهرة.
- لم تغفل البلاغة العربية بل إنها تعتمد مبدأ "كل مقام مقال".

وقد تعددت أشكال الاهتمام بدراسة الخطاب والإقناع، فتناولوا نص الخطاب في ذاته ودرسوا ما يرتبط بالمخاطب وطريقة أدائه، والمخاطب وطريقة تلقيه، ومطابقة الخطاب لمقتضى الظاهر ومخالفته ... إلى غير ذلك من المسائل التي يمكن أن يجمعها موضوع التداولية، والتي يمكن أن تمثل مبادئ للتفكير التداولي اللغوي عند العرب، ويوضح (سويرتي) في حديثه عن أسبقية العرب لمعرفة أصول هذا الاتجاه فيقول: "إن النحاة والفلاسفة المسلمين والبلاغيين المفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلمًا، رؤية واتجاهها أمريكيا وأوروبيا، فقد وظف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة"².

1 ينظر: محمد سويرتي، اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي (مقال)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني الثقافي والفنون والأدب دولة الكويت مج 28 ع3، مارس 2000، ص 30.

2 المرجع نفسه، ص 30 – 31.

مدخل

ومن القضايا التي اهتم بها علماءنا دراسة العلاقة بين اللفظ وما يحيل عليه¹، ونظروا إلى الألفاظ من حيث تعيين المحال عليه أو عدم تعيينه وميزوا بين عبارات مطلقة لا يتعين فيها المحال عليه، وعبارات فقيرة تحيل على معنى معين.

وهناك بعض نقاط التلاقي بين ما تناوله العرب القدامى وبين ما يقترحه اللغويون المحدثون وفلاسفة اللغة العادية نحو:

- ✓ دراسة ظواهر الإحالة، أو تحليل العبارات اللغوية حسب نوع إحالتها.
- ✓ الاهتمام بدراسة أفعال الكلام.
- ✓ تحدد الوظيفة - جزئياً على الأقل - البنية، مما يستدعي ربط خصائص البنية بالأغراض المستهدف إنجازها باللغة.
- ✓ دراسة المجالات الترابط بين البنية والوظيفة.

وأقل ما تعنيه مجالات اللقاء هذه بين الفكر العربي اللغوي القديم، وبين ما يقدم حديثاً من بحوث في المجالات نفسها، أنه لا يمكن التأريخ لتطور الفكر اللغوي بإغفال حقبة من حقبة، ودون ذكر ما أسهم به اللغويون العرب في هذا التطور.

والآن نعرض أهم التعريفات التي وردت عند المشتغلين بالدرس اللساني التداولي من المعاصرين، ومن بين هؤلاء ما قدمه الباحث المغربي "طه عبد الرحمن" حيث قسم اللسانيات تقسيماً ثلاثياً يضم كلا من²:

1 ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة، دراسة في التنميط والتطور، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 2012، ص 35 وما يليها.

2 ينظر: طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص 252.

مدخل

أ. **الداليات:** يقصد بها الدراسة التي تختص بوصف -وإن أمكن بتفسير- الدال الطبيعي في نطقه وصوره وعلاقاته، وبهذا تكون الداليات شاملة للأقسام الثلاثة المشهورة "الصوتيات" و"الصرفيات" و"التركيبات".

ب. **الداليات:** وهي الدراسة التي تختص بوصف -وإن أمكن بتفسير- العلاقات التي تجمع بين الدوال الطبيعية والمدلولات، سواء اعتبرت تصورات في الذهن أو أعيانا في الخارج.

ج. **التداوليات:** وهي الدراسات التي تختص بوصف -وإن أمكن بتفسير- العلاقات التي تجمع بين الدوال الطبيعية و مدلولاتها وبين الدالين بها، بينما يرى "مسعود صحراوي" أن التداولية "ليست علما لغويا محضا ... ولكنها علم جديد للتواصل يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال، ويدمج ومن ثم مشاريع معرفية متعددة في دراسة ظاهرة التواصل اللغوي وتفسيره"¹، كما نجد أن "محمد يحياتن" قد ساوى بين اللسانيات التداولية ولسانيات الحوار وعرفها بقوله: "هي تخصص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم وخطاباتهم كما تعنى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث ... ويمكننا القول كذلك بأن اللسانيات التداولية إنما هي لسانيات الحوار أو الملكة التبليغية"².

ومن الملاحظ من خلال هذه التعاريف أنها تشترك في أن منظريها يتفقون على أن صناعة المعنى في تداول اللغة يقع بين المتكلم والسّامع في سياق محدد وصولا إلى المعنى الكامن في كلام ما.

السياق ودرجات التداولية:

للسياق أثر بارز ومهم في البحث التداولي، ويعرف على أنه "مجموع شروط إنتاج القول وهي الشروط الخارجة عن القول ذاته، والقول هو وليد قصد معين يستمد وجوده من شخصية

1 مسعود صحراوي، التداولية عند العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت ط 1، 2005، ص6.

2 الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر محمد يحياتن، ص 01.

مدخل

المتكلم ومستمعه أو مستمعيه ويحصل ذلك في الوسط (المكان) واللحظة (الزمان) اللذين يحصل فيها¹، وللسياق وظائف عدة أهمها تحديد قصد المرسل ومرجع العلامات ليكون للسياق أثر فاعل في إنتاج الخطاب وتمثيله اللغوي وتأويله²، وقد حاول بعض التّداوليين وضع برنامج بغية التوحيد بين النظريات التّداولية طبقا لتوظيفها السياقي، وكان ذلك على يد هانسون (Hansson) في عام 1974 م، وقسم التّداولية على ثلاث درجات، وكان السياق فيها هو العامل المشترك، واختيار مصطلح الدرجات عوضا عن الأجزاء، يحدد فكرة المرور التدريجي من مستوى إلى مستوى آخر، فمصطلح التداولية في تاريخ تطوره مرّ بثلاث درجات وأصبحت كل درجة منها في ما بعد تطلق على نوع مستقل من أنواع التّداولية وهي :

- **تداولية الدرجة الأولى:** تعنى بدراسة الرموز والإشارات.
- **تداولية الدرجة الثانية:** تعنى بدراسة المعنى التواصلية الملفوظ وسياقها موسع ويُدْرَج في منها، الاستلزام الحوارية، الافتراض المسبق.
- **تداولية الدرجة الثالثة:** وهي نظرية الأفعال الكلامية والتي تنطق من مسلمة مقتضاها، أن الأقوال الصادرة لا تصف الحال الراهنة للأشياء فحسب، بل تنجز أفعالا في العالم الخارجي، وتعتبر هذه النظرية قطب الرحى الذي يدور عليه الدرس التّداولي فالسياق هنا أشد ثراء وأكثر أثرا منه في الحالات السابقة، وللاهتمام البالغ بها آثرنا أن نبدأ بها بحثنا في الفصل الأول كأولى الأبعاد جديرا بالدراسة والاهتمام.

1 ينظر: إدريس مقبول، الأفق التداولي "نظرية المعنى والسياق والممارسة التراثية العربية"، ص 01.
2 ينظر: الشهري عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية لغوية، دار الكتب العلمية، ط 1، 004، ص 52، وتزيفيتان تودوروف، المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، تر عبد القادر قنيني، ص 40.

الأبعاد التداولية وتفسير التحرير والتنوير:

أما ما يخص العلاقة التي تربط بين التداولية وعلم التفسير فيمكننا أن نقول¹: "إنّ خطاب التفسير يشترك مع التداولية في البحث عن المعنى، فالتداولية تبحث عن المعنى في علاقته بالفعل المترتب على القول، وخطاب التفسير مبني على الغرض والمقاصد التي تتنوع حسب الاعتقادات والمعارف من جهة، وبحسب متداولي الخطاب من جهة أخرى وهذه الحقيقة هي التي أشار إليها الدكتور "محمد مفتاح" في كلام سابق نقلناه عنه حين رأى أن الشرع راعى كل المستويات في خطابه، وقد أثّرت إشكالية على دراسة القرآن الكريم في ضوء المنهج التداولي بوصفه منهجا² تعتمد مفاهيم عقلية ومنطقية يمكن تغييرها، فهي متغيرة وليست ثابتة، فكيف تتلاءم مع النص القرآني الثابت، وقد رد بعضهم هذا الإشكال بأن دراسة اللغة في وقت استعمالها لا تعني بحال من الأحوال قصر الاستعمال على الموقف الخطابي الأول المرتبط ارتباطا مباشرا بالمتلقي الأول، بل إن الاستعمال يعني أيضا مراحل استعمالية متعددة عبر الزمن، فكل قراءة في مرحلة زمنية معينة بشكل ما مرحلة استعمالية جديدة³، وهذا ما نلتمسه عند الطاهر بن عاشور من خلال - التحرير والتنوير- فهو حافظ على المرتكزات العقدية في آيات المحكمات وعمد إلى الخطاب الذي كان القرآن موضوعه تفسيرا وتأويلاً وأشرك فيه عوامل خارجية (عقلية وعلمية وفلسفية)، وجعل من النص القرآني ذا طبيعة تداولية حجاجية، فالطاهر بن عاشور تقصى وجوه النص يقلب النظر في أساليب الخطاب وصلتها بمقاصد صاحب الخطاب والمخاطبين المتلقين للوحي وسياقات التنزيل في تقاطعها مع سياقات الفهم والتأويل، وهو- رحمه الله - أظهر إلماماً بمراتب

1 ينظر: بومقاش الرحموني، الضوابط التداولية للنص الديني - التفسير أنموذجا -، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2002، ص 06.

2 الكثير من التداوليين قد عد التداولية منهجا، ينظر: الشهري، استراتيجية الخطاب ص 210، وبعضهم عدها آلية في البحث اللغوي، ينظر: في التداولية إشكالية في المصطلح بين المفهوم والترجمة والتعريب (بحث) ص 26، وفي نظري أن عدها آلية أو اتجاه يقلل من قيمتها، فالمفاهيم المتشعبة، والنظريات العديدة يجعل منها واقعا لتكون منهجا في الدرس اللساني.

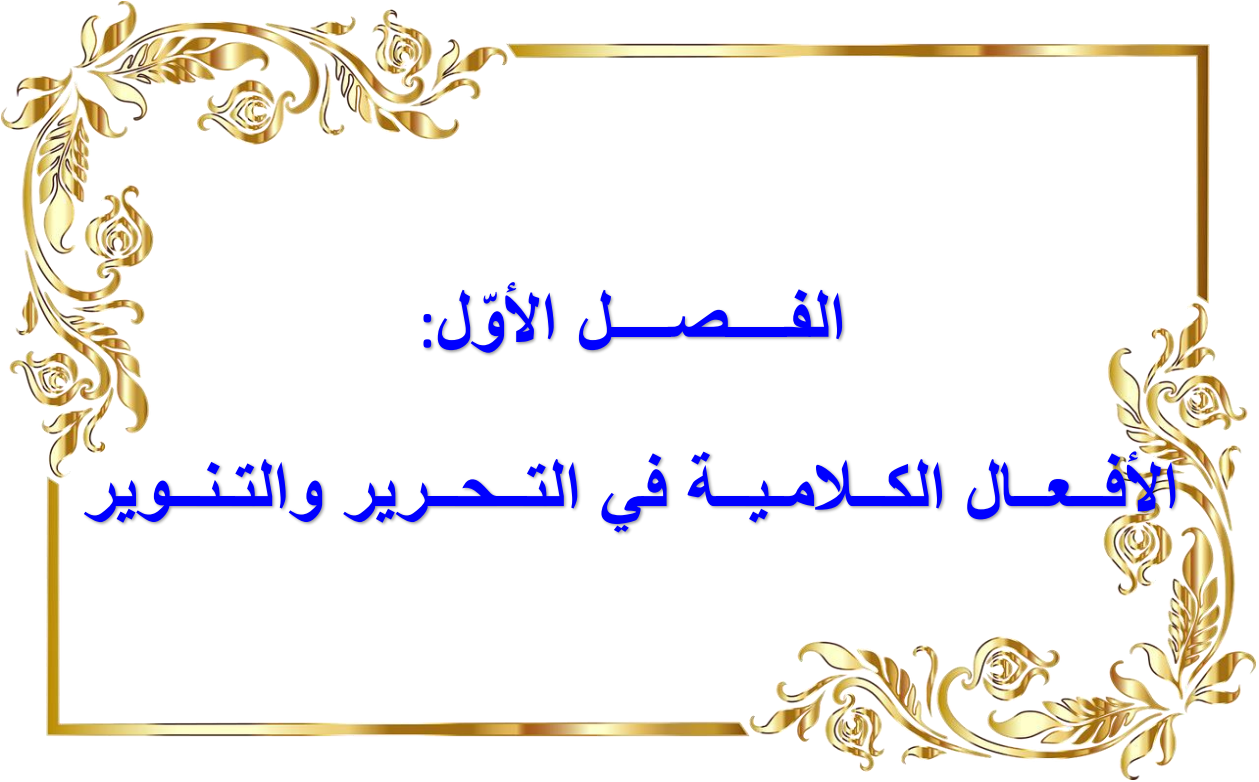
3 ينظر: بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط1، 2012، ص 420.

مدخل

الدّلالة وتحليله للقضايا اللغوية وفق المنهج التّداولي، كما أنه وظف الآلية المقصدية في تحليل الخطاب القرآن وعنايته بها، و من أهم القضايا التّداولية التي عني بها الطّاهر بن عاشور قضية "القصد والتأويل" و كذا اهتمامه بالقراءة التفاعلية التي تهتم بعدّة عناصر: النص والقارئ و السّياق، وتمازجها البنائي باعتبار أن لكل متلق أفقه التّداولي الذي يوافق الأفق الموضوعي المتواضع عليه¹، كما يعد تفسير محمّد الطّاهر بن عاشور الذي أطلق عليه "تحرير المعنى السّديد و تنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" و اختصره إلى "التحرير و التنوير" من أبرز التفاسير التي درست القرآن الكريم نصا موحدًا مترابطًا يكمل بعضه بعضًا، كما أولى هذا التفسير عناية بالغة للجانب اللساني التّداولي، لذا كانت قراءته تفاعلية لا تعطي الأولوية للنص فحسب، و لا لقارئه فحسب، و لا للسّياق فحسب، و لكن لكل هذه العناصر في اتصالها و تمازجها².

فكيف بدت ملامح المقاربة التّداولية في تفسير التحرير والتنوير؟

1 ينظر: حساني سهيلة، الأبعاد التّداولية في تفسير القرآن الكريم، بحث مجلة الخليل في علوم اللسان، ص 01.
2 ينظر: وفاء بن يوسف، حدة رواحية، ملامح تداولية نصية في سورة الحجر من تفسير التحرير والتنوير، بحث (حوليات جامعة قالمة)، ص 408.



الفصل الأول:

الأفعال الكلامية في التحرير والتنوير

• تمهيد.

• المبحث الأول: الأفعال الكلامية في الدرس اللغوي العربي.

• المبحث الثاني: الأفعال الكلامية في الدرس اللغوي العربي.

• المبحث الثالث: تجليات نظرية الأفعال الكلامية في التحرير والتنوير.

تُعَدّ الأفعال الكلامية من أبرز القضايا التداولية، وأهم مفاهيمها، ظهرت في الخمسينيات من القرن العشرين كفكرة فلسفية لغوية حديثة، وذلك بعد ما كانت الفلسفة الوضعية المنطقية تشترط مقياساً وحيداً للحكم على دلالة جملة ما، وهو مقياس الصدق والكذب¹، ممّا حصر العبارات اللغوية في منوال واحد هو العبارات الخبرية، كأن نصف واقعاً ما، ويحكم على صدقها وكذبها مدى مطابقتها لذلك الواقع، نحو(الجو جميل صادقة في حال واحد هي جمال الجو واقعاً، وكاذبة في غير ذلك)، وجوهر الخبر عند هؤلاء الفلاسفة أنّه لا يقبل إلا إذا كان خاضعاً للتّمحيص والتّجريب، وأنّ الوظيفة الأساسية للغة هي وصف حالات العالم وإثباتها²، وكان ممّن تصدّى لهذه الفكرة أستاذ فلسفة اللغة "جون لانجشو أوستين" (Austin) إثر محاضرات ألقاها على طلبته في جامعة أكسفورد (oxford)، والتي تعرّض فيها إلى الرّد على فلاسفة الوضعية المنطقية واهتمامهم بدراسة اللّغات الصورية، وقصرهم وظيفة اللغة في مجرد الوصف والإظهار، وأهمّلوا بذلك البعد التداولي والاجتماعي للغة، وبعد وفاة "أوستين" (Austin) قام عدد من طلبته في سنة 1962م بجمع هذه المحاضرات وطبعها في كتاب بعنوان: (كيف ننجز الأشياء بالكلمات) وقد تُرجم هذا الكتاب فيما بعد إلى اللغة الفرنسية سنة 1970 بعنوان quand dire c'est faire³، وبذلك يكون "أوستين" (Austin) هو مؤسس نظرية أفعال الكلام التي أكملت معالمها على يد تلميذه جون سيرل (j- Searle) الذي وضع الأسس المنهجية لهذه النظرية وأعاد تنظيم أفكار أستاذه في كتابة الذي أسماه : أفعال الكلام (speech act)، بظهور هذه النظرية أي

1 أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة، دراسة في التنميط والتطور، ص 128.

2 D-maingueneau : pragmatique pour le discours litterie Austin، quand dire c'est faire ، P 18 introduction.

3 ينظر: آن روبل و جاك موشلار، القاموس الموسوعي للتداولية، تر مجموعة من الأساتذة والباحثين يشراف عز الدين المجذوب، دارسينا تونس، د ط 2010، ص 56.

الفصل الأول : الأفعال الكلامية في التحرير و التنوير

نظرية الأفعال الكلامية التداولية تغيرت النظرة إلى اللغة من كونها مجرد وسيلة للوصف و الإخبار، إلى أداة فاعلة في بناء العالم وتأثيره، وألغيت الحدود الفاصلة بين الفعل والكلام .

هذه النظرية التي ظهرت واكتملت في الدرس الغربي الحديث، إلا أنه يمتد أصولها وجذورها في كثير من مباحث التراث العربي، الأمر الذي جعل بعض الباحثين يميّطون اللّثام عن كثير من القضايا التداولية ودراسة التراث بخلفية تداولية، وخصوصا ظاهرة الأفعال الكلامية عند علماء التفسير والنحو والبلاغة ضمن مصنفاتهم، وهو يؤكّد الاهتمام البالغ بالمباحث التداولية.

المبحث الأول: الأفعال الكلامية في الدرس اللغوي العربي:

المتأمل في مصنفات العلماء العرب القدماء يدرك أنهم على وعي كبير بالجانب التداولي الاستعمالي للغة على اختلاف مؤلفاتهم اللغوية والنحوية والبلاغية والأصولية، ودراستهم لمعاني الكلام ضمن مباحث نظرية الخبر والإنشاء، وكذا العناية بالمقامات التخاطبية، وأحوال ومقاصد المتكلمين، كل هذا لا يختلف عما تعرضه مباحث نظرية أفعال الكلام في الدرس اللساني الغربي الحديث، وفي هذا المبحث نبين - بحول الله - كيف تناول القدماء النحويون والبلاغيون - في تعاملهم - هذه الظاهرة من خلال عرض بعض النماذج التي تبرز الوعي بنظرية الأفعال الكلامية في مختلف أساليبهم.

أولاً: الأفعال الكلامية عند جمهور النحاة:

الناظر في كتب التراث يلحظ اهتمام العلماء بدراسة الأفعال الكلامية وهذا جلي ظاهر لا يخفى على من له أدنى مُسكة من الاطلاع على مصنفاتهم، وذلك ضمن تطبيقهم معاني الخبر والإنشاء على بعض الظواهر البلاغية، وكذا حرصهم على أن البنية التركيبية تابعة للوظيفة التواصلية، والاهتمام البالغ بالمعاني والأغراض البلاغية أفضى بهم إلى تناول المعاني المتعلقة بإنجازية الأساليب بخلفية تداولية، فدرسوا الكثير مما يتعلق بأفعال الكلام كفعل التحذير وفعل الاستغاثة وفعل التأكيد والنداء وغيرها.

أ/ فعل الإغراء والتحذير:

التحذير والإغراء من الأساليب التعبيرية التي درسها النحاة، فالإغراء هو: "تنبيه المخاطب على أمر محمود ليفعله"¹، نحو: (الصلاة الصلاة) أي: الزم الصلاة، وأمّا التحذير فهو: "تنبيه المخاطب على أمر مكروه ليتجنبه"²، نحو: (الكذب الكذب) أي: احذر الكذب، وحذف العامل

1 ابن هشام الانصاري، أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك، تح محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت لبنان، د ط، دت، ج 4، ص 79.

2 المرجع نفسه، ص 75.

(الفعل) لأغراض تواصلية يقتضيها المقام، وقصد المتكلم من حذف الفعل هو الإسراع في التحذير، ويضيق الوقت من ذكره عامله، أي ليفرغ سريعاً إلى لفظ المُحذّر منه، وهو حصول الفائدة المرجوة لدى المخاطب، والأمر نفسه بالنسبة لأسلوب الإغراء، فإنّ علّة حذف العامل فيه هي نفسها التي تقدّمت، لأنّ ذلك يقتضي التّريغيب في الشّيء والمقام يتطلّب الإسراع فحذف الفعل للتّعجيل، ومع هذه التّهيئة للسامع يتحقّق الغرض التّواصل، وقد أوضح الرضي الأستراباذي (ت686هـ) دور طرفي الخطاب (المتكلم والسامع) في إنتاج العبارات اللّغوية على هيئة مخصوصة، يقول : "لأنّ القصد أن يفرغ المتكلم سريعاً من لفظ التحذير حتى يأخذ المخاطب حذره من ذلك المحذور"¹.

فالإغراء والتحذير يهدفان إلى التّأثير في المخاطب ودفعه لأداء فعل أو تركه، ولذا غدا من الأفعال الكلامية، ويمكن أن يدرج - حسب تصنيف سورل - ضمن الأمرات كما سيأتي إيضاحه في المبحث الثاني.

ب/ فعل الاستغاثة والندبة:

كل من الاستغاثة والندبة أسلوب متفرّع عن النداء حسب تصوّر النّحاة، فالاستغاثة هي نداء من يعين على دفع بلاء أو شدة، وأمّا الندبة فهي نداء المتفجّع عليه أو المتوجّع منه، يقول سيبويه (ت132هـ): "اعلم أنّ المندوب مدعوّ ولكنّه مُتفجّع عليه ... فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف لأنّ الندبة كأنّهم يترنّمون فيها، وإن شئت لم تلحق كما لم تلحق في النداء"².

ويغلب في استعمال نداء المندوب (وا)، نحو: (وامعتصماه)، وقد تستعمل (يا) مع أمن اللبس نحو: (يا للأغنياء للفقراء)، وللمنادى المندوب ثلاثة أوجه:

1 محمد بن الحسن الأستراباذي السمنائي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، سنة 1966، ص573.

2 عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء الملقب بسيبويه، الكتاب، مكتبة الخانجي، ط3، 1988، ج2، ص220.

✓ أن تختتم بالالف الزائدة وهاء السكت، نحو: (واسيده).

✓ أن تختتم بألف زائدة لتأكيد التفجع والتوجع، نحو: (واكبده).

✓ أن يبقى على حاله، نحو: (وأحمد).

ولما كان الغرض من الندبة هو إظهار التفجع على المندوب اشترط النحاة أن يكون المندوب المدعو معروفا عند المتكلم، وذلك يتأتى بأعرف الأسماء حتى يُحقّق الخطاب غرضه يقول سيبويه (ت132هـ): "لأنك إذا ندبت فإنما ينبغي لك أن تفجع بأعرف الأسماء، وأن تخص ولا تبهم"¹، فالمندوب يزيد على المنادى في إظهار التفجع، وهو يدخل ضمن - البوحيات - حسب تصنيف سورل.

ج / فعل التأكيد:

التوكيد غرض تواصل يهدف إلى توكيد الفكرة في نفس المتلقي ومحو كل شك يتبادر إلى ذهنه، ومن أكثر من عني بدراسته من جمهور النحاة المتأخرين الرضي الأسترابادي الذي حدّد الهدف منه في قوله: "فالغرض الذي وقع له التأكيد أحد ثلاثة أشياء: أن يدفع المتكلم ضرر غفلة السامع عنه، وثانيا أن يدفع ظنه بالمتكلم الغلط ... والغرض الثالث: أن يدفع المتكلم عن نفسه ظن السامع به تجوّرًا ..."².

فالتأكيد يرتبط بطرفي الخطاب (المتكلم والسامع) بهدف تقرير الأمر وجعله محققاً، وله صيغ معروفة (التوكيد اللفظي، التوكيد المعنوي، والقسم وغيرها)، وما يدفع المتكلم إلى تأكيد كلامه هو مراعاة حال السامع وكونه شاكاً أو متيقناً فهو يحتاج إلى تنبيه المخاطب، وهذا ما يؤكّد العلاقة الوطيدة بين التراكيب اللغوية ومستعملاتها، وهنا يظهر أنّ فعل التأكيد هو أسلوب

1 المصدر السابق، ج 2، ص 220

2 الرضي الأسترابادي، شرح الكافية لابن الحاجب، ص 227.

الفصل الأول : الأفعال الكلامية في التحرير و التنوير

وغرض تداولي، تُراعى فيه حال السّامع وهو – أي التأكيد – بلغة التصنيف التّداولي لدى سورل يدرج ضمن - التّقريريات - وسيأتي إيضاحه في المبحث الموالي.

د / حروف المعاني والأفعال الكلامية:

أثرت حروف المعاني اللّغة العربيّة زحماً من الأساليب المتنوّعة والكثيرة، بحسب تنوّع المقامات التّواصلية ومقصود المتكلّم ومراده، وكذا حال السّامع ومراعاة ظروفه بغرض التأثير وقد اعتنى النّحاة بها اعتناءً بالغاً، بل أفردوا لها أبواباً وفصولاً في مصنّفاتهم، بله مؤلفات كثيرة لما رأوا لها من أهمية في التّواصل، ويُعدّ صنيع المرادي (ت749هـ) أكبر دليل على ما قلناه، فقد أفرد مؤلفاً أسماه (الجنى الدّاني في حروف المعاني) حيث تعرّض فيه للأداتين (ألا) و(هلاً) الدّالّتين على العرض والتّحضيض، وكلاهما يدل على معنى الطّلب فيتقاربان، فالعرض : هو الطّلب برفق ولين، وهو معنى استفيد من (ألا) الأداة إذا تلاها فعل، نحو قوله تعالى : ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ¹ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ²﴾، أو إذا وليها اسم على تقدير فعل، ونظيره قول الشاعر :

ألا رجلاً، جزاه الله خيراً
يدل على محصّلة تبييت

والتّقدير: الا تروني رجلاً².

وأما التّحضيض: فهو معنى مستفاد من (هلاً) الأداة وهو الطّلب بشدة، وقد يتوصّل إلى هذا المعنى بالأداة (لولا) إذا وليها مضارع، نحو قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السَّحْتَ³ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ³﴾.

1 النور 22.

2 ينظر: المرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط، 1992، ص 382.

3 المائدة 63.

والفرق بين كلا المعنيين يوضحه المرادي بقوله: "هو أنك في العرض تعرض عليه الشيء لينظر فيه، وفي التّحضيض تقول: "الأولى أن تفعل فلا يفوتتك. ولذلك تحسب قول العبد لسيدة: ألا تعطيني، ويقبح لولا تعطيني"¹.

من خلال ما تمّ عرضه من جهود النّحاة وتصوراتهم ندرك حقيقة مدى عنايتهم واهتمامهم بالمقام الخارجي الذي تجري فيه الخطاب، وما تحيط به من ملابسات وأحوال تتّصل بأطراف العملية التواصلية، وهو يبرز تجليات البعد الدّاولي في مصنّفاتهم.

ثانيا / الأفعال الكلاميّة في البلاغة العربيّة:

ممّا تُعرف به البلاغة حديثاً أنّها لسانيات عامّة ذهنية وهي تتعلق بكلية اللّغة²، وذلك لأنها تنظر إلى اللّغة نظرة متكاملة لا يستقل فيها الشّكل عن المضمون، ولا المعنى عن ظروف الاتصال ومقاصد المتكلّمين، فالبلاغة من الإبلّاغ، وهي لا تختلف عن مفهوم الاتصال الذي هو إبلّاغ أيضاً، يقول تمام حسان: "وعندي أنّ المعنى اللّغوي للفظ البلاغة فرع على معنى الإبلّاغ أو التّواصل الذي هو موضوع من موضوعات علم الاتصال"³.

ولقد تناول علماء البلاغة ظاهرة الأفعال الكلامية ضمن مباحث علم المعاني، إذ مدارها: "مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته"⁴.

ومقتضى الكلام مختلف كما أنّ مقامات الكلام متفاوتة ومختلفة، وهكذا فإنّ "لكل مقام مقال" تفرضه الظروف والملابسات المحيطة بالخطاب وأحوال المخاطبين، وهو ما يؤكد اهتمام

1 المرجع السابق، ص 382 – 383.

2 ينظر: رولان بارت قراءة جديدة في البلاغة القديمة نقلا عن محمد سال ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند برلمان (مقال) مجلة عالم الفكر، ص 54.

3 تمام حسان، المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة (مقال) جملة فصول، مج 7، ع 3 و4، 1987، ص 87.

4 ينظر: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1983م، ص53.

البلاغيين العرب بالبعد التداولي للغة، وفيما يلي عرض لأهم قضايا البلاغة العربية التي تشترك في تناولها مع قضايا اللسانيات التداولية وتحديدًا نظرية أفعال الكلام.

الأشكال التداولية في البلاغة العربية:

أ - تداولية المتكلم في البلاغة العربية:

للمتكلم دور بارز في البلاغة العربية القديمة، بوصفه منتج الخطاب وبأثره، فالمعنى مرتبط في كثير من الحالات بما ينتجه وما يقصده، وهي نقطة اختلاف بارزة بين الدرس العربي عمومًا، وبين اللسانيات الحديثة، هذه الأخيرة نشأت في بدايتها متمركزة على بنية اللغة الداخلية، دون اعتداد بأي من عناصر البنية الخارجية، بما فيها المتكلم، حتى جاءت انتقادات "نعوم تشومسكي" (Avram Noam Chomsky) الجريئة للمنهج البنوي الصّارم، ومن هنا بدأ الاهتمام بالمتكلم الذي يُعدّ أساس فهم المعنى وقصد الدلالة، ومن الأساليب التي تبرز غاية المتكلم ومراده وتندرج ضمن أفعال الكلام:

— أسلوب التقديم والتأخير : هو أسلوب كثير الورد في كلام العرب، وقد تناوله بالدراسة علماء البلاغة، كما تناوله علماء النحو وعلماء التفسير للوقوف على معاني الآيات القرآنية التي ورد فيها، وغاية المتكلم من تقديم الكلام وتأخيره ليست مجرد العناية والاهتمام فحسب، بل يعود سببها لأغراض وبواعث تداولية يقتضيها المقام ويحكيها السياق، والأمثلة على ذلك كثيرة في القرآن الكريم، منها قوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾¹، وقوله تعالى : ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾².

فكل من الآيتين تتضمن معنى توجيهيا هو (النهي الصريح عن قتل الأولاد) وهنا مكن التشابه، إلا أنهما تختلفان من حيث السياق الذي وردت فيه كلّ منهما (سبب النزول) إذ وردت الآية الأولى (آية الأنعام) في سياق قتل الآباء الفقراء لأولادهم، فقال تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ

1 الأنعام 151.

2 الإسراء 31.

مِنْ إِمْلَاقٍ ۖ أَي لَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ بِسَبَبِ فَقْرٍ حَلَّ بِكُمْ فَنَاسَبَ هُنَا تَقْدِيمَ رِزْقِ الْآبَاءِ عَلَى الْأَوْلَادِ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ.

أما الآية الثانية (آية الإسراء) فقد وردت في سياق قتل الآباء لأولادهم وخاصة الإناث منهم خشية الفاقة والفقر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ ۖ﴾، أي خشية فقر شديد يحلّ بكم، وذلك لأنّ الخشية من الشيء تكون قبل وقوعه، فقدّم الأهم هنا وهو رزق الأولاد على الآباء لأنه أنسب¹، فهنا برز دور التّقديم والتّأخير كإجراء تداولي للتّفريق بين الموقفين الكلاميين في مثل هذين المثالين.

ب - تداولية المخاطب في البلاغة العربيّة:

يحظى السّامع في العملية الإبلّغية في الدّرس البلاغي العربي القديم بأهميّة لا تقلّ عن أهميّة المتكلّم، فالسّامع هو من نشأ له الخطاب ومن أجله، ومشارك في عملية إنتاج الخطاب وإن لم يكن مباشرة إليها، وسنعرض أهمّ الأساليب التي اهتمت بحضور السّامع كنقطة بارزة في نظرية أفعال الكلام:

1 - الحذف والافتراض المسبق:

هو أسلوب شائع في كل اللّغات وفي اللّغة العربيّة، وهو من القضايا التي ترتبط بالسّامع ودرجة درايته بالخطاب ودواعيه، وهو حذف بعض الكلام لدلالة الباقي عليه²، وهو يتعلّق بالسّامع وعلاقته بالخطاب كما يمكن له أن يفهمه اعتماداً على القرائن المصاحبة له³، وهنا مكن الاهتمام بالبعد التّدائلي والذي يتجلّى من خلال هذا الأسلوب، وقد جاء عند "الجرجاني" (ت471هـ) أنّ الحذف : "باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسّحر فإنّك

1 ينظر: ابن عاشور، تفسير التحديد والتنوير، ج 15، ص 88.

2 ابن رشيق القيرواني، كتاب العمدة، مطبعة السعادة، القاهرة، 1907، ج1، ص 251.

3 د. طاهر سليمان حمودة، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، نقلا عن صبحي، الدار الجامعية، سنة 1988، ص55.

ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الفائدة أزيد الإفادة، وتجدر أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبَيِّن ... "1.

وفحوى كلام الجرجاني (ت471هـ) أن مراعاة السامع، والمقام الذي يجري فيه الخطاب هو ما يحمل المتكلم في كثير من الأحيان على الحذف لغرض الإيجاز في الكلام، ويلتقي موضوع الحذف هذا وارتباطه بالسامع مفهوم (الافتراض المسبق) الذي هو أحد المجالات اللسانية الحديثة، ويعنى بدراسة المعاني المشتركة بين المتكلم والسامع، أو ما ينبغي أن يكون معروفا.

2 - أسلوب الحكيم ومخالفة حال المخاطب:

هو من مباحث البلاغة العربية، وإن كان من إنجاز المتكلم فهو مرتبط أساسا بالسامع، وهو: "تلقي المخاطب بغير ما يترقب، بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهها على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب، بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهها على أنه الأولى بحاله المهم له"2.

وهو شائع في كلام العرب، فقد سمّاه الجاحظ (ت255هـ) "اللغز في الجواب"3، والجرجاني سمّاه "المغالطة"4.

ومن أمثلة ذلك في القرآن (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ)5، ومناسبة الآية أن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا قد سألوا - النبي صلى الله عليه وسلم - عن الأهلة، لم تبدو صغيرة ثم تزداد حتى يكتمل نورها، ثم تتضاءل حتى لا تكاد تُرى؟ فنزل قوله

1 إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بن النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية السور المكية، دار قباء للطباعة والنشر، دت، ج 2، ص 191.

2 أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، 1984م، ص 120.

3 ينظر: الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة التانجي، القاهرة، ط7، 1998، ج1، ص 76.

4 ينظر: المصدر نفسه، ج 2، ص 147.

5 البقرة 189

تعالى: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۚ﴾، فاقتضت حكمته - سبحانه - أن يخبرهم عن الحكمة من التغيير، لا عن سبب التغيير لأن ذلك لا يفيدهم بقدر ما يفيدهم الحكمة، وهنا تظهر القيمة التداولية في أسلوب الحكيم ويتحقق الغاية التواصلية بين طرفي الخطاب.

3 - الالتفات وأثره على السّامع:

الالتفات هو من الأساليب البلاغية التي اهتم بدراستها علماء البلاغة والمفسّرون، وهو من محاسن الكلام، وهو مأخوذ من التفات الإنسان عن يمينه وشماله¹، ويبدو أثره على السّامع حين يدرك انتقال الخطاب من صيغة إلى أخرى، كالانتقال من صيغة الحاضر إلى الغائب أو من صيغة الغائب إلى صيغة الحاضر، وهو يحمل الكثير من القيم التداولية لماله من تأثير على السّامع، على نحو ما يوضح القزويني (ت682هـ) : "إنّ الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب، كان ذلك أحسن تطرية (تجديدًا) بنشاط السّامع، وأكثر إيقاظًا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد"².

ومن أمثلة ذلك في القرآن قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾³، وشاهد الالتفات في الآيتين هو انتقال الخطاب من الغيبة (وقالوا اتخذ) إلى صيغة الخطاب (لقد جئتم)، وغرضه كما يقول ابن الأثير (ت637هـ): "هي زيادة التسجيل عليه بالجرأة على الله تعالى والتعرض لسخطه، وتنبيه لهم على عظم ما قالوه، كأنه يخاطب قومًا حاضرين بين يديه منكدرًا عليهم وموبخًا لهم"⁴، وهنا برز الفعل الكلامي للتأثير على المخاطب وحمله على الامتثال.

1 أبو الفتح ضياء الدين ابن الأثير الكاتب، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، سنة 2017، ص03.

2 الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع ط العلمية، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1953، ص 60.

3 مريم 88-9.

4 ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ص 06 – 07.

ثالثاً - الإنشاء والخبر ونظرية أفعال الكلام:

يذهب الدارسون المحدثون إلى ما أن ما قدمه علماء البلاغة في باب (الخبر والإنشاء) لا يختلف عما تعرضه نظرية أفعال الكلام التي قدمها "أوستين" (Austin)، وطورها سورل، كما سيأتي إيضاحه في المبحث الثاني من هذا الفصل، وقد نالت هذه الظاهرة في التراث اللغوي العربي عناية واسعة واهتماماً بالغاً، وهي تمثل المحور الذي تدور حوله دراسة القدماء على تنوع تخصصاتهم، يقول أحمد المتوكل في ذلك: "من المعلوم أن الفكر اللغوي العربي القديم يتضمن ثنائية "الخبر والإنشاء" التي تشبه إلى حد بعيد الثنائية "الأوستينية" (Austin) الوصف / الإنجاز، كما يدل عليه تعريف القدماء للخبر والإنشاء"¹.

وقد ربط ابن خلدون (ت808هـ) من قبل بين مفهوم اللغة والفعل حين تحدّث عن علم النحو فقال: "اعلم أن اللغة في المتعارف، هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لسانی ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بد أن تصير ملكه متقررة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان"²، وتتفق المعاجم العربية على دلالة عامة للفعل هي: الإنجاز والأداء، ورد في مقاييس اللغة: "الفاء والعين واللام أصل صحيح يدل على إحداث شيء من عمل وغيره"³.

وإذا وقفنا عند دلالة فاعلون في الآية وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ⁴، نجد أن الزمخشري (ت538هـ) يقول: "...والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية، وهو الذي أراده الله فجعل المزكين فاعلين له، ولا يسوغ فيه غيره، لأنه ما من مصدر إلا يعبر عن معناه بالفعل ويقال محدثه فاعل، تقول (...) للزكي فاعل التزكية، وكل هذا الكلام كله"⁵.

1 أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة، دراسة في التنميط والتطور، ص 37.

2 عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص 66 - 56.

3 أحمد بن فارس بن زكرياء القرويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، ج4، دار الفكر، سنة 1979 م، ص 511.

4 المؤمنون 04.

5 الزمخشري، الكشف، ج4، ص 150.

فالفعل بهذا المفهوم يكون حاملاً لقيمة تداولية هامة، وهي أن تسميته قائمة على الاستعمال والتداول، فالتعبير القرآني عدل عن (للزكاة مؤدون، مزكون ...) إلى التعبير بالفعل (فاعلون) تقوية لوضعهم، وإيضاحاً لأدائهم الفعلي للزكاة على وجهها، وجاء في فتح القدير "ومعنى فعلهم للزكاة تأديتهم لها، فعبّر عن التأدية بالفعل لأنها مما يصدق عليه الفعل"¹.

ونظير هذا في قوله تعالى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾²، حيث عدّ (فرعون) نعمته على (موسى - عليه السلام -) ووبخه بما جرى على يديه من قتل خبازه، وفطّعه عليه بقوله (فعلت فعلتك) ووجه التفضيع عليه من ذلك أن في الإتيان به مجملاً إيذاناً بأنه لفظاعته مما لا ينطق به إلا مكنياً عنه ...³.

أما عن القيم التداولية التي يحملها كل من مفهومي الخبر والإنشاء، فلأن البلاغيين فرقوا بينهما وميزوا بين هذين الأسلوبين انطلاقاً من معايير منطقية وأخرى تداولية متداخلة فيما بينها، بحيث يصعب فصل الجانب التداولي فيها على الجانب المنطقي⁴.

وفي نهاية هذا المبحث نخلص إلى أن الدراسة العربية القديمة بمباحثها العديدة، قدمت لنا نظرية كاملة من حيث الممارسة والإجراء والتطبيق لمفهوم التواصل ونظرية الأفعال الكلامية لا تختلف عن اهتمامات اللسانيات التداولية التي مضمونها دراسة حال الاستعمال أي الكلام، ولذا لا نبالغ إذا اعتبرنا أن التداولية وجه من وجوه البلاغة، وسنعرض في المبحث الثاني الأسس المعرفية لنظرية الأفعال الكلامية في المنجز اللغوي الغربي.

1 فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، جمعية عمال المطابع التعاونية، دار عمار، ص 38.

2 الشعراء 19.

3 الزمخشري، الكشاف، ج3، ص 108.

4 ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عن العلماء العرب دراسة تداولية لنظرية الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ص 58.

الفصل الأول : الأفعال الكلامية في التحرير و التنوير

المبحث الثاني: الأفعال الكلامية في الدرس اللغوي الغربي.

يرتبط مفهوم الأفعال الكلامية في الدرس اللغوي الغربي بمجهود الفيلسوف اللغوي "أوستين" (Austin) وتلميذه "سورل" (Searle) الذي طوّر هذه النظرية ووضع الأسس المنهجية لها.

ولقد تضاربت تحديدات الدارسين الغربيين لمفهوم الفعل الكلامي، ويعود السبب في ذلك التباين الحاصل في المرجعيات التي أسسوا عليها كلامهم، وقد حدّده "دومينيك مانغونو" (Maingueneau Dominique) بقوله: "والمقصود به الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلا بعينه (أمر، طلب، تصريح، وعد ...) غايته تغيير حال المتخاطبين، إنّ المتلفظ المشارك لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلا إذا اعترف بالطابع القصدي لفعل المتلفظ"¹.

تكمن أهمية الفعل الكلامي في كونه سلوكا لغويا يستطيع المتكلّم تجسيده عن طريقة عملية التواصل، وهو مرتبط بالحدث (ACTION)، وعليه فهو لا يختلف عن بقية الأفعال غير الكلامية الأخرى، وفي هذا الصدد يقول "فان دايك": "وما نعنيه بقولنا إنّنا نفعل شيئا متى صغنا عبارة معينة هو أنّنا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي، كأن نعد وعدًا ما، ونطلب، ونصح، وغير ذلك ممّا شاع وذاع أنّه يطلق عليه (أفعال الكلام)"².

وقد عدت نظرية أفعال الكلام قائمة بذاتها في الدرس اللغوي الغربي، وقد مرت في أثناء ظهورها بمرحلتين:

✓ مرحلة التأسيس مع "أوستين" (Austin).

✓ مرحلة البناء مع "سورل" (Searle).

¹دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، الجزائر، ص 7.

²ينظر: فان دايك النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، تر عبد القادر فنيني افريقيا الشرق الدار البيضاء الغرب، ط 2000، ص 263.

أ. فكرة أفعال الكلام عند "أوستين" (Austin):

اقترح "أوستين" (Austin) من خلال المحاضرات التي جمعت من طرف تلامذته قسما ثانيا من العبارات إلى جانب (العبارات الوصفية) هو (العبارات الإنجازية) التي لا يحكمها مقياس الصدق والكذب، وكان الهدف من تلك المحاضرات هو الرد على فلاسفة (الوضعية المنطقية)، الذين أنكروا العبارات الإنشائية (غير الخبرية) وضيّقوا مجال اللغة كونها واصفة وقد سمّاها "أوستين" (Austin) "المغالطة الوصفية"، حيث لاحظ أنّ هناك الكثير من العبارات تشبه في تركيبها العبارات الخبرية لكنها لا تستعمل للوصف بل لتغيير الواقع، يقول: "فهي لا تقول شيئا عن حالة الكون الراهنة أو السابقة، وإنما تغيرها أو تسعى إلى تغييرها، فقد فكر في جمل من قبيل (أمرك بالصمت) أو (أعدك بأن آتي غداً). ففي هذه الجمل لا نقول شيئا عن حالة الكون، وإنما نسعى إلى تغييره، فقائل: (أمرك بالصمت) مثلا يسعى إلى فرض الصمت على مخاطبة فيحتمل أنه يسعى للانتقال من حالة الضجيج في الكون إلى حالة السكون فيه"¹.

ب. تصنيف الجمل عند "أوستين" (Austin):

مرّ معنا أنّ وظيفة اللغة عند "أوستين" (Austin) لا تقتصر على وصف الوقائع والعالم الخارجي فحسب بل تتعدّى إلى وظيفة اللغة التأثيرية، وقد تأثر في نظريته هذه بالفيلسوف فيتغنشتاين (Wittgenstein) صاحب فكرة (ألعاب اللغة) والذي يرى أن وظيفة اللغة لا تقتصر على مجرد تقرير الوقائع أو وصفها، بل يتجاوزها إلى وظائف أخرى عديدة: كالاستفهام والأمر والتّمني والشكر والتّهنئة والتحذير وغيرها، واللغة ليست حسابا منطقيا دقيقا ومجردا، لكل كلمة فيها معنى محدد، ولكل جملة منها معنى ثابت، بل إنّ الكلمة الواحدة تتعدّد وتتّوَع معانيها بتعدد وتنوع استخدامها، كما تتعدّد معاني الجمل بحسب السياقات التي ترد فيها، فالمعنى عنده هو الاستعمال (MEANING IS USE)²، وبعبارة أخرى فإن وظيفة اللغة "ليست إيصال المعلومات

¹ أن روبول، وجال موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص30.

² محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 41-42.

الفصل الأول : الأفعال الكلامية في التحرير و التنوير

والتعبير عن الأفكار، وإنما هي مؤسسة تتكفل بتحويل الأقوال التي تصدر ضمن معطيات سياقية إلى أفعال ذات صبغة اجتماعية¹، و لذا نجده يصنف الجمل إلى:

1. الأفعال الإخبارية، التقريرية، الوصفية:

وهي التي يستقطبها حكم الصدق، أو الكذب، وأطلق عليها اصطلاح الجمل الوصفية: التي تصف حدثا أو حالة معنية قبل التلفظ بها من دون ارتهان الوجود لحالة التلفظ فهي إذن أفعال لا تجاوز القول إلى الفعل².

2. الأفعال الإنشائية، الأدائية، الإنجازية:

وتخالف الأفعال الأولى في كونها لا يحكم عليها بالصدق أو الكذب، بل يقال: إنها موفقة / صائبة، أو غير موفقة / غير صائبة، فهي أفعال يقترن فيها الإنجاز بالتلفظ، فالملفوظات من مثل: بعث، وأعتقت وزوجت، تتضمن انعقاد الفعل، أو المضمون بالقول.

وقد رأى "أوستين" (Austin) أن هذه الأفعال تتضمن إلزاما معينًا من جانب المتكلم الذي يفعل ما يقوله عند قوله، فبقوله (أعد بذلك)، هو في الواقع (يعد)، أي يجعل نفسه ملزمًا بفعل ما يقول إنه يفعله³.

وهذه الثنائية أقصد القول والإنجاز، ميّز عبرها "أوستين" (Austin) بين الوصف (قول وإنجاز) فالذي ينطق بالجملة الوصفية ينتج (قولا) لا غير، وأما الناطق بالجملة الإنجازية فينتج (قولا وفعلا) في الوقت نفسه.

1 ينظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة كيف ننجز الأشياء بالكلمات، تر عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، ط2، 1991، ص 16 – 17.

2 ينظر: أن روبول، وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ص 272.

3 بول ريكور، نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، تر سعيد غانمي، المركز الثقافي العربي، 2003، ص 44.

و حين تبين لـ "أوستين" (Austin) أنّ تمييزه بين الأفعال الإخبارية والأدائية غير حاسم، وأن كثيرا مما تنطبق عليه شروط الأدائية ليس فيها، وأن كثيرا من الأفعال الإخبارية تقوم بوظيفة الأدائية رجع عودًا على بدء إلى السؤال: كيف ننجز فعلا حين ننطق قولاً؟ وفي سعيه للإجابة عن هذا السؤال مرّة أخرى رأى أنّ العمل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال، تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، ولا يفصل أحدهما عن الآخر إلا لغرض الدرس وهي:

أ. **الفعل اللفظي:** "الفعل القولي" ويقصد به الأصوات التي يخرجها المتكلم، أي جملة الأفعال الصوتية والصرفية والتركيبية والدالية ويراد بها إطلاق الألفاظ في جمل مفيدة ذات بناء نحوي سليم وذات دلالة¹.

ب. **الفعل الإنجازي:** "الفعل الغرضي" وهو الفعل الأساس الذي يأتي عبره معنى الإنجاز وهو المقصود من النظرية برمتها، ويراد به أن المتكلم حين يلفظ بقول ما فهو ينجز معنى قصدياً أو تأثيراً مقصوداً، ويتعلق الأمر هنا بالوظائف التي تؤديها الألفاظ في سياق استعمالها كأن تكون أمراً، أو استفهاماً أو إخباراً أو وعيداً وغيرهما².

ج. **الفعل التأثيري:** وهو (التأثير العملي للقول، أو الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في المتلقى)³، ويعني ذلك أنّ الكلمات التي ينتجها المتكلم في بنية نحوية منظمة ممثلة بمقاصد معينة في سياق محدد كعمل على تبليغ الرسالة، وتحدث أثراً عند المتلقي، ويتمثل بما

1 ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل التداولي عند مدرسة أوكسفورد، دار التنوير لطباعة والنشر، 1993، ص 184، ومسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 41.

2 ينظر: مؤيد عبيد آل صوينت، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ط 2009، ص 35.

3 محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية التداولية، دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، 2013، ص 100.

الفصل الأول : الأفعال الكلامية في التحرير و التنوير

يحققه القائل بقوله من نتائج، وما ينجز عنه من تبعات، كإزعاج المخاطب وتخويفه، وإقناعه أو حمله على سلوك معين، أو صرفه عنه¹.

شروط النجاح الفعل الكلامي لدى "أوستين" (Austin):

يرى "أوستين" (Austin) أنّ التّمط من الجمل الإنشائية أو الأدائية وإن كانت لا تخضع لمعيار الصدق والكذب، إلّا إنّها عند التّلفظ بها - تكون إمّا موفقة أو غير موفقة -، ولكي تكون الأفعال الكلامية لهذه الجمل موفقة، وضع "أوستين" (Austin) نوعين من الشروط، شروط الملاءمة، والشروط القياسية.

1- شروط الملاءمة وهي:

✚ أن تتم هذه الأفعال في وجود إجراء عرفي مقبول، وله أثر عرفي معيّن.

✚ أن يتضمن الإجراء نطق كلمات محدّدة، ينطق بها أفراد معنيّون في ظروف معينة.

✚ أن يكون هؤلاء الأفراد مؤهلين لتنفيذ هذا الإجراء.

✚ أن يكون التقيد صحيحاً.

✚ أن يكون التقيد كاملاً².

وإذا تخلّف أحد شروط ملاءمة بطل إنجاز الفعل الكلامي حسب رأي "أوستين" (Austin).

2- الشروط القياسية:

✚ أن يكون المشارك في الإجراء صادقاً في أفكاره.

1 ينظر: كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص مدخل الى المفاهيم الأساسية والمناهج، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص 126.

2 ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 64.

أن يكون المشارك في الإجراء صادقاً في مشاعره.

أن يكون المشارك في الإجراء صادقاً في نواياه.

أن يلتزم المشارك فيما يلزم به نفسه¹.

مخالفة الشروط القياسية لا تمنع حصول الفعل، وإنما تفضي إلى سوء استعمال، أو أداء الفعل.

تصنيف "أوستين" (Austin) للأفعال الكلامية:

تبيّن لـ "أوستين" (Austin) بعد ذلك أن يقوم بتجميع وتصنيف جميع الأفعال اللغوية في ضمن مجموعات على النحو الآتي²:

1- **الحكميات: (VERDICTIVES)** أو الأفعال اللغوية الدالة على الحكم وتتمثل في مختلف الأحكام التي يصدرها القضاة والحكام، وغيرهم.

2- **التنفيذيات: (Exercitives)** أو الممارسات وهي الأفعال المعبرة عن اتخاذ القرارات، كالتعيين والغزل والطرد نحوها.

3- **الوعديات: (commissives)** وتتمثل فيما يقطعه المتكلم على نفسه من وعود وعهود نحو: أعد، ألتزم، أضمن

4- **السلوكيات (behabitives)** هي أفعال تعبر عن ردود أفعال وسلوكات مثل: أعتذر، آسف، شكراً ...

1 ينظر: المرجع السابق، ص نفسها.

2 فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية سورية ط 1، 2007، ص 62.

5- العرضيات (Expositives) وهي أفعال الدالة على العرض والايضاح وبيان وجهات النظر مثل: وافق، أنكر، أكد، استفهم

ومع كل هذه الجهود التي بذلها "أوستين" (Austin) في سبيل إرساء معالم نظرية الفعل الكلامي كنظرية عامة وشاملة، نجده يعترف بأنه لم يتوصل إلى ما كان قد سعى إليه، لأن تصنيف الأفعال الكلامية لم يكن قائماً وفق معايير واضحة وكذا اتسم بعدم الوضوح، وهو ما أفضى إلى التداخل والخلط بين التصنيفات، كالتداخل الموجود بين الحكميات والتنفيذيات فهي لا تبدو واضحة، إذ يمكن إدراج بعض أفعال النوعين في النوع التالي¹، ومن جملة ما انتقد عليه "أوستين" أنه كان لا يصف أفعالاً بل يصف أفعالا.

وبالرغم من كل هذه النقائص فإن "أوستين" (Austin) كان له قصب السبق في تحديد بعض المفاهيم الهامة في هذه النظرية، ومن جملة مظاهر التوفيق أنه استطاع التمييز بين محاولة أداء الفعل الإنجازي والنجاح في أداء هذا الفعل وتمييزه بآتم ما تعنيه الجملة وما يعنيه المتكلم بنطقها، وكذا تحديده للفعل الإنجازي الذي يعد مفهوماً مركزياً في النظرية².

ثانياً: مرحلة البناء لنظرية الأفعال الكلامية.

تعديلات "سيرل" (Searle) على أستاذه "أوستين" (Austin):

عرفنا أن ما قدمه "أوستين" (Austin) لم يكن كافياً لوضع نظرية متكاملة للأفعال الكلامية، ولكنه كان كافياً ليكون نقطة الانطلاق إليها بتحديد جملة من المفاهيم الجوهرية فيها، وإذا كان لأوستين فضل السبق فإن لـ "سيرل" (Searle) فضل في تطوير مفاهيم هذه النظرية، وأحكم الأسس التي تقوم عليها عبر بحثه: الفعل الإنجازي والقوة الإنجازية³.

1 ينظر: أوستين، نظرية أفعال الكلام العامة، ص 175.

2 ينظر: محمود أحمد نحلة، آفات جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 71.

3 ينظر: محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية التداولية، ص 103.

وهذه جملة من الإسهامات والأسس التي درج عليها في بناء النظرية:

1- نص "سيرل" (Searle) على أنّ الفعل الإنجازي هو الوحدة الصغرى للاتصال

اللغوي، وحدّد مفهوم القوة الإنجازية في تأثيرها على المتلقّي¹.

2- الفعل الكلامي عنده أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط أيضا بالعرف

اللغوي والاجتماعي².

3- طوّر "سيرل" (Searle) قواعد (شروط) الملاءمة، أو المناسبة عند "أوستين"

(Austin)، التي يتمّ بمقتضاها نجاح الفعل الكلامي فجعلها أربعا³.

وبناء على ذلك تمظهرت كينونة الأفعال الإنجازية في ظل تطوير نظرية الأفعال الكلامية

بأن تكون عند "سيرل" (Searle) على خمسة أنواع هي:

1) الإخباريات (التقريريات): ويكون الغرض الإنجازي منها وصف المتكلم واقعة معينة ويتحمّل

المتكلم مسؤولية صدق القضية المعبر عنها، وأفعال هذا الصنف تحمل الصدق والكذب، وأنّ

اتجاه المطابقة يكون من القول إلى العالم، أي يكون القول مطابقا للوقائع والأحداث الموجودة

في العالم الخارجي⁴.

1 ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 49.

2 ينظر: المرجع نفسه، ص 49.

3 وهي: 1 قاعدة المحتوى يجب أن يكون محتوى اللفظ بالنسبة للفعل (الوعد، التهديد) دالا على حدث مستقبلي.

2 القاعدة التمهيدية أن يكون المتكلم قادرا على إنجاز الفعل. 3 قاعدة الإخلاص أن يكون المتكلم صادقا في أداء

الفعل. 4 القاعدة الأساسية أن تحاول المتكلم التأثير في المخاطب لينجز الفعل، ينظر: التداولية اليوم، ص 34.

4 ينظر: خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة دراسة نحوية تداولية، 2001، ص 505.

(2) التوجيهات (الطلبات): ويكون الغرض الإنجازي منها توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين، كالأمر، والنصح والطلب والتشجيع، والشرط لنجاح التوجيه هو قدرة الملتقي على أداء الفعل المطلوب، وأن يكون أداء الفعل في المستقبل¹.

(3) الالتزامات (الوعديات): ويكون الغرض الإنجازي منها التزام المتكلم بفعل شيء في المستقبل كالوعد والوصية، وأن يكون المتكلم قادرًا على أداء ما يلزم به نفسه².

(4) التعبيرات (الإفصاحيات): ويكون الغرض الإنجازي منها التعبير عن الموقف النفسي تعبيرًا صادقًا، كالشكر والتهنئة والاعتذار والمواساة، ولا يشترط فيها المطابقة بين الكلمات والعالم وبالعكس.

(5) الحكيمات (الإعلانيات): يتمثل نجاحها بمطابقة المحتوى للعالم الخارجي، فأداء إعلان الحرب أداء ناجحًا يعني: أن الحرب معلنة، وإنها تحدث تغييرًا في الوضع القائم، وتقتضي عرفًا غير لغوي، وتكون المطابقة فيها من الكلمات إلى العالم وبالعكس³.

وبعد عرض لمبثي النظرية في التراث العربي وفي الدرس العربي، يتجلى أن ثنائية (الخبر والإنشاء) في التراث العربي تقف على قدم المساواة مع ما تعرضه نظرية الأفعال الكلامية "الأوستينية" التي طورها من بعده تلميذه "سيرل" (Searle).

وبمقارنة الخطابين مع معايير "سيرل" (Searle)، يكون "الخبر" بما يحويه من أضرب الخبر متدرجًا ضمن صنف - التقريريات - والغرض المتضمن في القول لهذه المجموعة الكلامية هو "التقرير" بما يعنيه من: إدراج مسؤولية المتكلم عن صحة ما يتلفظ به، والشرط الافتراضي الذي تقوم عليه التقريريات هو امتلاك الأسس القانونية، أو الأخلاقية التي تؤيد صحة

1 ينظر: علي محمود حجي الصراف، الأفعال الأنجازية في العربية المعاصرة دراسة دلالية ومعجم سياقي، مكتبة الآداب، مصر، 2010، ص 214.

2 ينظر: د. خالد ميلاد، الإنشاء في العربية، 506 - 507.

3 ينظر: فيليب بلانشيه، التداولية في أوستين إلى غوفمان، ص 66.

الفصل الأول : الأفعال الكلامية في التحرير و التنوير

محتواها¹، فيندرج ضمن (التوجيهات) وبعضه ضمن (الحكميات) وفيها ما يتدرج ضمن (التعبيريات) وهذا ما يتمّ بيانه في ثنايا هذا المبحث إن شاء الله.

1 ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 135.

المبحث الثالث: تجليات نظرية الأفعال الكلامية في التحرير والتنوير.

يعتبر الطاهر بن عاشور أحد أبرز المفسرين المتأخرين تطبيقاً وممارسة للدرس اللغوي، واستطاع أن يحكم قبضته على كثير من القضايا المستحدثة في عالم البحث اللغوي المعاصر، وخصوصاً العناية بالبعد والنسق التداولي والاستعمالي للغة، ومن له دراية فلسفية بهذا الأمام يدرك أن نظريته إلى المفاهيم التي اتسمت قديماً بالمحدودية والقصور والجانبية لخبائا النص القرآني الذي تبقى أسرارهِ وخبائاه لا تنفذ، فاستطاع الطاهر بن عاشور أن يبرز المنهج التداولي في كونه مؤهلاً لتحليل الخطاب القرآني واستعانة بالمقصد للوصول إلى المعنى، وهو أحد أبرز سمات الدرس التداولي، وإيضاح الأساليب والقواعد المتبعة لبيان أثر القصد في الخطاب، باعتبار هذا الأخير فعل تواصل قصدي بالدرجة الأولى.

وقد تبنى الطاهر بن عاشور القراءة التفاعلية التي تهتم بعدة عناصر، كالنص والقارئ والسياق، وتمازجها البنائي باعتبار أن لكل متلق أفقة التداولي¹.

ونسعى من خلال هذا المبحث أن نجلي نظرية أفعال الكلام في التحرير والتنوير، والممارسة العقلية لهذه النظرية لدى الطاهر بن عاشور، ومدى إحاطته بها وإن كان ذلك يجري على مستوى الإجراء والتطبيق لا من حيث المصطلح والتنظير، وقد اعتمدنا في هذه الدراسة تصنيف "سيرل" (Searle) للفعل الكلامي باعتباره الأقرب للنماذج المعاصرة.

الأفعال الإخبارية (التقريريات):

تندرج التقريريات ضمن الفعل الكلامي، والغرض الإخباري من حفظ العقل هو تحمّل المتكلم صدق القضية المعبر عنها، وهو ما أفصح "سيرل" (Searle) عن مفهومه على أنّه "إدراج مسؤولية المتكلم عن صحة ما يتلفظ به"²، ويتضمّن هذا الصنف معظم أفعال الإيضاح عند "أوستين" (Austin) وكذا بعض أفعال الأحكام، وهو يتميّز أقصد هذا الصنف، بأنّ اتّجاه

¹ ينظر: حساني سهيلة، الأبعاد التداولية في تفسير القرآن الكريم، التحرير والتنوير أنموذجاً.

² مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 135.

المطابقة يكون من القول إلى العالم الخارجي، والتراث غزير بأساليب الإخبار فالشهادة خبر، والرواية خبر، والدعوى خبر، والإقرار خبر¹.

وهذا يعني أنّ التركيب الإسنادي التّقريري قد يتحول إلى قوة إنجازية وهذا الكلام ينطبق أيضا على الإنشائي، وهذا ظاهر جلي في معالجات الطاهر بن عاشور.

ولعلّ أول ما يمكن أن نستظهره هو التفافة ابن عاشور إلى (غرضي الخبر)، بالنسبة للمخاطب، وثمرته هو إفادة السّامع حكما جديداً، وكذا دلالته على أن المتكلّم عالم به².

ويعتبر الطاهر بن عاشور (المتكلّم) القطب الأوّل من أقطاب العملية التواصلية، ويندرج ضمن هذا النوع (التقريرات) الوصف، وسيأتي إيضاحه مفصّلاً:

أ - وصف المؤمنين: وقد وردت في أول سورة البقرة آيات تتحدث عن صفات أهل الايمان قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾³.

ملفوظ إخباري من أفعال الكلام التقريرية حسب تصنيف "سورل"⁴، وقد جمعت عددا من الأفعال الكلامية الإنجازية، التنبيه والوصف والتقريب والنداء، والإخبار وهو ما أشار إليه الزمخشري بقوله : "بيان ذلك أنّه نبّه أولا على أنّه الكلام المتحدّي به، ثمّ أشير إليه بأنّه الكتاب المنعوت بعناية الكمال (ذلك الكتاب)، فكان تقريراً لجهة التّحدي، وشدّا من أعضاده، ثمّ نفى عنه أن يتشبّث به طرف من الرّيب، فكان شهادة وتسجيلا بكماله، لأنّه لا كمال أكمل ممّا للحق واليقين

1 ينظر: علي محمود حجي الصراف، الأفعال الانجازية في العربية المعاصرة، ص 55.

2 ينظر: السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد، مفتاح العلوم، تح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، دمشق، ط 2، 1987، ص 83.

3 البقرة 02.

4 ينظر: قليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 66.

الفصل الأول : الأفعال الكلامية في التحرير و التنوير

... ثم أخبر عنه بأنه هدى للمتقين، فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"¹.

وفي قوله تعالى : ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا الظِّلُّ بِحُجَّتِهَا إِنَّهَا كَانَتْ مِنَ الْإِنْسَانِ الْمُؤْمِنِينَ﴾² قال ابن عاشور : " فكانت امرأة فرعون مثلا لمكانة المؤمنين ومريم مثلا للقاتنين لأن المؤمنين تبرؤوا من ذوي قرابتهم الذين بقوا على الكفر بمكة "³.

جاءت هذه الآيات في مقام الثناء على المؤمنين، لما ضرب الله المثل للذين كفروا أعقب بضرب مثل للذين آمنوا لتحصل المقابلة فيتضح مقصود المثلين معا، وجريا على عادة القرآن في اتباع الترهيب الترغيب⁴، وقد جمعت هذه الآيات عددا من الأفعال الكلامية الإنجازية تتمثل في المدح والثناء والوصف والتقرير.

وفي قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾⁵، وردت هذه الآيات في بداية سورة الكهف، وهي تتحدث عن وصف الفتية المؤمنين "أصحاب الكهف".

"نحن نقص عليك نبأهم بالحق" ملفوظ إخباري من أفعال الكلام التقريرية وتقديم المسند على المسند الفعلي في جملة (نحن نقص عليك) يفيد الاختصاص، أي نحن لا غيرنا يقص قصصهم

1 الزمخشري، الكشاف، ج1، ص 149-150.

2 التحرير 1.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 28، ص 376.

4 المرجع نفسه، ص 376.

5 الكهف 13 - 14.

الفصل الأول : الأفعال الكلامية في التحرير و التنوير

بالحق، وهذا شروع في مجمل القصة والاهتمام بمواقع العبرة منها، وقدّم منها ما فيه وصف لثباتهم على الإيمان ومنابتهم للكفر ودخولهم الكهف.

ب - وصف الكافرين:

جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾¹.

الخطاب في هاتين الآيتين موجّه من الله - سبحانه وتعالى - إلى نبيه - صلى الله عليه وسلم وهو يتضمن فعلا كلاميا وصفيا تقريريا تتمثل قوته الإنجازية في نفي (صفة الإيمان) عن أولئك الذين عميت بصائرهم فاستوى عندهم الإنذار مع عدمه²، وهوما يؤكّده اجتماع المؤكّدات الواردة في نصّ الآية: حرف التوكيد (إنّ) وجملة (لا يؤمنون)، وجملة (ختم الله على قلوبهم) ثمّ يخبرهم بعد ذلك عن مآلهم ومصيرهم (ولهم عذاب عظيم)، وهو فعل كلامي إخباري وقد تضمن قوة إنجازية هي الوعيد بالعذاب العظيم للكافرين يوم القيامة.

ويقول الله في موضع آخر: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۚ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدّٰخِلِينَ﴾³، يقول الطاهر بن عاشور: "وصف الله فعل امرأة نوح بفيانة زوجها، فقال المفسرون: هي فيانة في الدين أي كافرة مسرة للكفر"⁴.

الخطاب في هاتين الآيتين موجّه من الله - عزّ وجل - إلى الكافرين، فمعنى "ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط" أي أنّ الله جعل حالة هاتين المرأتين عظيمة وتبيينها

1 البقرة 06 - 07

2 ينظر: المرجع السابق، الصفحة نفسها.

3 التحريم 10.

4 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 28، ص 375.

الفصل الأول : الأفعال الكلامية في التحرير و التنوير

للذين كفروا أي يذكرهم بأن الله لا يصرفه عن وعيده صارف فلا تحسبوا أن لهم شفعاء عند الله، "وقيل ادخلا النار مع الداخلين" فعل كلامي إخباري يتضمن قوة إنجازية هي الوعيد بالعذاب للكافرين.

د - وصف المنافقين:

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ¹﴾.

قوله تعالى "وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض" فعل كلامي إنجازي، نهي القصد منه إسداء النصيح والتنذير، لأن القائل لهم لا تفسدوا في الأرض بعض من وقف على حالهم من المؤمنين الذين لهم اطلاع على شؤونهم لقراءة أو صعبة، فيفصلون لهم النصيحة والموعظة رجاء إيمانهم وخشية عليهم من العقوبة"².

"قالوا إنما نحن مصلحون" فعل كلامي تقريرى تتمثل قوته في ادعاء المنافقين الإصلاح وجعله مقصوراً عليهم، فكاد الرد على كذب هذا الادعاء (ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) بفعل كلامي تقريرى تتمثل قوته في تأكيد قصر الفساد على هؤلاء المنافقين، وقد أفادت أداة الاستفتاح "ألا" التنبيه على الفبر ونقويته وإشاعته ليصبح معلوما لدى السامعين³، وهو ما يجعل هذا الملفوظ الإخباري يتضمن قوة إنجازية تتمثل في التحذير من كيد المنافقين.

و مما يدرج ضمن - الإخباريات والتقريريات - ما يؤكد الطاهر بن عاشور من أن تحليل الخطاب يختلف باختلاف المتكلمين، وقد أشار إلى ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ

1 البقرة 11 - 12.

2 ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص 284 .

3 ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص 286.

صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنُقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا }¹، قال ابن عاشور: " فإن كان المراد من الحسنى الفصال الحسنى، فمعنى عطف (وسنقول له من أمرنا يسرا) أنه يجازي بالإحسان وبالثناء، وكلاهما من ذي القرنين، وإن كان المراد من الحسنى ثواب الآخرة فذلك من أمر الله تعالى وإنما ذو القرنين مفبر به خبراً مستعملاً في فائدة الفبر، على معنى : إنا نبشّره بذلك، أو مستعملاً في لازم الفائدة تأدباً مع الله تعالى، أي أني أعلم جزاءه عندك الحسنى"²، وهنا نكتشف فعلاً كلامياً من خلال النظر في قراءة الطاهر بن عاشور، هذا الفعل يندرج ضمن - التقريريات - عبر توضيحه لمعنى الحسنى وهو فعل من أفعال الإيضاح التي تندرج ضمن الإخباريات³.

وهنا تتجلى (فائدة الخبر) في بيان المخاطب في هذه الآية، ويحتمل ابن عاشور أن يكون الإخبار هذا مستعملاً في (لازم الفائدة)، لأنّ ذا القرنين يعلم الحكم بدليل ما ذكره المفسر على لسان حاله: "إني أعلم جزاءه عندك الحسنى"، ومن هنا يمكن القول إن الطاهر بن عاشور ارتكز على الكفاية التداولية في توضيحه لمفردة (الحسنى) والاعتماد على السياق الخارجي للوصول إلى المتكلم وهذا ما تجلّى عبر تحليله.

والعملية التواصلية لا تستغني عن قطبها الآخر وهو المخاطب الذي شملته معالجة ابن عاشور، لما له من أثر في توجيه الخطاب، وقد استقرأ ابن عاشور هذه الصورة التداولية من أنموذج قرآني عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾⁴، يقول: "المخاطب هو النبي . صلى الله عليه وسلم . لكن المقصود منه المسلمون، فينتقل من خطاب النبي إلى مخاطبة أمته انتقالاتاً كنهياً، لأنّ علم الأمة من لوازم علم الرسول من حيث أنّه رسول لزوماً عرفياً، فكل حكم نعلق به بعنوان الرسالة فالمراد منه

1 الكهف 88.

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 15، ص 129.

3 ينظر: علي حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 205.

4 البقرة 107.

أمتة، لأن ما يثبت له من المعلومات في باب التشريع والعقائد فهو حاصل لهم ... وها هنا لا يصلح توجه المضمون للرّسول، لأنّه لا يُقرّر على الاعتراف بأنّ الله على كل شيء قدير فضلا على أن يُنكر عنه وإنّما التقرير للأمة¹.

والذي دعا المفسّر إلى القول بعدم صلاحية توجيه الخطاب إلى - الرّسول صلى الله عليه وسلم - هو الارتكان إلى مبدأ تداولي ألا هو الافتراض المسبق المرتبط بالسياق العقدي، وهذا يظهر في قوله: "لأنّه (النبي) لا يُقرّر على الاعتراف بأنّ الله على كل شيء قدير"، وهذا يوافق إلى حد ما ذهب إليه بعضهم في قولهم "نزل القرآن بإيّاك أعني واسمعي يا جارة".

ومما يندرج في باب - الإخباريات - ويدخل ضمن دائرته ما خرج فيه الخبر مخرج الاعتراض، ففي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مَنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾²، يقول ابن عاشور: "جاءت هذه الآية استئنافا لجملة (قد سمع الله قول) لأنّ قوله (قد سمع الله) يثير سؤالاً في النفس أن نقول: ماذا نشأ عن استجابة الله لشكوى المجادلة فيجاب بما فيه المفرج له منه"³.

وجاءت هذه الجملة في صيغة الإخبار تارة وصيغة النفي تارة أخرى لتناسب المحتوى القضوي لها وهو الطّلاق، وأسلوب الاستئناف الذي جاء به التعبير القرآني هو أسلوب يفيد التشويق ويجلب اهتمام المخاطب لما يأتي بعده، لذا يرى فيه تأثيراً كبيراً لدى المتلقي لهذا الخطاب، وهو ما يتمييز به أسلوب الخطاب القرآني عن غيره، ويتمثل الغرض الإنجازي من هذه الجملة في الاعتراض على سلوكات الكافرين، وذلك تمهيدا لإبطال صيغة الظّهار في تحريم الزّوجة، وأنّ الأمومة حقيقة ثابتة لا تصنع بالقول، فالقول لا يبذل حقائق الأمور.

1 ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 1، ص 646.

2 التحريم 02.

3 المرجع نفسه، ج 28، ص 10.

وتنعكس عملية الاهتمام بالخبر في إطار العملية التواصلية من معالجة ابن عاشور لها في الخطاب القرآني، وذلك عبر إلحاحه على تحقق الخبر، وهو ما يفهم من توجيهه لقوله تعالى : ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَنَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝﴾¹، إذ وقف عند قوله عز وجل واعلموا (أن الله شديد العقاب)، قائلا : "افتتح بقوله (واعلموا) اهتماما بالفبر فلم يقتصر بأن يقال (واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب)، فإنه لو اقتصر عليه لفصل العلم المطلوب، لأن العلم يفصل من الفبر، لكن لما أريد تحقيق الفبر افتتح بالأمر بالعلم، لأنه في معنى تحقيق الفبر، كأنه يقول : لا تشكوا في ذلك، فأفاد مفاد إن"².

لو نظرنا إلى النص نظرة فاحصة لتراءى لنا عبر - تحليله - أفعالا كلامية غير مباشرة، فالبنية السطحية تدرجه ضمن - الطلبات - غير أنه يؤول إلى الخبر بدليل قوله: "لما أريد تحقيق الخبر افتتح بالأمر ويتضح من كلامه أيضا أن الفعل (اعلموا) جيء به لتعديل (توكيد) القوة الإنجازية في الخبر، ولذا يمكن إدراج قوله (اعلموا) في ضمن المقويات الموجهة إلى المستمع، وتعني عند التداوليين: العناصر المعجمية التي تشير إشارة ضمنية أو صريحة إلى معرفة المستمع، أو إلى المعلومات التي تضع خلفية مشتركة بينه وبين المتكلم، ومن ثم فإنها تستعمل استعمالا نمطيا في إزالة الشك عن المستمع حتى يوافق على شيء ما، ما يدرك المتكلم أنه يأباه³.

1 البقرة 96.

2 ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 2، ص 226.

3 ينظر: حافظ إسماعيل علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2014، ص 333.

وهذا يعتبر جوهر البحث التداولي، ذلك بأنه يقوم على مراعاة موقف السامع النفسي ومقامه، مما يجعل المتكلم يعمد إلى تعديل خطابه، والتصرف فيه بما يتلاءم مع الموقف الجديد، ويجعل الكلام يؤدي الوظيفة التواصلية المناطة به، وهو ما يعرف في الفكر اللساني المعاصر بـ (التعلق بين البنية والوظيفة)¹.

وقد يخرج الخبر (التقرير) مخرج الاستفهام وهو معنى نحوي ينجز بإحدى أدوات الاستفهام، وقصد المتكلم من إنجازه الاستخبار عن أمر يريد معرفته من المخاطب فيسأل عنه، وهو بذلك (فعل كلامي مباشر) يندرج ضمن - التوجيهيات - وقد يستعمل في مقام لا يناسبه مع الاستخبار إذاً يكون المتكلم عالمًا بما يستفهم عنه، فيخرج السؤال عن معناه الأصلي والحقيقي إلى إنجاز معنى آخر يتناسب ومتطلبات السياق وقصد المتكلم، كالتقرير والتوبيخ والإنكار وغيرها.

وهي معان تداولية بوصفها (أفعالا كلامية غير مباشرة) لا تحدّد إلا بمعرفة السياق وقصد المتكلم، ومختلف الظروف المحيطة بعلاقة المتكلم بالمخاطب².

ومما يجدر التنبيه عليه أنّ علماء التفسير والأصول حملوا أكثر أساليب الاستفهام في القرآن على التقرير³، لأن حقيقة الاستفهام طلب الفهم، وطلب الفهم يستلزم سبق الجهل وهذا يستحيل على الله تعالى، وهو منزّه عن طلب الفهم.

وهذه القيمة الخلافية بين الوضع وسطوة الاستعمال يحكمها المقام، وإيلاؤه العناية كان من محاور العملية التواصلية عند ابن عاشور في تفسير لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾⁴، قائلا: "والإشهاد

1 مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص95.

2 ينظر: مؤيد آل صوينت، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، ص213.

3 وهذا ليس على إطلاقه، وإنما المراد الاستفهام الوارد عن الله جلا وعلا.

4 الأعراف 172.

على الأنفس يطلق على ما يساوي الإقرار أو العمل عليه، وهو هنا العمل على الإقرار واستعير لحالة مغيبة تتضمن هذا الإقرار يعلمها الله لاستقرار معنى هذا الاعتراف في فطرتهم والاستفهام في (ألست بربكم) تقرير، ومثله يقال في تقرير من يظن به الإنكار أو ينزل منزلة ذلك، فذلك يقرّر على النفي استدراجاً له حتّى إذا كان عاقداً قلبه على النفي ظن أن المتقرر يطلبه منه، فأقدم على الجواب بالنفي، فأما إذا لم يكن عاقداً قلبه عليه فإنه يعبّ بإبطال النفي، فيتفق أنه بريء من نفي ذلك¹.

فالاستفهام التقريري أظهر تماسكا في النص القرآني حينما أنشئ المقام بجعل الغائب مشاهداً، لتقوية الشعور لدى المتلقي بحضور الأشياء بغية حمله على الاقتناع وللتأثير فيه، ومما يندرج ضمن - التقريريات - (التأكيد)، وهو غرض تواصلية يستعمله المتكلم لتمكين المعنى في نفس المخاطب وتقويته وإزالة ما علق في نفسه من شكوك وإماطة ما خالجه من شبهات².

والتأكيد من وجهة نظر التداولين هو فعل كلامي أو معنى أسلوبية كثير الورد في لغة التواصل اليومية، وقد أدرجه "سيرل" (Searle) في ضمن - الإخباريات - والغرض منه هو التقرير، ويمكن الاستدلال على الفهم المتقدم عبر معالجات ابن عاشور لهذا الفعل التأكيدية في مدوّنته التفسيرية، ومنه تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ ۚ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ۝٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ ٥٧ ٥٨ ٥٩ ٦٠ ٦١ ٦٢ ٦٣ ٦٤ ٦٥ ٦٦ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ٧٣ ٧٤ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٧٨ ٧٩ ٨٠ ٨١ ٨٢ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ ٨٧ ٨٨ ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٣ ٩٤ ٩٥ ٩٦ ٩٧ ٩٨ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ ١١٩ ١٢٠ ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٤ ١٢٥ ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ١٣١ ١٣٢ ١٣٣ ١٣٤ ١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٠ ١٥١ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٤ ١٥٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ١٦٠ ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٤ ١٦٥ ١٦٦ ١٦٧ ١٦٨ ١٦٩ ١٧٠ ١٧١ ١٧٢ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥ ١٧٦ ١٧٧ ١٧٨ ١٧٩ ١٨٠ ١٨١ ١٨٢ ١٨٣ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ ٢٠٦ ٢٠٧ ٢٠٨ ٢٠٩ ٢١٠ ٢١١ ٢١٢ ٢١٣ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١٥٦٩ ١٥٧٠ ١٥٧١ ١٥٧٢ ١٥

الزائدة في سياق النفي، ففصل بين هذين الوصفين تقرير معنى الشمول الحاصل من نفي اسمي الجنس¹.

وقد تضمن نص المفسر صفتين لإفادة معنى الشمول والإحاطة المؤدي إلى معنى التوكيد، الصفة الأولى هي شبه الجملة (في الأرض) إذ وردت هذه الصفة في ضمن الفعل الكلامي التقريري لقصد العموم والشمول²، وهذا المعنى نفسه ينطبق على الوصف الآخر (يطير بجناحيه) الموصوف به الطائر حينما صرح ابن عاشور أنّ هذا الوصف "أيل إلى معنى التوكيد" وهذا التوكيد يؤدي معنى الشمول مرتكزا في ذلك على قرينة نحوية وهي الأداة (من) الزائدة في سياق النفي تفيد معنى الاستغراق وجاءت لتأكيد أمر مهم وإزالة اللبس.

والذي يحكم النظر يدرك أنّ هذا التأكيد لم يرد بأسلوب مباشر، بل ورد في إطار المستوى الضمني المبني على السياق التواصل الاجتماعي، فالخطاب التأكيد في هذه الآية لم يرد هنا إلا ضمن سياقات تواصلية معينة³.

إنّ الغرض الإنجازي العام للأفعال الكلامية الواردة في الآيات السابقة هو التقرير، بحيث تتم إنجازية هذه الأفعال من خلال خطوتين، يتحقق الإنجاز في الخطوة الأولى منهما من خلال نطق الكلام وأدائه، بينما يتحقق في الخطوة الثانية من خلال الإخبار أو الوصف باعتبارهما غرضين إنجازيين شأنهما شأن أي غرض آخر كالرفض أو القبول إلى غير ذلك⁴. وهو ما توصل

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص 88.

2 ينبغي التحول عند علماء التداولية، أن يعطي المتكلم المعلومات الأكثر إفادة في الموضوع مع عدم السكوت إخفاء نصيب من المعلومات، ينظر طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية العامة بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، تر عبد القادر قنيني، دار افريقيا الشرق، 1991، ص80.

3 ينظر: محمود طلحة، تداولية الخطاب السرد في دراسة تحليلية في وحي القلم للرافعي، عالم الكتب الحديث، 2012، ص 144.

4 ينظر: علي محمود جحي العراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 61.

الفصل الأول : الأفعال الكلامية في التحرير و التنوير

إليه "أوستين" (Austin) الذي بيّن أنّ الإخباريات (الوصفية) في الظاهر والتي يفضل تسميتها (تقريرية) هي التي يمكن أن تحلّل في شكل (أفعال كلامية).

2 - الأفعال التوجيهية (الطلبية).

وتتمثل في أفعال التّكليف، والغرض منها حمل المخاطب على أداء فعل أو عمل معيّن، ويضمّ هذا الصّنف مجموعات كبيرة من الأفعال الكلاميّة التي تختلف من حيث قوتها الإنجازية باختلاف السّياق والمقام الذي يجري فيه الخطاب، وبحسب العلاقة بين المتكلّم والسّامع وهي تشمل جميع الصّيغ الطلبية، والشّرط لنجاح التّوجيه هو قدرة المتكلّم على أداء الفعل المطلوب¹.

ويتخذ المتلقي في إطار هذه الأفعال صورتين هما:

الأولى: صورة المتلقي المفترض (المتخيّل)، فالممارسة الطلبية هنا لا تشترط حضوره العيني عند إنتاج الخطاب، فالمرسل يفترض وجود من يتلقّى التّوجيهات مسبقاً عبر المعايير والشّروط المعروفة لديه ممّا يعطي الخطاب الإنجازي صيغة عمومية فيها صفة الدّيمومة، وهذا النّوع نجده متداولاً في الخطاب القرآني لما يمتلكه من مرونة حركيّة على الأصعدة جميعاً.

الأخرى: صورة المتلقي (الحاضر) المعايين، وهو المتلقي والحاضر لحظة النّطق بالتّوجيه، إذ يكون التّوجيه موجّهاً له من دون غيره، لأنّ السّياق الذي يدور فيه الخطاب هو سياق أضيف من السّياق السابق، إذ تتدخل فيه سمات الفرد الشخصية والمعرفة المشتركة بين طرفي الخطاب².

1 ينظر: المرجع السابق، ص 215.

2 ينظر: علي محمود جحي العراف، في البراجماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص 53.

وحتىّ يضمن تحقيق الاستجابة للمتكلّم لا بدّ وأن تكون التّوجيهات واضحة في التّعبير عن قصد المتكلّم، ويزال ما فيها من لبس فـ"لا يعقل أن نخاطب العقول، بلغة غير مفهومة وإلا لانتفى أصل الغرض، وهو إفهام الناس وتوصيل المعنى"¹.

وهذا التّصنيف قصد التّوجيهات يضمّ كلّ الأفعال الكلامية الدّالة على الطّلب بصرف النّظر عن صيغتها، فقد تنجز بواسطة المنطوقات الإنجازية المباشرة وغير المباشرة.

أ- النداء:

النداء في اصطلاح البلاغيين هو: طلب المتكلّم إقبال الخطاب بواسطة أحد حروف النّداء ملفوظا كان حرف النّداء أو ملحوظا، والغاية من النّداء في القرآن الكريم أنّه "طلب واستحضار يراد منه إقبال المدعو على الداعي ليتّمكن من توجيه ما يريد إليه. ويصحّب ذلك غالبا الأمر والنهي، أخرج البيهقي وأبو عبيدة وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "إذا سمعت الله يقول: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَأرْعَهَا سَمْعَكَ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَوْمَ بِهِ أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ"².

ويُعدّ فعل النّداء من الأفعال الكلامية التوجيهية، لأنّه يحفّز ويهيئ المتلقّي لردّ فعل المتكلّم، وأبرز أدواته "الياء"، وهو يشغل نسبة معتبرة في النّص القرآني نظرا لارتباطه بأفعال التّكليف، وهو أول فعل كلامي يقوم به المتكلّم ليلفت انتباه السّامع.

يُعتبر النّداء في الخطاب القرآني بمثابة المدخل إلى الأفعال الكلامية الأخرى التي يأتي بعدها الهدف المقصود من الخطاب المباشر.

ومن النماذج التي أظهر فيها الطّاهر بن عاشور ارتكازه على البعد التّوجيهي التّداولي المنبثق من النّداء، ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ

1 ينظر: مجموعة من الباحثين، دراسات في تفسير النص القرآني، سلسلة الدراسات القرآنية، 2010، ج2، 225.

2 أحمد محمد فارس، النداء في اللغة والقرآن، دار الفكر اللبناني بيروت، لبنان، ط1 1989، ص 135.

وَاصْطَفَاكَ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ¹، ففي الآية الثانية أفعال كلامية : الأول تأثيري نداء تتمثل قوته الإنجازية في تنبيه المخاطب وتهيبته لتلقي الخطاب، والثاني غرضي إنجازي، أمر تتمثل قوته في دعوة المخاطب بملازمته العبادة لله عز وجل.

تكرر فعل " اصطفاك " لأن الاصطفاء الأول اصطفاء ذاتي وهو جعلها منزلة زكية، والثانية بمعنى التفضيل على الغير وقوله: " مع الراكعين " إذن لها بالصلة مع الجماعة، وهذه خصوصية لها من بين نساء بني إسرائيل إظهاراً لمعنى ارتفاعها عن بقية النساء، ولذلك جيء في الراكعين بعلامة جمع التذكير².

وقد وردت بعض النداءات خالية من حرف النداء، ويكون الغرض منها استشعار مقام القرب من الله - عز وجل - حين دعائه مصداقاً لقوله تعالى : " وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ^ط أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ^٣ "، ومن صور هذا النوع من النداء في خطاب السورة ما ورد في آخر آية منها وهو قوله تعالى: " رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ^٤ "، فقد تكرر الفعل الكلامي للنداء في هذه الآية ثلاث مرات وجاء خالياً من حرف النداء ليناسب مقام الدعاء والتذلل إلى الله القريب المجيب، ففي تكرار صيغة النداء " ربنا " في هذه الآيات قصد إلى إظهار التذلل والتضرع إلى الله ورجاء في تحقيق الإجابة "لأن مفاطبة المنادى مغنية عن إعادة النداء لكن قصد من إعادته إظهار التذلل⁵."

1 آل عمران 43.

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص 244.

3 البقرة 186.

4 البقرة 286.

5 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج3، ص 140.

ب - الأمر والنهي:

هما من الأساليب الانشائية الطلبية، وأما بلغة التداوليين فهما فعلا كلاميان يحمل كل منها قوة إنجازية تحددها إرادة المتكلم وقصده، وهي إرادة متعلقة بطلب إيقاع المأمور به وعدم إيقاع المنهي عنه، يقول المبرد (ت286هـ): "واعلم أن الطلب من النهي بمنزلته من الأمر يجري على لفظه فيما جرى على لفظ الأمر"¹، وكما قيل الأمر بالشئ نهى عن ضده.

يرصد من كلام ابن عاشور أن النهي أمر على جهة الترك فتتعد الآصرة بينه وبين الأمر في أن كليهما (طلب)، الأول يتجه اتجاهها إيجابيا في الأمر، والثاني يتجه اتجاهها سلبييا في النهي ومعالجة هذا التوجيه الطلبي الأمري بنمطيه الإيجابي والسلبي تمتلكه نصوص ابن عاشور حينما وقف على تفسير قول الله - عز وجل -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾².

ويوجه ابن عاشور ذلك بالقول: "ومعنى الأمر باجتناب كثير من الظن الأمر بتعاطي وسائل اجتنابه، فإن الظن يفصل في فاطر الإنسان اضطراباً عن غير اختيار، فلا يعقل التكليف باجتنابه وإنما يراد الأمر بالتثبت فيه وتمحيصه والتشكك في صدقه... التّجسس من آثار الظن لأن الظن يبعث حين يدعو الظان نفسه إلى تحقيق ما ظنه سراً فيسلك طريق التّجسس فحذرهم الله من سلوك هذا الطريق ... وإذ قد اعتبر النهي عن التّجسس من فروع النهي عن الظن فهو مقيد بالتّجسس الذي هو إثم أو يفضي إلى الإثم"³.

1 محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تح محمد عبد الخالق عزيمة، وزارة الأوقاف المصرية، ط1، 1994،

ج2، ص 133.

2 الحجرات 12.

3 ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج26، ص 210 - 211.

وهنا يلتقي الطاهر بن عاشور مع ما تبناه علماء التداولية حين جعلوا الإرادة هي المحدد للفعل الأمري "فهى القاعدة والمُعول عليه عندهم، إذ لا يتصورون أمرًا بشيء من غير إرادة له"¹.

وقد طبّق ابن عاشور النظرة الموازنة بين الأمر والنهي في الكشف عن مراد الله - عز وجل - فخطاب الأمر والنهي يقصد به التحذير مع ما يجتمع مع قول التداوليين في أنّه يتولّد من الأمر والنهي والإغراء والتحذير، وهما يختصان في الأقاويل الإنجازية بألفاظ مخصوصة². والأمر والنهي في القرآن الكريم قد يردان على سبيل الحقيقة لحمل المخاطب على إتيان المأمور به وعدم إتيان المنهي عنه كما يأتيان على سبيل المجاز، فتخرج صيغتهما عن المعنى الأصلي إلى معان فرعية أخرى كثيرة تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، وقد وردت جملة الأمر في الكثير من الآيات بصيغ مختلفة، لعلّ أكثرها وروداً جملة الأمر المصدّرة بفعل الأمر (افعل)، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾³، فقد أمر الله ملائكته بالسجود لآدم - عليه السّلام - فسجدوا على الفور، يقول ابن عاشور: "لأنّ القول في هذه الآية تضمّن أمرًا بفعل فيه غضاضة على المأمورين فناسبه إظهار عظمة الأمر بإسناد فعل القول إلى ضمير العظمة وإذ قلنا"⁴، ليتحقّق الغرض التداولي المتمثّل في قصد المتكلّم حمل المأمورين (الملائكة) على السجود (لآدم) امتثالاً لأمره جلّ وعلا، وهو فعل كلامي توجيهي - حسب سورل - يحمل قوة إنجازية حرفية هي الأمر الصّريح (طلب السجود على وجه الإلزام) والذي تحقّق بمجرد التلفظ بها بصيغة الفعل (اسجدوا) فسجدوا، وبذلك فإنّ هذه الأفعال التوجيهية تتحقّق بمجرد التلفظ بها فتؤثّر في الواقع وتغيّره، وعندئذ يتحقّق قصد المخاطب والغرض التواصلية الذي من أجله نشأ

1 ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، ط1، 2011، ص 50.

2 ينظر: د. خالد ميلاد، الإنشاء في العربية، ص 308.

3 البقرة 34.

4 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص 421.

الفصل الأول : الأفعال الكلامية في التحرير و التنوير

الخطاب، وهذا هو منطلق نظرية الأفعال الكلامية عند كل من "أوستين" (Austin)¹ و "سورل"، وهي الفكرة نفسها تنبّه لها العلماء العرب القدماء وهي: "أنّ من الكلام ما يكون فعلاً أو إيقاعاً لفعل يقارنه في الوجود"².

وربّما جاءت أفعال الكلام بصيغتها (الأمرية) متتالية فتكمن قوّتها الإنجازية في إعطاء توجيهات للمسلمين تحثّهم فيها على الإحسان والعفو والصّفح، وقد وقف عندها الطّاهر بن عاشور في تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾³، فيقول : "والعفو ترك عقوبة المذنب والصّفح ... عدم مواجهته بذكر ذلك الذنب أي عدم لومه ونثريه عليه وهو أبلغ من العفو كما نقل عن الزاغبي، ولذلك عطف الأمر به على الأمر بالعفو لأنّ الأمر بالعفو لا يستلزمه ولم يستغن باصطفوا لقصد التدرّيع في أمرهم بما قد يفالغ ما تميل إليه أنفسهم من الانتقام تلطّفاً من الله مع المسلمين في حملهم على مكارم الأخلاق"⁵.

فالنّص يؤكّد امتلاك ابن عاشور فهماً للمعطيات اللّغوية التي فيها تناوب (العفو والصّفح) لكنّه فرّق بينهما، مرتكزاً في ذلك على قرينة نصيّة من داخل السّياق وهي حرف العطف الواو، إذ لو كان المعنى مترادفاً بينهما لما احتاج الباري أن يأتي بفعلين للأمر، لأنّ حرف العطف يدل

1 يرى "أوستين" بأن كل جملة بمجرد التلفظ لها على نحو جاد توافق أحياناً القيام بعمل تأثير القول، ينظر: آن روبول و جاك موشلار، التداولية اليوم على جديد للتواصل، ص 32.

2 الزمخشري، الكشاف، ج4، ص 120.

3 البقرة 109.

4 وهذا رأي الراغب الأصفهاني وقد تنبّه ابن عاشور وهذا نصه (والصفح ترك التنزيه وهو أبلغ من العفو ... وقد يعفو الانسان ولا يصفح)، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة الباز، 2009، ص 282.

5 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج4، ص 652 – 653.

على المغايرة، والحق "أنّها نظرة واعية لدور العطف في اتساق النص، والوصول إلى الغاية التواصلية بين المتكلّم والمتلقّي"¹.

وهذا الفهم الذي أبداه ابن عاشور يلتقي مع ما تبناه علماء التداولية، من أنّ القراءة التدريجية تسمح للقارئ أن يتلقّى التوجيهات بتدرج، فيفهم الحكمة من ذلك².

وقد جاءت بعض الآيات مقترنا فيها الأمر بالنهي – وهي كثيرة – في الخطاب القرآني منها قوله تعالى: ﴿وَأْمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّاي فَاتَّقُونِ﴾³، وقد تضمنت هذه الآية الكريمة فعلي أمر هما:

"آمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم": فعل كلامي إنجازي (أمر) يحمل هذا الفعل الكلامي قوة إنجازية صريحة تتمثل في وجوب الإيمان بما أنزل الله (القرآن)، ففي هذا الفعل يقول ابن عاشور: "شروع في دعوة بني إسرائيل إلى الإسلام وهدى القرآن، وهذا هو المقصود من خطابهم بعد أن قدّم بين يديه ما يهيئ نفوسهم إلى قبوله كما تتقدّم المقدّمة على العرض"⁴.

"وإيائي فاتقون" فعل كلامي طلبي غرضه الإنجازي حتّى المخاطبين من بني إسرائيل على تقوى الله لأنّه لما كانت هذه الآية تأمرهم بالإيمان بالقرآن على سبيل الوجوب ناسبها الأمر بأن لا يتقوا إلا الله لأنّ التقوى معتبر فيها العمل بالمأمورات واجتناب المنهيات، وهو ما تضمنته هذه الآية الكريمة، كما تضمنت فعلي النهي.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾، وقد تضمّن فعل النهي هذا قوتين إنجازيتين: الأولى صريحة ومباشرة: تتمثل في المبادرة إلى الإسلام، والثانية ضمنية غير مباشرة: تتضمّن

1 د. معمر منير العاني، تجليات النقد اللغوي المعاصر في خطاب التفسير، عالم الكتاب الحديث، ط1، الأردن 2014، ص217.

2 ينظر: فولغانغ إيزر، فعل القراءة - نظرية جمالية التجاوب في الأدب، تر عبد الوهاب علوب، دار الخليج، 1995، ص 5.

3 البقرة 41.

4 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 1، ص 458.

الفصل الأول : الأفعال الكلامية في التحرير و التنوير

معنى التعريض والتوبيخ، يقول الطاهر بن عاشور: "المقصود الأهم هو المعنى التعريضي وهو يقوم قرينة على أن القصد من النهي أن لا يكونوا من المبادرين بالكفر أي لا يكونوا متأخرين في الإيمان...¹".

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَرْوَا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ تضمّن ملفوظ هذه الآية فعلاً كلامياً إنجازياً، نهى (لا تستروا) جاء معطوفاً عما قبله، والطرف المخاطب به هم علماء بني إسرائيل وأحبارهم الذين صدّهم عن قبول دعوة الاسلام خشيتهم أن تزول رئاستهم في قومهم، فكان سبيلهم إلى ذلك، هو إنكار هذا القرآن وصدّ الناس عنه، وقد شبّه الحق – سبحانه – عملهم هذا بالصّفقة الخاسرة على سبيل الاستعارة إذ شبّههم بالذي يبيع سلعة غالية بثمن بخس²، فكان القصد من هذا النهي تحذيرهم من مغبّة هذا العمل الشنيع ودعواتهم إلى الالتزام بتقوى الله (وإياي فاتقون).

ج-الاستفهام:

هو أحد أكثر الأساليب الانشائية استعمالاً وأهميّة، ويراد به طلب الفهم أو معرفة ما هو خارج الدّهن، وهو قد يرد على سبيل الحقيقة بحيث أنّ المستفهم يرجو من سؤاله حصول ما لم يكن يعلم قبل السؤال، وقد يرد على سبيل المجاز فيخرج إلى أغراض ومعان أخرى يحدّدها الموقف والسّياق وقرائن الأحوال كالتقرير، وقد مرّ معنا في – الإخباريات – والنفي والتوبيخ وغيرها وهذا كثير في استفهامات القرآن الكريم.

1 المرجع السابق، ج 1، ص 461.

2 ينظر: المرجع نفسه، ج 1، 465.

وربما يجسد الخطاب التوجيهي في الخطاب (الاستفهامي) شأنه في ذلك شأن الخطاب الأمري لتأدية الوظيفة التعبيرية والتأثيرية بسبب تداعيات السياق الاستفهامي القاضي بتكوين حلقة بن طرفي الخطاب، وما ينجم عن هذه الحلقة من عمليتي الإثارة والاستجابة¹.

وقد يخرج الاستفهام عن معناه الوضعي إلى إنجاز معنى آخر يتناسب ومتطلبات السياق وقصد المتكلم ومختلف الملابس المرتبطة بعلاقة المتكلم بالمخاطب².

وقد تجلّى ذلك في مدوّنة ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾³، إذ قال: "وجرى قوله تعالى "هل يستطيع ربك" على طريقة عريّة في العرض والدعاء يقولون للمستطيع للأمر: هل تستطيع كذا، على معنى تطلب العذر له إن لم يعبك إلى مطلوبك وأنّ السائل لا يعب أن يكلف المسؤول ما يشق عليه، وذلك كناية فلم يبق منظوراً فيه إلى صريح المعنى المقتضى أنه يشك في استطاعة المسؤول، وإنما يقول ذلك الأدنى للأعلى منه وفي شيء يعلم أنه مستطاع للمسؤول، فقرينة الكناية تحقق المسؤول أنّ السائل يعلم استطاعته فليس قول الحواريين المعكي بهذا اللفظ في القرآن إلا لفظاً من لغتهم يدلّ على التلطف والتأدّب في السؤال"⁴.

عند التأمل في كلام المفسر نجد أنّه احتوى أبعاداً تداولية غاية في الأهمية إذ الخطاب المحكي هو خطاب الحواريين وهو موجّه إلى عيسى – عليه السلام – وهذا يعني أنّهم لم يطلبوا منه الإجابة عن السؤال نعم أولاً، بل طلبوا منه أن يدعو الله – عز وجل – أن ينزل عليهم مائدة

1 أثار "وأنين" فكرة الإثارة والاستجابة في ميدان علم النفس ثم نقلها "بلومفيد" الى حقل اللغة في ضمن النظرية السلوكية مشيراً إلى أن علمية الكلام هي سلسلة الاستجابات للمثيرات، ينظر: ميشال زكرياء، الألسنية المبادئ والأعلام، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط1، ص 73 - ص235.

2 ينظر: د. خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة، ص 402.

3 المائدة 112.

4 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص264.

من السماء بمعنى أن يتم إنجاز الفعل فيتحوّل من القول بالقوة إلى القول بالفعل، والحواريون عالمون أنّ هذا الأمر ممكن، وما حكاة المفسّر في آخر نصّه "وهذا قائم على التأدّب والتّلفظ في السؤال" نجده متدرجا - أعني تحليله - في التناول اللّساني عند علماء التّداولية القائم على أساس الإحاطة بالعلاقات القائمة في السلوك اللّغوي مع سياقه الاجتماعي والنّفسي لأطراف الخطاب إذ يؤكّد "سيرل" (Searle) أنّ التأدّب "يُعدّ من أبرز الدّوافع لاستعمال الاستراتيجية غير المباشرة في الطّلب وهناك صيغ معيّنة تكاد تكون بطبيعتها طرقاً عرفية للتأدّب في إنجاز الطّلب غير المباشر"¹.

ومن الخطابات التي ورد فيها الاستفهام قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾².

تمثّل الخطاب في هاته الآية الكريمة في الحوار بين نبي الله موسى - عليه السلام - وقومه من بني اسرائيل بشأن قصة القتل التي أمرهم فيها الله - سبحانه وتعالى - بذبح البقرة (وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً ۖ) فعل كلامي لفظي تقرير مؤكّد بـ (إنّ) للدلالة على أهمية الخبر، والقوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي تكمن في كونه أمراً من الله، وهو بهذه الصيغة يكفي للاستجابة والتنفيذ.

﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ فعل تلفظي، ناتج فعل كلامي إنجازي وهو هنا استفهام حقيقي - حسب رأي ابن عاشور³ - يسعى من خلاله السائل إلى الحصول على إجابة، والسؤال فعل كلامي أولي يتطلّب وبقوة رد فعل من المخاطب، والملفوظ السابق يحمل بين طيّاته مضامين مضمرة من باب السّفاهة و سوء الأدب في الحوار و اتّهام النّبي الكريم بأنّه يهزأ بهم و يسخر منهم، والاستفهام يقوم كحجة على نتيجة محدّدة، و سؤلهم في هذا المقام دليل على سفاهتهم وسوء

1 عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009، ص152.

2 البقرة 67.

3 يرى ابن عاشور أنّ الاستفهام في هذا الموضع حقيقي لظنهم أنّ الامر بذبح بقرة للاستبراء من دم القتل كاللعب. ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص 457.

الفصل الأول : الأفعال الكلامية في التحرير و التنوير

أدبهم، وقد نتج عنه آثار سلبية على نفسية المتلقي جعل منه فعلا كلاميا تأثيريا "acte erlocutoire"¹، فكان نتيجة هذا الفعل التأثيري قوله: ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ وهو فعل كلامي إنجازي نتج عن الفعل التأثيري السابق، وفيه تبرأ و تنزّه عن الهزء لأنّه لا يليق بالعقلاء الأفاضل فضلا عن الأنبياء و الرّسل - عليهم السلام -.

ويُعَدّ الإغراء والتّحذير من الأفعال الكلاميّة التي تدخل في ضمن - التوجيهات - بوصفهما يهدفان إلى التّأثير في المخاطب، وحمله على أداء فعل ما، فإذا أراد المتكلّم من المخاطب أن يتجنّب أمرا مكروها أدّى رغبته تلك بالتّحذير، وإذا أراد أمرا محمودا أدّى له تلك الرّغبة بالإغراء، وبمصطلحات "سيرل" (Searle) يكون "الإغراء والتّحذير" كلاهما منتميين إلى صنف التوجيهات².

ويقوم (الإغراء) على أساس التّنبية والدّعوة إلى الفعل، فهو يطلب في الإغراء على سبيل التّروغيب، لا من طريق الإلزام³، والإغراء له عمل توجيهي مضاد للتّحذير، فالتّحذير هو توجيه إبعاد في حين يكون الإغراء توجيه تقريب، ونجد هذا الفعل واضحا في مدوّنة المفسّر عندما أتى إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾⁴، قال : "والاستفهام مستعمل في العرض مجازا، لأنّ العارض قد يسأل المعروض عليه ليعلم رغبته في الأمر المعروض كما يقال : هل لك في كذا؟... والغرض هنا كناية عن التشويق إلى الأمر المعروض، وهو دلالة إيّاهم على تبارة نافعة... وأطلق على العامل الصّالح لفظة التّجارة على سبيل الاستعارة لمشابهة العمل الصّالح التّجارة في طلب النفع من ذلك العمل ومزاولته"⁵.

1 قدور عمران، البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني اسرائيل، رسالة دكتوراه جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 115-116

2 ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص213.

3 المرجع نفسه، ص213.

4 الصف 10.

5 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج28، ص173.

وبحسب رؤية - ابن عاشور- فإنّه عند التأمل في الخطاب نجده أنّه ينضوي على فعل كلامي وهو إغراء المخاطب لإنجاز الفعل بالرغم من أن البنية الشكلية تدلّ على الاستفهام، وقد بيّن المفسّر سبب عدول المخاطب عن التعبير عن القصد الحقيقي، ونلاحظ أنه ارتكز على مبدأ تداولي غاية في الأهمية وهو (مبدأ التأدّب) ومثلما تناول المفسّر الإغراء تناول أيضا (التّحذير) المقرون بالوعيد في معالجته التّداولية في نطاق البيئة الواقعية للغة المدروسة، يكشف فيه إنجاز فعل خطابي في موقف اجتماعي عبر تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾¹، إذ قال : "واتّصب (ناقّة الله) على التّحذير والتّقدير: احذروا ناقّة الله، والمراد التّحذير من أن يؤذوها (ناقّة الله)، تكذيب ثان وهو تكذيبهم بما اقتضاه التّحذير من الوعيد، والإنذار بالعذاب إن لم ينفذوا الاعتداء على تلك النّاقّة"، والمراد بالتّكذيب الثّاني في كلام المفسّر أنّهم كذبوا صالما - عليه السّلام - أول الأمر عندما دعاهم إلى الله جلّ وعلا، والتّحذير يستلزم الوعيد ووجه الاستدلال أنّ النّمط في ظاهره (تعزيز) بوصفه خطابا صادرا من الله . عز وجل . يترتب عليه أن تكون نتيجة الفعل التوجيهي ملزمة للمرسل إليه عبر سلطة المرسل، لأن ما يجعل من الخطاب إنجازا لفعل توجيهي هو ربطه بـ (أنا) المرسل³.

خلاصة القول أنّ المرسل يستعمل أكثر من آلية لإنجاز فعله اللّغوي غير المباشر، وذلك بالارتكاز على الخلفية المعرفية والمعطيات الحافة بالخطاب، ولهذا ذهب علماء التّداولية إلى أنّ نجاح الخطاب تداوليا مرهون بسياقه المنجب له⁴.

1 الشمس 13.

2 المرجع السابق، ج30، ص330.

3 ينظر: مؤيد آل صوينت، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، ص18.

4 ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 212.

3/- الوعديّات (الإلزاميات): هي الأفعال الفرضية (الإنجازية) التي تهدف إلى إلزام

المتكلّم بالقيام بعمل ما، ويكون اتجاه المطابقة فيها من العالم إلى القول، وشرط الإخلاص فيها هو القصد والمحتوى القضوي فيها هو دائما فعل المتكلّم شيئا في المستقبل¹.

وتتمثل الأفعال الكلامية الإلزامية في أفعال الوعد والوعيد وكذا أفعال البشارة ونحوها لارتباطها بالجزاء والتّعيم الذي أعدّه الله تعالى لعباده المتّقين في الجنّة، كما تتمثّل في أفعال العقاب والعذاب الذي توعّد به عباده الكافرين والمكذّبين في النّار يوم القيامة.

وتتحقق أفعال الوعد والوعيد بموافقة قواعد تحدّد مقصد الباث (المتكلّم) الذي له نيّة الوعد، إذ يحاول المتكلّم عبرها تحقيق مقصدين أوّلهما الوعد والآخر إبلاغ الوعد.

ومما نسجّله من خلال كلام ابن عاشور ومعالجته لقضية الوعد والوعيد، ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾²، قائلا : "والوعد أعم من الوعيد، فهو يطلق على الإخبار بالتزام المفبر للمفتبر بشيء في المستقبل نافع أو ضار أولا نفع فيه ولا ضرر ... والوعيد خاص بالضرر، والفعل المضمر هنا، إمّا للإخبار عن وعيد تقدّم وعده الله المنافقين والمنافقات تذكيرا به لزيادة تفقيقه وإمّا لصوغ الوعيد في الصيغة التي تنشأ بها العقود (بعت ووهبت) إشعارا بأنّه وعيد لا يتخلّف مثل العقد والالتزام"³.

وقد جعل المفسّر دلالة الوعد تتمحور حول المستقبل، وقد استند في ذلك على الثقافة الدّينية ومعرفته بالسياق الكلّي للقرآن، فالمفسّر مركّز لديه بقرينة تداولية، وهذا يعني أن ما أورده ابن عاشور من تحليلات ومعالجات لهذا الفعل الكلامي تلتقي كثيرا مع ما جاء به التّدالويون عندما وقفوا عند الخطاب غير المباشر بوصفه الاستراتيجية التي يعبر بها المرسل عن القصد بما يغيّر معنى الخطاب الحرفي لينجز بها أكثر ممّا يقول... فيعبر عنه بغير ما يقف عنه اللفظ

1 ينظر: صلاح اسماعيل عبد الحق، التحليل اللغوي عند جماعة أوكسفورد، ص 25.

2 التوبة 68.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج10، ص145.

مستثمراً في ذلك عنصر السياق¹. وفي قوله تعالى: ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هَذَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ²﴾.

تضمّن الملفوظ الكلامي في هاتين الآيتين فعلين إلزاميين، ففي الآية الأولى نجد الوعد بعدم الخوف وعدم الحزن للمؤمنين المصدقين جزاء اتباعهم هدى الله.

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هَذَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، شملت هذه الآية مجموعة من الأفعال اللفظية المتتالية هي: (قلنا) فعل كلامي لفظي تقريرى يفيد الإخبار بما سيأتي بعده، والمتكلم هاهنا هو الله - سبحانه وتعالى -.

﴿اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ فعل كلامي تلفظي إنجازي، أمر بالهبوط من الجنة لآدم - عليه السلام - ثم اتبعه بملفوظ كلامي "فَأَمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى" ملفوظ كلامي إنجازي أفاد الشرط الذي اتبعه بشرط آخر³، لأجل إقامة الحجة على المخاطبين لتكون النتيجة "فَمَنْ تَبَعَ هَذَايَ" فعل تلفظي كلامي إنجازي تقريرى، شرط نتيجته ﴿فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، فعل تلفظي تقريرى قوته الإنجازية تتمثل في الوعد بالجزاء.

وفي الآية الثانية ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فعل تلفظي كلامي تقريرى أفاد الشرط الذي كان جوابه "أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" فعل تلفظي تقريرى تتمثل قوته الإنجازية في الوعيد بالعذاب في النار.

1 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص370.

2 البقرة 38 - 39.

3 ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص 441.

يقول الطاهر بن عاشور في تفسيره لهاتين الآيتين: قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ هو في معنى العهد الذي أخذه الله على آدم فلزم ذريته أن يتبعوا كل هدى يأتيهم من الله، وأن من أعرض عن هدى يأتي من الله فقد استوجب العذاب...¹.

ويمكن القول: أن المعول عليه في إنشاء هذه الأفعال الكلامية (غير المباشرة) بلفظ الخبر، هو فاعلية السياق، وقصد المتكلم مع قدرة المخاطب على الاستدلال على المعنى المقصود.

وطبق ابن عاشور تنظيره للوعد في موضع آخر حاول فيه تبيان أهمية إنجاز الوعد والوفاء به من طريق الحوار بين المتكلم والمخاطب لطمأننة المخاطب للوفاء بهذا الوعد، إذ فسر حوارية إسماعيل وأبيه إبراهيم - عليهما السلام - في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي إِذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ قال يا أبتِ افعل ما تؤمر - ستجدني إن شاء الله من الصابرين²، قال ابن عاشور: "وجملة (ستجدني) هي الجواب لأن الجمل التي قبلها تمهيد للجواب كما علمت فإنه بعد أن حثه على فعل ما أمر به وعده بالامتنال له وبأنه لا يفرع ولا يهلع بل يكون صابرا، وفي ذلك تخفيف من عبء ما عسى أن يعرض لأبيه من العزن لكونه يعامل ولده بما يكره، وهذا وعد قد وفى به حين أمكن أباه من رقبتة وهو الوعد الذي شكره الله عليه في الآية الأخرى في قوله: "وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ"، وقد قرن وعده بـ (إن شاء الله) استعانة على تحقيقه"³.

وهذا الخطاب نجده يتضمن أكثر من بُعد، وإن كان أظهرها بُعد التضامن الذي كان المحدد الرئيس لعملية إنتاج الخطاب فهو الدافع والحافز لإنشاء عملية التلطف.

1 المرجع السابق، ص 443.

2 الصّافات 102.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 23، ص 65.

إذن العلاقة التضامنية بين القطبين (المتكلم، المخاطب) تشترك في إنجاز الوعد كما حصل بين إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام -.

4 / التعبيرات (الإفصاحيات):

التعبيرات هي نوع من أفعال الكلام التي يعبر فيها المتكلم عن حالته النفسية اتجاه أشياء محدّدة، أو شخص ما، أو شيء بعينه، أو موضوع أو فكرة¹، وهي لا تخص ما يتعلق بالمتكلم من أحداث بل تتعداه إلى ما يحدث للمشاركين من الفعل وانعكاساته النفسية، وهي تتضمن الشكر، الاعتذار، التهنئة، الحسرة والشوق، والحب والكره².

وقد ورد في الخطاب القرآني ما يعبر عن الحالات النفسية والمواقف الانفعالية نحو قوله تعالى حكاية عن قوم موسى - عليه السلام -: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثَبِّتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ۖ﴾³.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ﴾ فعل كلامي تلفظي متعلق بمحذوف تقديره (اذكروا) متبوع بفعل كلامي تأثيري، "نداء" الغرض الإنجازي منه تنبيه المدعو وتهيته لتلقي الخطاب.

﴿لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ فعل كلام لفظي تعبيرى تتمثل قوّته الإنجازية في تذكّر القوم ونفاذ صبرهم، فلم يعودوا يحتملون الحالة التي هم عليها فعبروا عن ذلك بعدم الصبر، يقول المفسّر - ابن عاشور -: "إِنَّ سؤَالَهُمْ تَعْوِيزُ الْمَنِّ وَالسَّلْوَى بِالْبَقْلِ وَنَوْهُ يَدْعُ مَعْصِيَةً لِّمَا فِيهِ مِنْ كَرَاهَةِ النِّعْمَةِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ بِهَا عَلَيْهِمْ إِذْ عَبَرُوا عَنْ تَتَاوُلِّهَا بِالصَّبْرِ وَالصَّبْرُ حَمْلُ النَّفْسِ عَلَى الْأَمْرِ الْمَكْرُوهِ"⁴.

1 ينظر، حجي الصراف، في البراغماتية: الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص212

2 ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 104.

3 البقرة 61.

4 ابن عاشور، التحرير والتنوير ج 1، ص 521

{ فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض } : فعل كلام طلبى، أمر قوّته الإنجازية تتمثل في الدّعاء، والذي هو طلب خضوع وحرص على إجابة المطلوب.

إنّ طلبهم هذا يقوم مقام الدّليل والحجّة على سفاهتهم وسوء أدبهم، وقد أدّى إلى نتائج سلبية وآثار نفسية على المتلقّي جعلت منه قول كلام تأثيري، فكان ردّه – عليه السّلام - " قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير" وهو فعل كلامي لفظي، استفهام غرضه الإنجازي هو الإنكار نتيجة فعل الكلام التأثيري الذي سبقه.

ومن جملة القضايا التي أولاها ابن عاشور عنايته قضية المعاني الحاصلة في أقوال الله - عز وجل -، وما يتعلّق بذاته وصفاته، ومن ذلك إضافة التّعجب له، في قوله تعالى: " **بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ** " ¹.

يقول ابن عاشور: " قرأ الجمهور (بل عجبْتَ) بفتح التاء للفطاب، والفطاب للنبي . صلى الله عليه وسلم . والمعنى: أعجب لهم وتبوز أن يكون العجب قد حصل للنبي . صلى الله عليه وسلم . لما رأى إعراضهم وقلة إنصافهم فيكون الفبر مستعملاً في حقيقته ... وقرأ حمزة والكسائي وخلف (بل عجبْتَ) بضمّ التاء للمتكلم فيبوز أن يكون المراد: أن الله أسند العجب إلى نفسه، ويعرف أنه ليس المراد حقيقة العجب المستلزمة الرّوعة والمفاجأة بأمر غير مترقب بل المراد التعجب أو الكناية عن لازمه، وهو استعظام المتعجب منه ² ".

والملاحظ أنّ ابن عاشور أطلق على التّعجب المنسوب إلى الله مصطلح (التّعجب) ³ مرتكزا في ذلك على قرينة تداولية وهي العادة أو العرف، وهو يدرك أنّ نسبة التّعجب إلى الله أنّه لا يتعجب، أو يتأثر، بل جاء الخطاب على شاكلة كلام العرب، فخطبهم الله بما يفهمونه

1 الصافات 12

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج23، ص 17 - 18

3 أول من أطلق هذا المصطلح هو الزمخشري، ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص161.

فالعجب من الله إنكار لأفعالهم من إنكارهم البعث وسخرياتهم من القرآن، وازدراءهم بالرسول جراً على الله وتمرداً وعدواناً¹.

ولا يصح حمل الكلام على التمثيل أو المجاز لأنه لا يصح أن يتعجب المتكلم من نفسه، وهو ما قرره ابن عاشور في قوله: "لأن التعجب مستفيلة حقيقته على الله لأن ذلك لا يلتفت إليه في معامل الكلام البليغ لإمكان الرجوع إلى التمثيل... بل لأنه لا يستقيم تعجب المتكلم من فعل نفسه، فيكون معنى التعجب فيه من قبيل قولهم أتعجب من قول فلان كيت وكيت"².

فالمفسر يركّز على النظرة الخارجية للنص وأثرها في الوصول إلى المعنى والمراد ويمكننا القول: إن (التعجب) و (التعجب) عند ابن عاشور يُعدّان فعلين كلاميين ينتميان إلى صنف - التعبيرات - ، ولا فرق بينهما إلا في نسبة التعجب³، وهو ما بيّنه في تعبيره لقوله تعالى ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾⁴ إذ قال: "أسمع بهم وأبصر" صيغتا تعجب، وهو تعجب على لسان الرسول والمؤمنين، أو هو مستعمل في التعجب من بلوغ حالهم في السوء مبلغاً يتعجب من طاقتهم على مشاهدة مناظرة وسماع مكارهه والمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم في ذلك اليوم، أي ما أقدرهم على السمع والبصر لما يكرهونه⁵ ، فالمفسر في عملية تفكيك النص وتأويله كشف لنا مدى فهمه التداولي وذلك عندما جعل الخطاب الذي ينسب إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - الفعل الكلامي يسمى (تعجباً) أما إذا كان ينسب إلى الله تعالى، فالفعل الكلامي يسمى (تعجبياً) ، وما أورده ابن عاشور يلتقي مع ما جاء به

1 ينظر: ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، دار الشروق، بيروت، 2007، ص 301

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص 14

3 ينظر: مؤيد آل صوينت، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، ص 111.

4 مريم 38

5 ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج12 ، ص120

التداوليون عندما زادوا على (التعجب) فعلا كلاميا ثانيا هو (التعجب)، ومعناه حمل المخاطب على التعجب، إذ أنّ فعل التعجب فيه معروف إلى المخاطب "1".

5. الأفعال الإعلانية (التصريحيات):

وهي أفعال كلامية تهدف إلى إحداث تغيير في الوضع القائم بمجرد التلّفظ بها²، وأفعال هذا المجال عند "أوستين" (Austin) كانت مبعثرة في أكثر من مجال أبرزها مجال الأحكام ومجال القرارات، وقد جمعها "سيرل" (Searle) في مجال واحد، ويدخل في هذا الصنف البيع والشراء والهبة والوصية والإجارة والزواج والطلاق وهي كلّها ينجز فيها الفعل الكلامي بمجرد النطق بها كما نصّ على ذلك الفقهاء³.

ويمكن تصنيف (آيات الأحكام) جميعا في ضمن هذه الفئة من الأفعال اللّغوية، فما يعرف عند الأصوليين من صيغ التّكليف في دراستهم للأحكام الشرعية ينبئ عن وعي مبكّر لهذا الفهم، وهذا ما رُصد عبر تحليلات ابن عاشور الذي كان يغترف من معين الأصوليين، فعند تفسيره لقوله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون"⁴، بيّن ابن عاشور الهدف من تحريم الخمر عبر فعل الأمر (فاجتنبوه) وأنّ هذا التّحريم تمّ بواسطة استراتيجية التّدرج، إذ قال: "إنّ المعوّل عليه من قول علمائنا أنّ النهي عن الفمر وقع متدرّجا ثلاث مرّات فلا جرم كان هذا التّحريم بمحل العناية من الشارع متقدّما للأمة في إيضاح أسبابه رفقا بهم واستئناسا لأنفسهم، فابتدأهم بآية سورة البقرة، ولم ينفعهم فيما كانوا يتعاطون من ذلك، بل أنبأهم بعذرهم في قوله: "قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ

1 ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص162

2 محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 50

3 ينظر: المرجع نفسه: ص 102.

4 المائدة 90

وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِنَّهُمْ هُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا¹، ثم بآية سورة النساء، ثم كَرَّ عليها بالتحرير بآية سورة المائدة فقصرا أمرهما في أنهما رجس من عمل الشيطان ورجا لهما الفلاح في اجتنابهما بقوله: "لعلكم تفلحون"³.

وقد بيّن المفسّر ابن عاشور حكمة الله في التدرّج في تحريم الخمر، إذ لم يحرمه دفعة واحدة، واتجه إلى التفصيل شيئاً فشيئاً حتّى يؤثّر في نفس المتلقّي ويفهم الهدف من تحريم الخمر، وكل ذلك معتمد فيه فهم المتلقّي وإدراكه، لأنّ المخاطبين بالقرآن لم يكونوا على مستوى واحد من الفهم والإدراك ولم يكونوا على درجة واحدة في اتصالهم بصاحب الرّسالة⁴.

والشرع إنّما تدرّج في استعمال الخطاب مراعيًا المجال وظروف المخاطبين حتّى لا يشقّ عليهم ولا يثقل، وهذا الفهم رصده الطّاهر بن عاشور من خلال تحليلاته وتفسيراته لهذه الآية، وقد تضمّنت الآية مقصدين مهمّين بحسب رؤية ابن عاشور يتمثّلان في تبليغ أضرار الخمر ومفاسده مع تحقيق قصد التحريم، ومن ثمّ وجب التواصل والتفاعل بين المتلقّي الذي فهم حكمة التدرّج والمخاطب.

والضّابط في ما يتعلق بصنف - الحكميات - هو انطلاق المتكلّم من السّلطة التي تخوّله لاتّخاذ القرارات والأحكام، فالسّلطة لها أثر في إنتاج الخطاب وتأويله، ولو تصفّحنا مدوّنة ابن عاشور لوجدنا فيها قريباً من هذا الفهم، وإذا عدنا إلى تفسيره لقوله تعالى: ﴿بَدِيعَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾⁵، يقول ابن عاشور: "والظّاهر أنّ القول والمقول والمتسبّب هنا تمثّل لسرعة وجود الكائنات عند نعلق الإرادة بهما بأن تشبّه فعل الله تعالى

1 البقرة 219

2 وهو قوله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ" النساء من الآية

43

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير 196/5

4 ينظر: د. محمد مفتاح، دينامية النص (تنظير وإنجاز)، المركز الثقافي العربي، 1990، ص 204

5 البقرة 117.

بتكوين شيء وحصول المكون عقب ذلك بدون مهمة بتوجيه الأمر للمأمور بكلمة الأمر وحصول امتثاله عقب ذلك " ¹ .

عند تأمل كلام المفسر نلاحظ أنّ هناك فعلا كلاميا مندرجا في ضمن - الحكميات - يتحقق بمجرد التّلفظ بالمنطوق الإنجازي (كن فيكون)، وهذا الفعل الكلامي الحكمي يراد به سرعة قدره الله تعالى، وهذا الصنف يسمّيه "سيرل" (Searle) الإيقاعيات الخارقة للطبيعة، وما طرحه "سيرل" (Searle) في هذا المبحث لا يختلف عما أورده ابن عاشور.

وعادة ما يلجأ المتكلم في - الحكميات - إلى انعدام أسلوب التّصريح عندما يريد تحقيق هدف خطابي وهذا في باب التّكليف حتى لا يقع اللبس والإبهام وعدم الوضوح للمتلقي، لأن الضبابية من شأنها أن تعيق عملية التواصل وتحقيق الهدف من التّخاطب، فالأفعال الكلامية إن استخدمت هنا غير مباشرة، فسوف تؤدي إلى اللبس وضياع الحقوق ² .

ولذا كان باب الأحكام قائما على التّصريح في صيغ التكاليف كالأمر والنهي، وهذا ما يتضح من خلال كلام المفسر عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ ³، قائلا: " وهذه الآية صريحة في إيجاب الوصية، لأنّ قوله (كتب عليكم) صريح في ذلك، وجمهور العلماء على أنّها ثبت بها حكم وجوب الإيصاء للوالدين والأقربين، وقد وقت الوجوب بوقت حضور الموت ويلحق به وقت توقع الموت " ⁴ .

فالظاهر ابن عاشور أدرك القصد الإلهي وهو التّصريح بالأمر بوجوب الوصية التي تندرج ضمن - الحكميات - بحسب الاتجاه التّداولي ⁵، وهذا دلّ عليه صيغة الأمر (كتب عليكم)

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج5، ص 196.

2 ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 86

3 البقرة 187

4 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج2، ص 174

5 بنظر: علي محمود حجي الصراف، في البراجماتية، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة، ص210.

وهي من أقوى صيغ الدلالة على الوجوب، وما فهمه الطاهر بن عاشور يلتقي مع ما تبناه علماء التداولية واصطلحوا عليه بـ (الأفعال المباشرة) وهي تعتمد الأسلوب الصريح الذي يفهمه المتلقي دون عناء أو إبهام.

وخلاصة ما جاء في هذا الفصل فإنّ نظرية الأفعال الكلامية التي أسسها رواد الفلسفة التحليلية¹، تمثل لبّ الدراسة التداولية، ويُعدّ الفعل الكلامي الإنجازي هو المحور الذي تدور حوله جميع مباحث هذه النظرية، والتي بيّن أصحابها أنّ وظيفة اللّغة لا تقتصر على مجرد الوصف بل هي أداء فاعلة للتأثير في العالم الخارجي، وهذه النظرية تناولها علماء العرب القدامى ضمن - الخبر والإنشاء - فكانوا سباقين للاهتمام إليها تطبيقاً وممارسة من خلال مصنّفاتهم، كما أنّهم راعوا الجانب الاستعمالي للّغة واعتنوا بالسياق، وكذا الإفادة ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، والطاهر بن عاشور من خلال تحليلاته وتعبيراته أظهر ارتكازه وارتكابه إلى جملة من المباحث والقضايا التداولية المهمّة التي جاءت مبنوثة في نصوصه وتعبيراته، واستطاع أن يظهر مقدرة لسانية تدرج ضمن نظرية الأفعال الكلامية على تنوع تصنيفاتها.

1 من أمثال فغنشتاين، وأوستين وسيرل، وغيرهم.

الفصل الثّاني:

المنحى الحجاجي في التّحرير والتنوير

• تمهيد

• المبحث الأول: الحجاج في الدّرس العربي.

• المبحث الثاني: الحجاج في المنجز الغربي.

• المبحث الثالث: المنحنى الحجاجي في التّحرير والتّنوير.

تمهيد:

يُعدّ الحجاج استراتيجية تكتسب بُعدها من الأحوال المصاحبة للخطاب، وهو من أهمّ المواضيع التي أنتجتها الدّراسات اللّغوية الحديثة في الحقل اللّساني التّداولي، باعتباره مجموعة من التّقنيات والآليات الخطابية التي توجّه إلى المتلقي بغرض إقناعه والتأثير فيه.

والحجاج مفهوم قديم له جذوره في التّراث العربي، وقد اندرج قديماً ضمن ما يعرف بالبلاغة والخطابة وفنّ الإقناع، وكثيراً ما عُرف في التّقاftين العربيّة والغربيّة بمعنى الجدل والمناظرة والإلقاء وما إلى ذلك، ثمّ تطوّر الاهتمام بالحجاج عند الغرب في العصر الحديث وصار موضوعاً خاصّاً قائماً بذاته ومجالاً مستقلاًّ للبحث والدّراسة وارتبط بالكثير من العلوم اللّغوية والعقلية بما في ذلك الفلسفة والمنطق واللّسانيات.

1/ المعنى اللّغوي للحجاج:

يرجع مصطلح الحجاج إلى الجذر اللّغوي (ح ج ج¹)، وقد تعدّدت الدّلالات اللّغوية لهذه المادة بحسب تعدّد استعمالاتها فقد قيل: حاجّه ومحاّجه وحجاجاً، أي، جادله ونازعه الحجّة، ويقال حجّه يحجّه حجّاً، غلب على حجته، وفي الحديث "حجّ آدم موسى²" أي غلبه بالحجة، وكذا قوله صلى الله عليه وسلم في حديث الدّجال: "إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه³"، أي: مُحاجه ومُغالبه بإظهار الحجّة عليه.

والتّحاج: التّخاصم، والحجّة هي الدّليل والبرهان، وتجمع على حجج وحجاج، وقال الليث: "الحجة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة".

1 ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (ح ج ج)

2 ينظر: مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط 1 سنة 1991، ص 243.

3 ينظر: أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، تح تعيين الأرنؤوط، دار الفكر، دمشق، 1979، ج 06، ص 375.

أما الاستعمال القرآني فنجد أنّ مصطلح الحجاج لا يكاد يخرج عن معارضة الخصم بالخطاب وإقامة الحجج والبراهين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾¹ أي: تخاصموننا وتجادلوننا؟ وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾²، أي جادل، وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَتُحْجِّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾³، أي: يجادلونني في أمر الله وإنه لا إله إلا هو وقد بصّرني وهداني إلى الحق ... إلى غير ذلك من الآيات الدالة على المعنى، وهذا يؤكد أنّ الحجاج في القرآن الكريم لم يخرج عن معناه اللغوي، يعني أن ليس له معنى اصطلاحى زائد أو مغاير للمعنى اللغوي، وهذا هو ما ذهب إليه علماء التفسير والمشتغلين بالمفردات القرآنية في تفسير مصطلح الحجاج⁴.

والملاحظ أنّ مجموع المعاني المعجمية لمصطلح الحجاج تدل على النزاع والتخاصم والجدل والغلبة، أي: إنّ الحجاج يتم بين طرفين بينهما خصومة أو نزاع، وبالحجة يغلب أحدهما الآخر ويكون هذا النزاع أو الخصام مدعماً بالأدلة والبراهين الكلامية والحجج العقلية التي من شأنها أن تحقق الهدف المرجو من هذه المنازعة أو المخاصمة ألا وهو إقناع المتلقي والتأثير في سلوكه واعتقاده.

أما في المعاجم الأجنبية فنجد أنّ مصطلح (Argumentation) يشير إلى عدة معان تقارب إلى حدّ بعيد ما سبق ذكره في المعاجم العربية نذكر منها⁵:

- ✓ القيام باستعمال الحجج.
- ✓ مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة.
- ✓ فنّ استعمال الحجج أو الاعتراض بها في مناقشة معيّنة.

1 البقرة 139.

2 البقرة 285.

3 الأنعام 80.

4 ينظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل أي القرآن (تفسير الطبري)، ج 02 ص 607.

5 Le grand dictionnaire de la langue franctoi – paris 1989 p 535.

بعد تتبّع الدلالات اللّغوية لمصطلح الحجاج في المعاجم اللّغوية العربية والأجنبية نجد أنّ هناك توافق بين المعنيين، فكلاهما يجعل من الحجاج جدلاً قائماً بين الطرفين حول فكرة معيّنة، ويستخدم كل من المتكلم والمخاطب الأدلة والبراهين لدعم أو دحض هذه الفكرة فالتّعريفات المعجمية لمصطلح، (الحجاج / Argumentation) لم تخرج عن إطار استعمال الحجة والدليل والبرهان إمّا للدفاع أو الاعتراض على فكرة معيّنة.

2.1- المعنى الاصطلاحي للحجاج:

يُعدّ مفهوم الحجاج من المفاهيم المثيرة للالتباس بالنسبة للباحث عن ضبطه وتدقيقه ويعود ذلك إلى عدة عوامل أهمها:

- ✓ تعدّد مظاهر الحجاج وتنوّعها (الحجاج الصّريح، الحجاج الضمني ... الخ)
 - ✓ تعدّد استعمالات الحجاج وتباين مرجعياتها، الخطابة، الخطاب، القضاء، الفلسفة، المنطق، التّعليم ... الخ.
 - ✓ خضوع الحجاج في دلالاته لما يميّز ألفاظ اللغة الطبيعية من رخوة وليونة تداولية، وكذلك من تأويلات متجدّدة وطوعية استعمالية¹.
- أضف إلى ذلك أنّ الحجاج حقل معرفي يتميّز بكثرة الرّوافد التي أسهمت في بلورته، وكثرة الحقول المعرفية التي تتقاطع معه كالبلاغة واللّسانيات والمنطق.... الخ، والباحث في هذا المجال يجد نفسه أمام زخم معرفي وكم هائل من الكتابات والمرجعيات النظرية التي من شأنها أن تقف حائلاً دون حصر المصطلح والإحاطة به.

1 ينظر: حسن أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي " عناصر استقصاء نظري جملة عامة الفكرة المجلس الوطني للثقافة والفنون، والآداب بالكويت ع 01، مج 30 يوليو، سبتمبر 2010 ص 97-98.

وحتى تتمكن من وضع تعريف اصطلاحي جامع للحجاج لابد من تتبع المسار التاريخي لمفهوم هذا المصطلح في الثقافتين العربيّة والغربيّة والوقوف على أهمّ الدّراسات التي تناولته مركزين في ذلك على الحجاج اللّغوي فهو المقصود بالدّراسة.

المبحث الأول: الحجاج في الدرس العربي:

1- الحجاج في الدرس العربي القديم:

تضمّنت الدّراسات العربيّة القديمة – على اختلافها – إشارات واضحة إلى الحجاج، الدّي ورد في مؤلّفات القدماء، وقد حظي باهتمامهم وأولوه عناية فائقة لارتباطه بفنّي الخطاب والمناظرة وكلاهما قد شكّلا محور المجال العقدي والسياسي في البيئة العربية، كما أنّهما يهدفان إلى الإقناع والتأثير في السّامع، وعن أهمية الحجاج يقول الباجي (ت474هـ) موضّحا: "وهذا العلم من أرفع العلوم قدرًا وأعظمها شأنًا لأنه السّبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة، ولا علم الصّحيح من السّقيم ولا المعوج من المستقيم"¹، وهذا يبيّن مدى أهمية معرفة قواعد الحجاج.

وقد ورد مصطلح الحجاج مرادفا للجدل في الثقافة العربية فالباقي (ت474 هـ) عنون كتابه -المنهاج في ترتيب الحجاج-، وفي مقدمة الكتاب يصفه بأنّه كتاب في الجدل، حيث يقول: "... فإنّي لمّا رأيت أهل عصرنا على سبيل المناظرة ناكبين وعن سنن المجادلة عادلين أزمعت على أن أجمع كتابا في الجدل"²، فالحجاج عنده مرادف للجدل، وممّن سلك مسلك الباقي في كونهما مرادفين – أقصد الحجاج والجدال – الزّركشي (ت 794 هـ) صاحب البرهان " في علوم القرآن " والسّيوطي (ت 911 هـ) في " الإتيقان في علوم القرآن " وغيرهم كثير ... ممّن أقرّوا على وجود التّرادف بين المصطلحين، ويرى بعض الدارسين على - غرار عبد الله صولة - أن اعتبار القدماء الحجاج مرادفا للجدل من شأنه أن يضيق مجالات الحجاج باعتبار أنّ مجاله أوسع من مجال الجدل³.

1 أبو الوليد الباقي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح عبد المجيد تركي، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط 03، ص 08.

2 المرجع نفسه، ص 07.

3 ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، 2001، ص15-17.

وهذا يعكس ما فسّره بعض الباحثين من أنّ ارتباط الحجاج بالجدل قد اقتضته طبيعة البيئة العربية التي كثر فيها المناظرات الكلامية والطوائف الدينية، فكانت الحاجة ماسّة إلى الحجاج.

1.2-الحجاج عند الجاحظ (ت 255 هـ):

يعدّ الجاحظ من أبرز من تحدّثوا عن موضوع الحجاج حيث ربطه بمفهوم البيان، جاء في كتابه "البيان والتبيين": "مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسّامع إنما هو الفهم والإفهام فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"¹. وترتبط دراسة الحجاج عند الجاحظ بدراسته للبيان الذي اهتم فيه بالفهم والإفهام، ويتلخّص مفهوم البيان عنده في المعرفة (الوظيفة الإفهامية)، وهو كذلك الإقناع (الوظيفة الإقناعية)².

ومن العناصر الحجاجية التي اهتم بها الجاحظ: "مقتضيات المقام وما تشمله من أحوال الخطيب، وكفاءته اللغوية، وهيئته وصفاته الخلقية، وما يحسن عليه وما يقبح، فالجاحظ دائم الإلحاح على الشروط اللازم توفرها في المتكلّم من حيث الخبرة والحقق للآلة البلاغية والنصوص الاستشهادية الضرورية لكل حجاج، علاوة على تخيّر القلب اللّغوي الكفيل بإنجاح الفحوى والمقاصد ودفع السّامع إلى تحقيق المضامين النصّية"³.

كما نجد أنّ الجاحظ قد يجعل من الحجاج مرادفاً للبلاغة في بعض استعمالاتها فقد نقل عن إسحاق بن حسان بن قوهي أنه قال: "البلاغة اسم جامع لمعان تجري في وجوه كثيرة فمنها ما يكون في السّكوت ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة ومنها ما يكون في الاحتجاج..."⁴، ولعلّ هذا الارتباط بين البلاغة والحجاج جاء نتيجة لكون علم البلاغة يهتم بالجانب الذاتي الإبداعي وكذا بالجانب التّداولي الإقناعي.

1 الجاحظ، البيان والتبيين، ص 76.

2 ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، ط1، 1999، ص 194.

3 الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 192.

4 المصدر نفسه، ج1، ص 115-116

1.3-الحجاج عند ابن وهب (ت 335 هـ):

إضافة إلى جهود الجاحظ الحجاجية نجد ابن وهب قد تناول موضوع الحجاج بالتفصيل في كتابه " البرهان في وجوه البيان " وجعله نوعا من أنواع النثر يقول: " فأما المنثور فليس يخلو من أن يكون خطابا أو توسّلا أو احتجاجا ..."¹، فهو نوع من أنواع النثر عنده، شأنه شأن أصناف النثر الأخرى.

ويربط ابن وهب بين الحجاج والجدل يقول: " وأما الجدل والمجادلة فهما قول يقصد بهما إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين ويستعمل في المذاهب والديانات وفي الحقوق والخصومات وفي التوسل والاعتذارات ويدخل في الشعر وفي النثر"².

فمن خلال كلامه نستشف أنّ الحجاج من أساليب الجدل لإقامة الحجة وإفحام "الخصم والتغلب عليه بالاستناد إلى البراهين العقلية والأدلة المنطقية، وهذه المحاولات لابن وهب من خلال كتابه الماتع " البرهان في وجوه البيان " تعدّ من أبرز المحاولات في التراث العربي ويمكن إجمال ما جاء به في النقاط التالية³:

- أ- قدّم ابن وهب تعريفا للجدل والمجادلة، وبيّن أن الجدل عبارة عن خطاب تعليلي إقناعي.
- ب- ذكر ابن وهب أنّ مقام الجدل وإن كان مقام اختلاف وخصومة فإنّه لا ينبغي إغفال الاعتبار الأخلاقي، بل هو من أوجب ما توجبه تلك المقامات.
- ج- ذكر ابن وهب في مبحثي " الجدل والمجادلة " و " أدب الجدل " ما يمكن أن ينظر إليه الآن من منظور الاستراتيجيات الاتصالية الحجاجية، ومن بين هاته الاستراتيجيات:
 - ✓ أن يبني المجادل مقدّماته ممّا يوافق الخصم عليه.
 - ✓ ألا يقبل قولاً إلا بحجة ولا يردّه إلا لعلّة.

1 ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح خفي محمد شرف، جامعة بغداد، ص 150.

2 المرجع نفسه، ص 176.

3 عمارية حاكم، الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي، دراسة لسانية تداولية في الخطابة العربية أيام الحجاج بن يوسف الثقفي دار الصماء، دمشق، ط 01، 2015، ص 135- 137

✓ ألاّ يجيب قبل فراغ السائل من سؤاله، ولا يبادر بالجواب قبل تدبره واستعمال الرويّة فيه.

✓ أن يخاطب الناس بما يعهدون ويفهمون، فلا يخرج في خطابهم عمّا توجبه أوضاع الكلام.

✓ أشاد ابن وهب بقيمة الحجاج وبيّن أهميته فقال: "وقد أجمعت العلماء وذووا العقول من القدماء على تعظيم من أفصح عن حجته وبيّن عن حقه، واستنقص من عجز عن إيضاح حقه وقصر عن القيام بحجته"¹.

ومن جهود العلماء القدماء التي ينبغي الإشادة بها في مجال دراسة الحجاج، ويمكن الاستشهاد بها، ما قام به أبو الوليد الباجي (ت 474 هـ) في مقدّمة منهاجه، حيث ذكر ما ينبغي للمناظر أن يتأدّب به مع المرسل إليه، وما ينبغي أن يراعيه في حق نفسه وقد أوردنا كلامه سابقا في تعريفه للحجاج²، كما تناوله ابن خلدون في مقدمته عند حديث عن علم أصول الفقه، إذ ذهب إلى الإقرار بضرورة استعمال الحجاج بوصفه آلية الإقناع المثلى في زمن كثرت فيه أسباب الخلاف وأشيعت كثرة المناظرات، وهذا ما أفضى به إلى الحديث عمّا يسمّيه بالجدل معتبرا أنّه معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم، ولذلك اعتبره القاعدة التي تتضمن أصول المناظرة وآدابها وأحوال المناظرين والأحوال التي يجب أن يراعيها في احتجاجاتهم، وفي أخذهم وردّهم، وصاغ له تعريفاً دقيقاً : "ولذلك قيل فيه أنّه معرفة بالقواعد، من الحدود والآداب في الاستدلال، التي يتوصّل بها إلى حفظ رأي أو هدمه سواء كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره"³.

ما نقلناه يؤكّد لنا أنّ التّراث العربي يزخر بالممارسات الحجاجية التي تناولت موضوع (الحجاج)، الذي كان متمحوراً حول الجدل والمناظرة وما ينتج عنهما من إفهام وتأثير وإقناع.

1 ابن وهب، البرهان في علوم القرآن، ص 177.

2 المرجع نفسه، ص 87.

3 عبد الرحمن بن خلدون، مقدّمة ابن خلدون، ج2، ص 203.

ولا تكاد تخلو كتب التراث – لاسيما كتب البلاغة – من استخدام مصطلح الحجاج، وهذا إن دلّ فإنّما يظهر مدى عناية واهتمام الأوائل بالمنحى الحجاجي في ثنايا مؤلفاتهم.

2-الحجاج في الدرس العربي الحديث:

حظي الحجاج بعناية كبيرة واهتمام بالغ من قبل الدّارسين العرب المعاصرين، وقد نتج عن هذا ظهور العديد من المؤلّفات التي أبانت عن موضوع الحجاج وبيّنت ضوابطه وأوجه استعمالاته، يأتي في مقدّمتها جهود الباحث " طه عبد الرحمان " في كتابه "اللّسان والميزان " و" في أصول الحوار وتجديد علم الكلام"، وكذا جهود - محمّد العمري - وعبد الله صولة - وغيرهم من الباحثين الذين قدّموا أعمالا رائدة في هذا المجال.

2.1 - فلسفة الحجاج عند طه عبد الرحمن:

يبرز "طه عبد الرحمن" نظريته للحجاج من خلال كتاباته خصوصا " اللّسان والميزان " أو " التكوثر العقلي " انطلاقا من كون الحجاج صفة للخطاب، يقول: " إنّ الأصل في تكوثر الخطاب هو صفته الحجاجية بناء على أنّه لا خطاب بغير حجاج"¹، ثمّ يبيّن تعريفه للخطاب على قسدين معرفيين هما " قصد الادّعاء"، و " قصد الاعتراض".

أمّا قصد الادّعاء فهو " الاعتقاد الصّريح للخطاب لما يقول من نفسه وتمام الاستعداد لإقامة الدليل عليه عند الضرورة، إذن فالمدّعي هو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب الاستدلال على قوله"². وأمّا قصد الاعتراض فيكون من المخاطب أو المنطوق له وهو عبارة عن المخاطب الذي ينهض بواجب المطالبة بالدليل على قول المدعي"³.

1 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 213.

2 المرجع نفسه، ص 225.

3 المرجع نفسه، ص 226.

ويعرّف الحجاج على أنّه: "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليه"¹، والملاحظ في هذا التعريف الاهتمام بالجانب الظاهر (الشكلي) للحجاج المتمثل في التلفظ وأهمل الإقناع الذي هو وجه الجانب التداولي.

وهناك تعريف آخر للحجاج يقول فيه: "وحدّ الحجاج أنّه فعالية تداولية جدليّة، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية إنشاء موجهها بقدر الحاجة، وهو أيضا جدلي لأنّ هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البيانات البرهانية الضيقة ..."².

وفي هذا التعريف تدارك "طه عبد الرحمن" ما فاتته في التعريف السابق، وراعى فيه الجانب التداولي مع الأخذ بالاعتبار مختلف السياقات المقامية والاجتماعية، حتّى يحقق الحجاج الغاية المرجوة وهي الإقناع والتأثير.

ثمّ قام الباحث "طه عبد الرحمن" يصنّف الحجاج إلى ثلاثة أصناف³:

❖ **الحجاج التجريدي:** الذي يبنى على اعتبار الصّورة وإلغاء المضمون والمقام، وهو من المراتب الدنيا للحجاج.

❖ **الحجاج التوجيهي:** وهو إقامة الدليل على الدّعوى بالبناء على فعل التوجيه الذي يختص به المستدل، والتوجيه هنا هو إيصال المستدل حجته إلى غيره، وهذا النوع الحجاجي تدعمه النظرية اللسانية المعروفة باسم "نظرية أفعال الكلام" والتي تردّ الأفعال إلى القصد والفعل وهما عماد التوجيه.

1 المرجع السابق، ص 226.

2 طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد على الكلام. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1986، ص 210

3 ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 226، 228.

❖ **الحجاج التقويمي:** هو إثبات الدّعى بالاستناد إلى قدرة المستدل على أن يجرد من نفسه ذاتا ثانية ينزلها منزلة المعترض على دعواه أو ما يسمّى بالتّشخيص (في النظرية اللّسانية)، أي أنّه يبني أصلا على اعتبار فعل الإلقاء وفعل التلقي معًا على سبيل الجمع والإلزام.

2.2 - الحجاج البلاغي عند محمّد العمري:

يُعدّ (محمّد العمري) أحد أبرز البلاغيين العرب المهتمّين بقضايا البلاغة المعاصرة بعامة، والحجاجية بصفة خاصة، وذلك من خلال دراساته المبكّرة لمظاهر الإقناع في الخطابة العربية القديمة، ومن خلال ترجماته العديدة لأهم أعمال رواد هذا التّيار¹، ففي كتابه (في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية) يسعى العمري إلى التّنبية على أهمية البعد الإقناعي للبلاغة العربية، هذا البعد الذي كان حاضرا وبقوة عند الجاحظ على وجه الخصوص، ثمّ ترك مع ظهور صياغة السكاكي (ت 626 هـ) للبلاغة العربيّة، وقد طبّق فيه الباحث التّطور البلاغي "بيرلمان" (Birlman) و "أولبريخت" (Aulbrikht) على الخطابة العربية في القرن الأوّل الهجري مجتهدًا في كشف آلياتها الإقناعية التي يميّزها عن الشعر²، وقد ركّز العمري في دراسته تلك على عنصر المقام خصوصا في مقامات الخطابة السّياسية، المتمثلة في المحاورات فيما بين الأنداد والخصوم، أو ما بين الرّعية والرّاعي، والخطاب ذات الطّابع الوجداني والتي تعتمد الأسلوب المؤثّر والحجج المقنعة³.

1 ينظر: محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر -، دار الكتاب الجديد، 2008، ص 287.

2 ينظر: ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه علوم في اللغة، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009، ص 180.

3 ينظر: محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط2، 2002 ص 59.

لقد استطاع الباحثون العرب المحدثون تجاوز النظرة القديمة والبحث والتي تضمنت كون الحجاج وسيلة من وسائل الجدل والمناظرة، وتمكّنوا من جعله علما مستقلا قائما بذاته مستفيدين ممّا قدمه علماؤنا سابقا وكذا من النظريات الغربية الحديثة.

ضوابط النص الحجاجي وخصائصه:

هناك جملة من الضوابط التي تميّز النص الحجاجي عن بقية النصوص الأخرى، وهي متعلقة بالمرسل وضرورة الالتزام بها فهي محدّدة للأرضية التي يقع عليها التحاجج بين المتكلّم والسّامع ونذكر منها¹:

- ✓ أن يكون الحجاج ضمن إطار الثّوابت فليس كل أمر يقبل النقاش، فالمسلمات تحترم ولا تناقش.
- ✓ أن تكون دلالة الألفاظ محدّدة وصریحة لا تقبل التّأويل.
- ✓ ضرورة تطابق القول والفعل بالنسبة للمتكلّم حتّى لا تقوم الحجة عليه بدل أن تكون له.
- ✓ موافقة الحجاج للعقل تجنّبا للزّيف الذي يصيب الخطاب وكذا ضعف الحجة.
- ✓ ضرورة توفر المعارف المشتركة بين طرفي الخطاب لنجاح عملية الفهم والإفهام.
- ✓ لا بدّ أن يكون للمرسل (الباث) رصيда معرفيا فيما يتعلّق بالمجال الذي يدور ضمنه الحجاج.

وأما خصائص الخطاب الحجاجي فقد جمعها الباحث - عبد السلام عشير- في النقاط الآتية²:

1 ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري -، استراتيجيات الخطاب - مقارنة تداولية لغوية، دار الكتب العلمية، ط 1، 2004، ص 465 - 468.

2 ينظر: عبد السلام عشير، عندما نتواصل تغيّر، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، دار افريقيا الغرب، ط 02، عام 2012 ص 128 - 135.

أ - خاصية البناء والدينامية:

يُبنى النص الحجاجي ويُشكّل ضمن معطيات خاصة، فهي تساهم في بنائه من خلال ما تحدثه من حركية بين أجزاء النص، وتصاغ الحجج حسب المتلقي وفق ما تحتاجه وقناعاته والحال التي يكون عليها من الشك أو الجحود أو خلو الذهن، فهي أولويات يبني عليها الحجج حتى تحقق الغاية المرجوة فنّ الخطاب.

ب - خاصية التفاعل:

ويُعنى بها تفاعل المتلقي مع ما يعطى له وهو المحقق للوجود الفعلي للحجاج.

ج - خاصية الالتباس:

يقع الالتباس في الخطاب الحجاجي من الآليات البلاغية (استعارة كناية ومجاز)، فالإقتصار على الظاهر في العبارات الحجاجية تجعل المتلقي لا يأبه بها ولا يعيرها اهتماماً بخلاف ما لو حملت معها رمزية فهي ستحرّك آليات الفهم لدى المخاطب.

د - خاصية التأويل:

يقوم التأويل بتقييم القول الحجاجي سلبيًا أو إيجابيًا، ويعدّ من أبرز وجوه النشاط الحجاجي، ويقوم على مستويين: مستوى أول عن طريق استقبال القول كعلامات لغوية، ومستوى ثان يتعلّق فيه الفهم والتأويل، وهناك عوامل خارجية تحدّد البعد التأويلي كالسياق والمقام وغيرها.

هـ - خاصية الاعتقاد:

تعتبر الاعتقادات هي المستهدف الأول من كل حجاج باعتبار أنّ الهدف هو الإقناع، وهذه الاعتقادات ترتبط بالقيم الإنسانية كالنبل والتّضحية التي عليها مدار الحجاج، ويعمل المتكلّم على تحقيقها حتى يصل إلى السّامع الذي هو هدفه.

و - خاصيّة الانتهاض إلى العمل:

ممّا يعرف به حصول الاقتناع ونجاح العمل الحجاجي حصول رد فعل معيّن، قد يكون عملاً أو كفّاً عن عمل أو عدولاً أو تحويل مسار، ولا يتأتّى الاقتناع لدى السّامع إلّا بعد مطابقة القول الحجاجي لفعل صاحبه، لأنّ المطابقة دليل وحجة لتزكية موقف المتكلّم.

بعد الوقوف على مفهوم الحجاج في الدّرس العربي قديمه وحديثه وتجليّة أهم الضوابط والخصائص التي تميّز الخطاب الحجاجي، نخلص إلى أنّ الحجاج هو آلية إقناعية وعمل خطابي يقوم على عرض الحجج بأنواعها مع حسن التوظيف وفق معايير للوصول إلى إقناع المستمع والتأثير فيه مع الأخذ بعين الاعتبار المقام الذي يتحقّق به الغرض التواصلية.

المبحث الثاني: الحجاج في المنجز الغربي.

1-الحجاج في الدرس الغربي القديم:

تعود بدايات الدراسة الحجاجية في الدرس الغربي مع جماعة السفسطائيين¹، الذين غيروا اهتمام الفلسفة من الطبيعة إلى الإنسان وقد ظهر هذا التغير من خلال العناية الكبيرة باللغة والبلاغة والخطابة، وأضحى الكلام عندهم وسيلة للإقناع والاعتناع بعدما كان وسيلة معرفية لبلوغ الحقيقة².

عمد السفسطائيون في " ممارستهم للحجاج إلى بناء حججهم على فكرة النفعية المتعلقة بالذلة، وقد أفضت بهم هذه الفكرة إلى توجيه الحجاج بحسب مقتضى المقام، وتعتبر فكرتا (التوجيه) و (التوظيف) من الأفكار السفسطائية التي سيكون لها دور بنائي قوي في معظم البحوث الحجاجية المعاصرة"³.

لم يغفل الباحثون في مجال الدراسات الحجاجية الحديث عما قدمه السفسطائيون بل اعتبروا أعمالهم حول الخطابة مبادئ ومعالم تؤسس للإقناع كما أنهم احتفوا بميراثهم البلاغي، ولذا كل مقاربة حجاجية لا بد أن تأخذ بعين الاعتبار ما حققه السفسطائيون.

1.1-الحجاج عند أفلاطون وأرسطو: يقوم الحجاج عند كل من أفلاطون وأرسطو على

أغاليط يتم فيها التلاعب بمعاني المقدمات حتى يقع القياس موافقا للمقصود السفسطائي ومخالفا

1 السفسطائية: هي حركة فلسفية ظهرت باليونان حوالي القرن الخامس قبل الميلاد، وقد تميز روادها بالكفاءة اللغوية والغير الجدلية. وأدى وجودهم إلى تطور البلاغة القولية والتواصلية، وفي الحياة الفكرية بصفة عامة، ينظر: مجدي الكيلاني، تاريخ الفلسفة اليونانية كتطور هام، دار التنوير ط 1، 2008، ص 85.

2 ينظر: الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليقة للطباعة والنشر، بيروت لبنان ط 1، 2005 ص 13.12.

3 ينظر: محمد سالم محمد الأمين طلبية، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 27.

للتوقع فهو مبني على التّمويه في القياس وتحويل استعمالات القول، كما أنّ حجتهم قائمة على الظّن وتهدف إلى تحقيق قيمة نفعية¹.

وبعد بيان مغالطات الحجاج السفسطائي أبرز أفلاطون مفهومًا جديدًا للحجاج، وقد اعتمد على معيارين أساسيين هما العلم والخبر وجعلهما عمودًا لكل حجاج أو بلاغة، فالحجاج عنده يقترب من العلم، ويرى أنّه يحمل وظيفة أخلاقية، يتقصّد المُحاجج الوصول إلى الحق من ورائها. يمكن اعتبار ما جاء به أفلاطون في تحديده لمفهوم الحجاج منهجًا مثاليًا يقضي على الوهم والتزييف والرّوغان، وذلك باهتمامه بالجانب الأخلاقي الذي كان مهملاً عند أصحاب السفسطة، فمفهومه للحجاج مثالي يحقّق الفضيلة ويحارب الرذيلة.

ولم يتخلف أرسطو عن تقديم الحجاج بحلة جديدة مفهوميًا مختلفة بدورها عن حجاج السفسطائيين وكذا عن أفلاطون، حيث عرّفه بأنه: "فنّ الإقناع أو مجموع التّقنيات التي تحمل المتلقي على الاقتناع والإذعان"²، وجعل من الحجاج قاسمًا مشتركًا بين الخطابة والجدل، وفي هذا يقول: "إنّ الرّبطوريّة (يعني صناعة الخطابة) ترجع إلى الديالكتيكية (أي صناعة الجدل) وكلتاهما توجد من أجل شيء واحد (الإقناع)"³.

وميّز أرسطو بين نوعين من الحجاج⁴:

أ- **الحجاج الجدلي**: غالبًا ما يكون هذا الحجاج بين طرفين يحاول كل منهما إقناع الآخر، ومجاله القضايا الفكرية العقلية، والسؤال فيه أهم من الجواب والغاية منه التأثير العقلي المجرّد.

1 ينظر: هشام الريفي، الحجاج عن أرسطو ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو، دار النشر المكتبة العلمية، ط1، 2010، ص 236 – 237

2 أرسطو طاليس، الخطابة (الترجمة العربية القديمة)، تح عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت لبنان، وكالة المطبوعات، الكويت، د ط سنة 1979 م، ص 03.

3 المصدر نفسه، ص 03.

4 ينظر: عبد الله صولة، الحاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص 17 – 18.

ب- **الحجاج الخطابي:** وهذا الحجاج ليس لغاية التأثير النظري العقلي بل يتعداه إلى التأثير العاطفي وإثارة المشاعر والانفعالات، حتّى ولو كان حاصلًا بالمغالطة والمراوغة والإيهام.

وما يلاحظ من المفهوم الذي قدّمه أرسطو التّركيز على عنصر "الإقناع المنطقي" الذي يعتمد على الأساليب المنطقية، فهي عملية منطقية أساسها العقل والغاية منه إقناع المتلقي والتأثير في أفكاره وإيديولوجياته بواسطة مجموعة من الأدلة والحجج، ويمكن القول إن جهود أرسطو ونظرته التّداولية للحجاج شكلت أرضية خصبة للنظريات الحجاجية الغربية المعاصرة.

2 - مفهوم الحجاج عند الغرب حديثاً:

كان للتراث اليوناني الفضل الكبير فيما وصل إليه الدراسون الغربيون المعاصرون، الذين انطلقوا في تأسيسهم للنّظرية الحجاجية من خلال جهود اليونان خصوصاً "أرسطو (Aristotle)" وما قدّمه في كتاب "الخطابة"، فولّدوا لذلك نظريات حجاجية قائمة بذاتها.

2.1 الحجاج عند "بيرلمان" (Perlman) و"تيتيكا" (Tyteca):

لقد أسهمت بحوثهما في كشف جوانب عميقة من البلاغة، بوصفها تأملاً في اللّغة والفكر لاسيما من خلال كتاب (شايم بيرلمان) في 1958، بعنوان (البلاغة الجديدة)، وكتاب آخر ألفه بالاشتراك مع (تيتيكا) بعنوان (دراسة الحجاج)، الذي درسا فيه التّقنيات التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التّسليم بالموضوعات المعروضة عليها أو أن تزيد في درجة ذلك التّسليم¹.

والحجاج في نظرهما يتجاوز النظر فما هو حقيقي مثبت محدّد إلى تناول حقائق متعدّدة ومتدرجة، فمبعثه إداً-هو الاختلاف وشرطة أن يقوم على موضوعية الحوار، حيث يقف فيه الآخر المحاجج موقف الشّريك المتعاون، لا موقف الخصم العنيد، من أجل تحقيق غاية، وهي

1 Perlmer et tyteca : traite de l'argumentation p 05.

نقلا عن عبد الله صولة، الحجاج في القرآن ص 31

استمالة المتلقي لما يعرض عليه، وأن يجعل العقول تدعن لما تطرح عليه، وأن يزيد في درجة إذعانها باعتماد وسائل التأثير في عواطفه وخيالاته وادعائه¹.

يعرّف "بيرلمان" و "تيتيكا" الحجاج بأنه: "إذعان العقول بالتصديق لما يطرحه المرسل أو العمل على زيادة الإذعان هو الغاية من كل حجاج، فأنجع حجة هي تلك التي تنجح في تقوية جِدّة الإذعان عند من يسمعها وبطريقة تدفعه إلى المبادرة سواءً بالإقدام على العمل أو الإحجام عنه ..."².

ويستشف من خلال هذا التعريف أنّ الباحثين ركّزا على عنصر الإقناع وجعلاً منه لبّ العملية الحجاجية، فالغرض هو الإقناع والتأثير.

ويتميّز الحجاج عند "بيرلمان" بخمسة ملامح رئيسية³:

- 1- أن يتوجّه إلى مستمع.
 - 2- أن يعبر عنه بلغة طبيعية.
 - 3- مسلّماته لا تعدو أن تكون إجمالية.
 - 4- لا يفتقر تقدمه (تناميّه) إلى ضرورة منطقية بمعنى الكلمة.
 - 5- أن تكون نتاجه غير ملزمة (احتمالية غير حتمية).
- وركّز "بيرلمان" في تأصيله للدّرس الحجاجي على عنصرين هما: القصد، والمقام الذي يفسره الإطار المحدّد للخطاب المستوعب لكل مستويات العملية الإبداعية.
- ويمكن القول أنّ كل من "بيرلمان" و "تيتيكا" حاول إعادة الاعتبار لمجال الحجاج وتبرئته من المناورة والمغالطة والتلاعب بمشاعر الجمهور، فهو حوار يسعى إلى إحداث اتفاق بين المحاورين في جو من الحرية والمعقولة.

1 المرجع السابق، ص 59.

2 عبد الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب، ص 456

3 ينظر: محمد سالم ومحمد الأمين، الحجاج في البلاغة المعاصرة، ص 108.

2.2 - نظرية الحجاج عند "ديكرو" (ducrot) و "أنسكومبر" (Anscomber):

عرضا مفهوم الحجاج وآلياته من خلال كتابهما (l'argumentation dans la langue)، الحجاج في اللغة في 1983م، حيث قرّرا فيه بأنّ الحجاج موضوع متجدر في اللغة بحيث لا يمكن فصله منها بأيّة حال، فاللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وصيغة حجاجية¹.

وقد انبثقت هذه النظرية من صلب - نظرية الأفعال الكلامية - التي وضع أسسها "أوستين" (Austin) وتلميذه "سورل"، وقد طوّر "ديكرو" (ducrot) أفكار "أوستين" (بالخصوص)، واقترح إضافة فعلين لغويين هما (فعل الاقتضاء) و (فعل الحجاج)، وهذا يدلّ على أنّ الحجاج حسب "ديكرو" (ducrot) فعل كلامي لساني وعليه قام بإعادة صياغة مفهوم الفعل الإنجازي بأنّه: "فعل موجّه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة من الحقوق والواجبات، وهو يفرض على المخاطب نمطا معيّنا من النتائج باعتباره الاتجاه الوحيد الذي تمكن أن يسير عليه الحوار"².

وتمثّل أعمال "ديكرو" (ducrot) و (أنسكومبر) تيّارا تداوليّاً مميّزا ووجه تميّزه هو رفض الشعور القائم على الفصل بين الدلالة وموضوعها في الجملة، والتداولية وموضوعها استعمال الجملة في المقام من جهة والسعي إلى سبر كل ماله صلة داخل بنية اللغة بالاستعمال البلاغي المحتمل من جهة أخرى.

واللغة تحمل بُعدا حجاجيا في جمع مستوياتها، وهي عند - "ديكرو" (ducrot) - وسيلة سجالية في جوهرها ومسرح لظهور المقتضى باعتباره شكلا من الأشكال الحجاجية الكامنة فيها، وفي هذا المعنى يقول "ديكرو" (ducrot): " ليس المقتضى حدثا بلاغيا مرتبطا بالقول، وإنّما

1 ينظر: أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي مقال ضمن كتب التحاجج ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، المغرب ط 1 -، 2006، ص 55.

2 المرجع نفسه، ص 56.

هو منغرس في اللّغة نفسها، وهو ما يدعونا - ضرورة - إلى أن نعتبر اللغة بصرف النظر عن استعمالاتها المختلفة لها مسرح محاورة ومواجهة بين الذوات البشرية¹.

وقد حصر كل من "ديكرو" (ducrot) و "أنسكومبر" (Anscombe) دلالة الملفوظ الحجاجي في التّوجيه الناتج عنه، وهذا التوجيه حاصل على مستويين: مستوى السّامع، ومستوى الخطاب، ولا يخفى ما بينهما من تداخل، وعادة عند التكلم نبتغي التأثير في المتلقي أو مواساته أو إقناعه².

وهذا الرأي الذي حصر فيه كل من "ديكرو" (ducrot) و "أنسكومبر" (Anscombe) دلالة الملفوظ الحجاجي في التوجيه، انتقده بشدة - عبد الله صولة - الذي يرى بأنّ دلالة الكلمة ليست للتّوجيه فحسب، فقد يكون لها دلالات تتجاوز الحجاج والتّوجيه، وتفيض عنهما، ويسمى ذلك (الجزء من الدّلالة)، الدلالة الحجاجية، أو المعنى الحجاجي، الطّاقة الحجاجية أو العمل الحجاجي، أو الوظيفة الحجاجية، وإن اختلفت معاني هذه التسميات³.

ولقد عمل "ديكرو" (ducrot) و "أنسكومبر" (Anscombe) على بلورة المبادئ التي تقوم عليها هذه النظرية، وهي ثلاثة تتمثل فيما يلي⁴:

- ✓ الوظيفة الأساسية للغة هي الحجاج.
- ✓ المكوّن الحجاجي في المعنى أساسي، والمكوّن الإخباري ثانوي.
- ✓ عدم الفصل بين الدلالات، والدعوة إلى فرضية التّداوليات المندمجة.

نقلا عن عبد الله صولة الحجاج. 31-30 p. 1984. O ، ducrat ، le dire et le dit ، edition minit. في القرآن ص 35.

2 المرجع السابق، ص 31-30 نقلا عن عبد الله صولة، المرجع نفسه ص 36.

3 ينظر: عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، ص 36.

4 المرجع نفسه، ص 30 - 31.

إضافة إلى هذا تناول " ديكرو" (ducrot) مفاهيم الحجة التي تمثل بناءً استدلاليا أو عنصرا دلاليا يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر قدير في شكل قول أو نص أو مشهد طبيعي أو سلوك غير لفظي، وقد تكون ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق¹.

وتتميز هاته الحجج اللغوية بجملة من السمات نذكر منها²:

- أ- **السياقية:** إنّ الحجة التي يقدمها قد تؤدي إلى حجة أخرى، بحيث يمنحها السياق صيغة وبهذا تكون العبارة الواحدة المتضمنة لقضية واحدة حجة أو نتيجة، وذلك بحسب السياق.
- ب- **النسبية:** فكل حجة قوة حجائية معينة فقد يقدم المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة، ويقدم خصمه حجة مضادة أقوى بكثير منها، وبعبارة أخرى هناك الحجج القوية والحجج الضعيفة والحجج الأوهى والأضعف.
- ج- **قابليتها للإبطال:** وذلك أنّ الحجاج اللغوي عموما نسبي ومرن وتدرجي وسياقي بخلاف البرهان المنطقي والرياضي الذي هو مطلق وحتمي.

3- الآليات اللغوية لتحليل الخطاب الحجاجي:

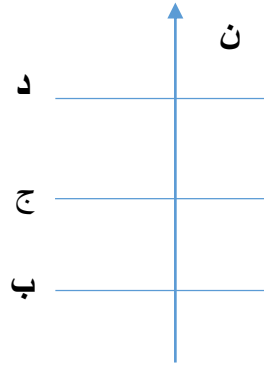
يسعى "ديكرو" (ducrot) من خلال نظريته (نظرية الحجاج اللغوي) إلى إظهار البعد الحجاجي للغة في جميع مستوياتها وإلى إبراز سمة الخطاب التوجيهية التي يحرص المتكلم فيها على توجيه المتلقي إلى وجهة واحدة دون غيرها، وسعيا منه لتأكيد هذا الطرح قام - "ديكرو" (ducrot)- بوضع جملة من الآليات اللغوية لتحليل الخطاب الحجاجي منها:

3.1 السلم الحجاجي:

1 ينظر أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي، ص 58.

2 المرجع نفسه ص 59.

يعد السلم الحجاجي من أهم مقتضيات النظرية الحجاجية اللسانية، " وهو عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزودة بعلاقة ترتيبية"¹، أو هو علاقة ترتيبية لمجموعة من الحجج إذ ترد مبنية في الكلام إما من الأقوى إلى الأضعف أو العكس، تبعا لمقاصد المتكلم من إيراد الكلام، والاستراتيجية المتبعة في بلوغ الإقناع"²، ويمكن التمثيل للسلم الحجاجي بالرسم التالي:



ن: النتيجة حيث "ب" و"ج" و"د" حجج وأدلة تخدم النتيجة "ن".

فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبية معينة، فإنّ هذه الحجج تنتمي إلى نفس السلم الحجاجي، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة³، أو بعبارة أخرى هو الترتيب بين الحجج التي تنتمي إلى فئة دلالية محدّدة ويتسم السلم الحجاجي بالسّمتين الآتيتين⁴:

أ- كل قول يرد في درجة ما من السلم يكون القول الذي يعلوه أقوى دليلا منه بالنسبة إلى نتيجة القول المراد الإقناع بها أو الوصول إليها.

1 طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، ص 277.

2 ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 26.

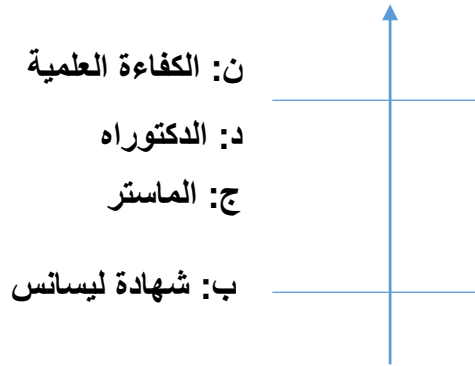
3 ينظر: المرجع نفسه، ص 26.

4 المرجع نفسه، ص 26-27.

ب- إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن"، فهذا يستلزم أن "ج" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح، مثال ذلك:

- حصل زيد على شهادة ليسانس.
- حصل زيد على شهادة الماستر.
- حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

فهذه الجمل تتضمن حججا تنتمي إلى نفس الفئة الحجاجية، وتنتمي كذلك إلى نفس السلم الحجاجي، فكلها تؤدي إلى نتيجة مضمرة من قبل " كفاءة زيد أو مكانته العلمية "، وحصول زيد على الدكتوراه هو بالتالي أقوى دليل على مقدرة زيد وعلى مكانته العلمية، ويمكن الترميز لهذا السلم كما يلي:



الملاحظ أن السلم الحجاجي يضم فئة من الأقوال الحجاجية يتوجه بها المتكلم إلى المتلقي قاصدا التأثير فيه وإقناعه بأمر معين، وهذه الحجج التي يوظفها المتكلم تكون بمثابة دعامة استدلالية لغرضه الذي من أجله سيقى العملية التخاطبية، كما أن هاته الحجج لن تكون على درجة واحدة بل تختلف وتتفاوت قوة وضعفا.

3.1.1- قوانين السلم الحجاجي:

صاغ "ديكرو" (ducrot) في كتاباته حول السلم الحجاجي قوانين ثلاثة عدّها بمنزلة قواعد تدعم هذا السلم وهي:

3.1.1.1 قانون تبديل السّلم (النفى):

ومقتضى هذا القانون أنّه إذا كان القول دليلاً على مدلول معيّن فإنّ تفيض هذا القول دليل على نقض مدلوله¹، ويمكن أن تمثل لهذا بالمثالين التاليين:

- زيد مجتهد، لقد نجح في الامتحان.
- زيد ليس مجتهداً، إنّهُ لم ينجح في الامتحان.
- فإن قبلنا الحجاج الوارد في المثال الأوّل وجب أن نقبل كذلك الحجاج الوارد في المثال الثاني².

ب- قانون القلب: ومقتضى هذا القانون أنّه إذا كان أحد الملفوظين أقوى من الآخر في التّدليل على مدلول معيّن، فإنّ نقيض الثاني أقوى من نقيض الأوّل في التّدليل على نقيض المدلول³، ومثال ذلك:

- حصل زيد على الماجستير وحتّى الدكتوراه.
 - لم يحصل زيد على الدكتوراه، بل لم يحصل على الماجستير
- فحصول زيد على الدكتوراه أقوى دليل على درجته العلمية من حصوله على الماجستير، في حين أنّ عدم حصوله على الماجستير هو الحجّة الأقوى على عدم كفاءته من عدم حصوله على شهادة الدكتوراه⁴.

ج - قانون الخفض: يفيد هذا القانون بأنّ القولين المتقابلين لا يصدقان في نفس المراتب من السّلم، فكلما صدق أحدهما في مراتب معينة صدق الآخر في المراتب التي تقع تحتها، ويمكن لهذا القانون أن يكون قانوناً إعلاء كلما وقع الارتقاء، وبموجب هذا فالتراتب بين

1 ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 278.

2 ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 28.

3 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 278.

4 ينظر، أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 28.

الحجج يمكن أن يعدل ويتغير من لحظة إلى أخرى يتدخل عوامل معينة، ذلك أن إضافة حجة جديدة إلى مجموعة من الحجج يمكن أن يغير من مدلولها وبالتالي من قوتها¹.

3.2 - الروابط والعوامل الحجاجية:

إن الجملة عند "ديكرو" (ducrot) و "أنسكومبر" (Anscombre) (أي المستوى الإعرابي والمعجمي) تتضمن وجهة حجاجية تحدّد معناها قبل أي استعمال لها، ولكن القول الملفوظ (أي استعمال الجملة في المقام) يفرض ضربا من النتائج دون غيرها، وهذا يستلزم أن الملفوظ لا يصلح لأن يكون حجة لهذه النتيجة أو تلك إلا بموجب الوجهة الحجاجية المسجلة فيه، ومأتى هذه الوجهة هو المكونات اللغوية المختلفة التي تحدّد معناها أو تضيق أو توسع من احتمالاتها الحجاجية، وهذه المكونات اللغوية (الروابط و العوامل) هي التي تحدد طرف الربط بين النتيجة و حجتها².

أ- الروابط الحجاجية:

يمثل الرّابط الحجاجي وحدة مورفولوجية (مورفيم) تصل بين ملفوظين أو أكثر جرى موقعهما في إطار استراتيجيّة واحدة.

إنّ نوع من العناصر النّحوية والظّروف (الواو، الفاء، لكن، إذن، حتى، لأن، بل، لاسيما، إذ، لا، إلا) يقوم بالربط بين فعلين لغويين اثنين، وبالتالي فهو موصل تداولي يعمل على تفكيك مكونات الفعل اللغوي ليجعل منها أفعالا لغوية يحمل عليها وهي منفصلة بعضها عن بعض.

يقترح "ديكرو" (ducrot) وصفا حجاجيا جديدا لهذه الروابط والأدوات كبديل للوصف التقليدي، فبالنسبة للرّابط (في) مثلا فليس دوما أن تضيف إلى المعلومة (جاء زيد) في القول (في جاء زيد) معلومة أخرى (مجيئه زيد غير متوقع)، بل إنّ دور هذا الرّابط يتمثل في إدراج حجة

1 حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، افريقيا الشرق المغرب دط، 2004، ص 138.

2 شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، دار الروى للنشر والتوزيع، المغرب، ط1، ص 376.

جديدة، أقوى من الحجة المذكورة قبله، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة، لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوة الحجاجية¹.

ب- العوامل الحجاجية:

العامل الحجاجي هو وحدة مورفولوجية (مورفيم) إذ جرى تطبيقه في مستوى أو ملفوظ معين يؤدي إلى تحويل الطاقة لهذا الملفوظ، ويقدم العامل الحجاجي بالربط بين وحدتين دلالتين داخل الفعل اللغوي نفسه، وهو على هذا الأساس موصل قضوي، فالعامل يحمل على المكونات داخل الفعل اللغوي، فيبقى هذا الفعل ملتحمًا².

ويتضح مفهوم العامل الحجاجي من خلال دراسة المثالين التاليين:

1. الساعة تشير إلى الثامنة، أسرع

2. لا تشير الساعة إلى الثامنة، أسرع

نلاحظ من خلال القول (1) سليم ومقبول عاما، أمّا القول (2) فيبدو غريبا ويتطلب سياقًا خاصًا حتى تستطيع تأويله.

1نقلا عن أبو بكر الفراوي اللغة والحجاج ص 27 15-169 p argumentative les echelles rueqct

2 ينظر: رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، ط1، الكويت، 2005 ص 233-234

المبحث الثالث: المنحى الحجاجي في التحرير والتنوير.

الحجاج وعلم التفسير:

تعتبر اللغة وسيلة الإنسان للتواصل مع محيطه، فهي الأداة التي يتواصل بها مع غيره، ولكنه قد يتعرض لمواقف عديدة يعرض من خلالها أفكاره ويكون مجبرا على الدفاع عنها ليس باللغة فقط، ولكن باستعمال مجموعة من الحجج والبراهين، قصد التأثير في المتلقي وإقناعه، ويدخل ضمن ما يسمى بالحجاج الذي يعد من أهم المباحث التداولية في الدراسات اللسانية الحديثة وقد حظي باهتمام الباحثين قديما وحديثا.

وإذا عدنا إلى علم التفسير يمكننا القول أنه خطاب تفسيري حجاجي لأننا إذا نظرنا " إلى مضمون الكتاب المقدس وأسباب النزول يمكن اعتبار القرآن خطابا حجاجيا نظرا لكونه جاء ردّا على خطابات سواء أكانت علنية أم ضمنية، فهو يطرح أمرا أساسيا يتمثل في وجوب الإيمان بالله الواحد الأحد، ويقدم الحجج المدعمة لهذا الأمر بمستويات مختلفة ضد ما يعتقد المتلقون وما يقدمون من حجج، ويرجع التأكيد على الصفة الحجاجية للقرآن إلى كون المتلقين لهذا الخطاب كثر، وهم من مستويات مختلفة، وكذلك الرافضون له العازفون عنه لهم في غالب الأحيان حججهم رغم ضعفها، وهؤلاء أيضا من مستويات مختلفة، وهذه سمة أساسية من سمات الخطاب الحجاجي"¹.

يمكن القول أنّ المدونة التفسيرية مادة ثرية يكثر فيها الحجاج، من حيث هو قائم على مبدأ إقناع الجمهور بحقائق تبني واقعا جديدا، وتصوّرات ومعتقدات هي في نظر التحاجج صائبة، ما على الجمهور إلا الاقتناع والعمل بها، وتكون درجة الاقتناع مرتبطة بكفاءة المحاجج أو المفسر مثلا².

1 قدور عمران، البعد التداولي والحجاجي في الخطاب القرآني، ص 27.

2 ينظر: على الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، بحث في الأشكال والاستراتيجيات، دار الكتاب الجديدة بيروت، ط 1 2010، ص 259.

الآليات الحجاجية في التحرير والتنوير لابن عاشور:

إنّ التّعامل مع النّص القرآني وتفسيره ومقارنته تداوليا هي دراسة لا تخلو من صعوبات، ولكنّها في الوقت نفسه يمكن أن تكون منطلقا لبلورة رؤية سياقية تداولية حجاجية، لتحليل الخطابات القرآنية بوصفها مدوّنة في منتهى الشراء التأويلي، ومحلاً لتجلي مظاهر الطّاقات الحجاجية الغزيرة للنّص القرآني خصوصا وللغة العربية عموماً¹.

لذا نسعى من خلال المبحث للحديث عن الآليات الحجاجية التي وظّفها الطّاهر بن عاشور في الخطاب التفسيري للوقوف على أهميتها في الإقناع وتوجيه مقاصد المرسل، فالطّاهر بن عاشور يتخذ من الحوار الجدلي، والمساءلة والالتفات والاستدراج والاستدلال لحمل متلقيه على الاقتناع، ويمكن أن نلمس ذلك من خلال أسلوب ابن عاشور الذي سلكه في تفسيره، فهو أحيانا يبني خطابه على الخطاب المتوقّع من المخاطب الذي يفرض وجوده تحسبا لأيّ اعتراض قد يواجه خطابه، وتظهر الكفاءة التّداولية عند الطّاهر بن عاشور التي يستحضر من خلالها أطراف التخاطب والسيّاق والمقام .

والملاحظ أن الطّاهر بن عاشور يحرص على أن يظل وثيق الصّلة بمخاطبه، يفسّر له ويطلب منه النّظر في الدليل والحجة حتى يؤسّس معه برهانا بإجراءات حجاجية يكون في أغلبها قد استنبطها المتلقي لنفسه.

1 - الروابط الحجاجية:

تحتوي اللغة العربية على العديد من الروابط الحجاجية التي تربط بين قولين أو حُجّتين، ويسند لكل قول دور داخل الخطاب، كما أنها تقوم بترتيب الحجج حسب قوّتها، وهذا الأمر يؤكّد داخل الملفوظ طاقة حجاجيّة إضافية تقوم بتعزيز النتائج.

1 صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، مركز صفحات للدراسات والنشر، ص 62

وللرّوابط الحجاجية جملة من المعايير يمكن الإشارة إلى بعضها¹:

أ- **معايير عدد المتغيرات**: أي المتغيرات الحجاجية التي يربط بينها الرّابط الحجاجي، فالرابط الحجاجي إمّا أن يكون محمولاً ذا موقعين فيتوسط بين معنيين حجاجيين، ومثاله: الجو ممطر إذا ساقى في المنزل، أو يكون محمولاً ذا ثلاثة متغيرات حجاجية.

ب- **معايير وظيفة الرابط**: وهذا المعيار يحدّد وظيفتين للرّابط الحجاجي، فهناك روابط وظيفتها سوق الحجج مثل: (لكن، بل، حتى...)، وهناك روابط وظيفتها سوق النتائج مثل: (إذن، لهذا، وبالتالي...).

ج- **معايير العلاقة بين الحجج التي يوردها الرّابط**: وهذا المعيار يتعلق فقط بالحالة التي يكون فيها الرّابط ذا ثلاثة مواقع.

اشتمل الخطاب التفسيري للطاهر بن عاشور على العديد من الرّوابط الحجاجية التي تسهم في انسجام النّص وتماسكه، وتصل المقدمات بالنتائج، وتزيد من درجة التأثير على المتلقي فتصل به إلى الإقناع والتّسليم ومن أبرز تلك الرّوابط:

1.1 الرّابط الحجاجي (بل):

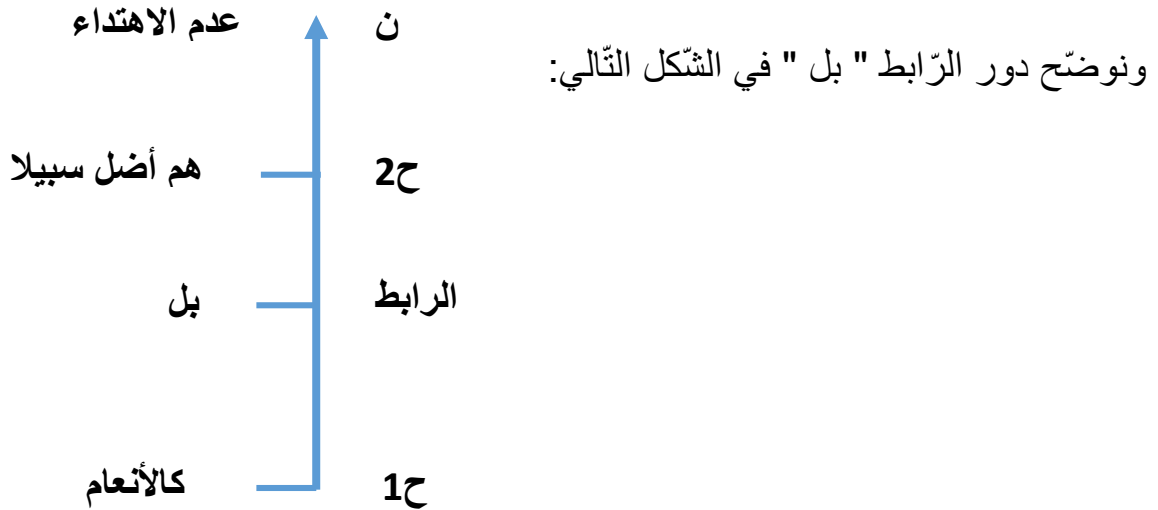
هي حرف من حروف المعنى غير المختصة وهي مهملة لا عمل لها، ومعناها الأساسي الإضراب أي الإعراض والانتقال من شيء لآخر، وهو هنا الإضراب عمّا قبلها والانتقال إلى ما بعدها لمعنى يبرز للمتكلّم، ويمثّل المألقي (ت702هـ) لسبب هذا الانتقال بقوله: " إمّا أنّها لبداء (وضع شيء على معنى بالقصد) أو لغلط (وضع شيء على غيره يمضي الوهم إليه ثمّ يظهر المقصود) أو للنسيان (وضع شيء على غيره من غير علم به)"².

1 ينظر: رشيد الراضي، اللسانيات الحجاجية عند أنسكومبر وديكرو، ص 236-237

2 أحمد بن عبد النور المألقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، د ط، دت، ص 153.

و قد اشتملت معالجات الطاهر بن عاشور على إظهار الدور الحجاجي لـ بل، و ندرك ذلك من خلال تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۚ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ¹﴾، قائلا : "إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا انتقال في صفة حالهم إلى ما هو أشد من حال الأنعام لأنهم أضل سبيلا، و ضلال السبيل عدم الاهتداء للمقصود لأن الأنعام تفقه بعض ما تسمعه من أصوات الزجر ونعوها من رعاتها و سائقيها ، وهؤلاء لا يفقهون شيئا من أصوات مرشدهم وهو الرسول . عليه الصلاة و السلام . وهذا كقوله تعالى (فهي كالعبارة أو أشد قسوة وإن من العبارة لما يتفجر منه الانهار " ² .

فالطاهر بن عاشور أدرك الدور الذي أداه الحرف بل في جعله الحجة أقوى، فالحجة الواقعة قبل بل هي ح 1 (هم كالأنعام) والحجة الواقعة بعد بل هي ح 2 (هم أضل سبيلا) وهي الأقوى، فالوصول إلى النتيجة الحتمية (عدم الاهتداء) قد تأتت، بالرّابط الحجاجي، "بل".



و في موضع آخر نجد ابن عاشور يؤكّد على الوظيفة الحجاجية للرّابط " بل " للاهتداء إلى نتائج مسلمة وحتمية، و نلتمس ذلك عند تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۚ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ

1 الفرقان 44

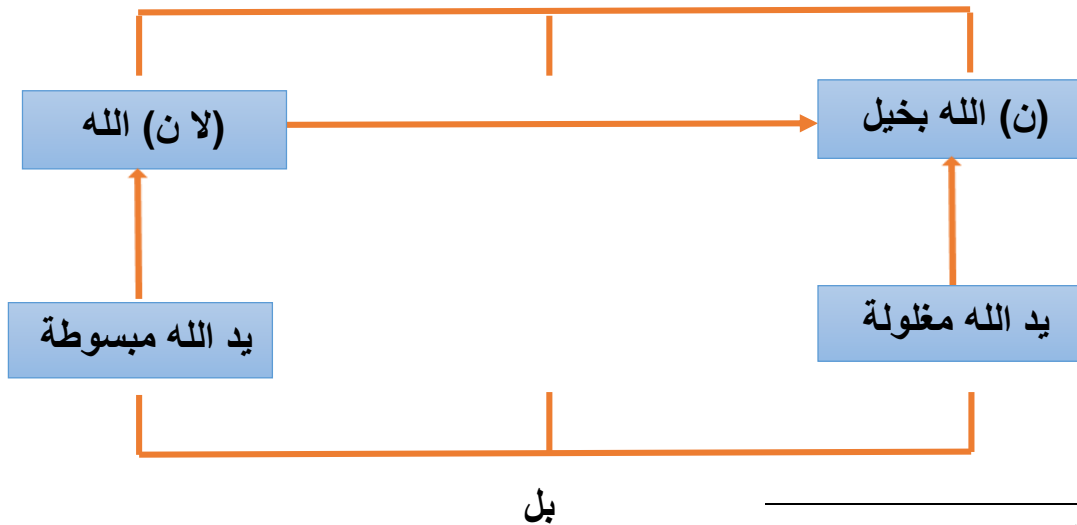
2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 19، ص 38.

إِيَّاكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا¹، قائلا : " وهي استعارة قوية لأن مغلول اليد لا يستطيع بسطها أقل الأزمان فلا جرم أن تكون استعارة لأشد البخل والشح، و " غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ " معترضة بين جملة و(قالت اليهود) وبين جملة (بل يدها مبسوطتان) وهي إنشاء سب له، وجملة (ولعنوا بما قالوا) يجوز أن تكون إنشاء دعاء عليهم، ويجوز أن تكون إخبارا بأن الله لعنهم بسبب قولهم هذا، نظير ما في قوله تعالى : " وإن يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله " في سورة النساء، وقوله " بل يدها مبسوطتان " نقض لكلامهم وإثبات سعة فضله تعالى وبسط اليدين تمثيل للعطاء، و هو يتضمن تشبيه الأنعام بأشياء تعطى باليدين وجملة ينفق كيف يشاء بيان لاستعارة (يدها مبسوطتان)² .

فالطاهر بن عاشور ارتكز في بيان معنى البخل الذي أضافه اليهود - لعنهم الله - إلى الله تبارك وتعالى زورا وبهتانا على قرينة تداولية وهي أن العرب يجعلون العطاء مُعْبَرًا عنه باليد، ويجعلون بسط اليد استعارة للبذل والكرم.

إنَّ الرّابط بل ربط بين حجتين متعارضتين تؤديان نتيجتين متعارضتين، لكن الحجة البعدية بعد "بل" أقوى من القبلية قبل " بل "، ويمكن توضيح المثال كما يلي:

نتيجتان متعارضتان



1 المائدة 88.

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص 248-250

1.2 - الرّابط الحجاجي "لكن":

من حروف الاستدراك، ومعنى الاستدراك أن تنسب حكماً لاسمها يخالف المحكوم عليه قبلها، كأنك لما أخبرت عن الأوّل بخبر خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك، فتداركت بخبره إن سلّبا وإن إيجاباً، ولذلك لا يكون إلا بعد كلام ملفوظ به أو مقدر ... ولا تقع لكن إلا بين متناقضين بوجه ما، ولكن تفيد الاستدراك لتوسّطها بين كلامين متغايرين نفيًا وإيجاباً، فاستدرك بها النفي بالإيجاب والإجابة بالنفي والتغير في المعنى بمنزلته في اللغة¹.

وقد استظهر الطاهر بن عاشور في مدونته قوّة الرّابط الحجاجي "لكن"، الذي يقع بين الحجّة وضد النتيجة، وقد تجلّى ذلك في رؤيته التفسيرية عند وقوفه على قوله تعالى: ﴿الْخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾²، يقول المفسر: "ومعنى هذه الآية أن الله خلق السماوات وخلق الأرض وإنشأوهما وابتدأعهما من غير شيء أعظم من خلق البشر فمن قدر على خلقهما مع عظمهما كيف يعجز أن يخلق ما هو أحقر وأهون، وفي قوله " ولكن أثّر الناس لا يعلمون " أي لكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك لأنهم لا يتأملون لغلبة الجهل عليهم وفرط غفلتهم لأهوائهم، و موقع الاستدراك في قوله و(لكن أثر الناس لا يعلمون) لاقتضاء التوكيد بالقسم من انتضاح السموات والأرض أكبر من خلق الناس"³.

فتكون البنية الحجاجية كما يلي:

لكن	←	الرابط:
خلق السنوات والأرض أكبر من خلق الناس	←	الحجة 1:
أكثرهم لا يعلمون	←	الحجة 2:
الناس سيطيعون الله	←	النتيجة:
أكثر الناس لن يطيعوا ربهم ولن يتقوه	←	(لا ن):

1 ينظر: المرادي، الجنى الداني في شرح حروف المعاني، ص 71.

2 غافر 75.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص 175.

كما نجد الطاهر بن عاشور أبان عن كفاءته ومقدرته في توجيه النصوص القرآنية تداوليا من خلال دور الرّابط الحجاج " لكن " في الرّبط بين السّابق واللاحق، فيقول عند قوله تعالى : ﴿ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝١٤ ۖ ﴾ ، يقول في معنى هذه الآية : " إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ بدل من قوله : (إِذْ أَتْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا) فَإِنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا مِمَّا اشْتَمَل عَلَيْهِ زَمَانٌ كُونُهُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا لَوُقُوعِهَا فِي مَدَّةِ نَزُولِ الْمُسْلِمِينَ بِالْعُدْوَةِ مِنْ بَدْرٍ ، فَهُوَ بَدَلٌ مِنْ بَدَلٍ وَالْمَنَامُ مَصْدَرٌ مِيْمِي بِمَعْنَى النُّوْمِ ، وَيُطْلَقُ عَلَى زَمَنِ النُّوْمِ وَعَلَى مَكَانِهِ ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ رَأَى رُؤْيَا مَنَامٍ ، جَيْشَ الْمُشْرِكِينَ قَلِيلًا ، أَيْ قَلِيلَ الْعَدَدِ وَأَخْبَرَ بِرُؤْيَاهُ الْمُسْلِمِينَ فَتَشَبَّعُوا لِلْقَاءِ الْمُشْرِكِينَ ، وَحَمَلُوهَا عَلَى ظَاهِرِهَا ، وَزَالَ عَنْهُمْ مَا كَانَ يَفَامِرُهُمْ مِنْ تَهَيُّبِ جَيْشِ الْمُشْرِكِينَ . فَكَانَتْ تِلْكَ الرُّؤْيَا مِنْ أَسْبَابِ النَّصْرِ ، وَكَانَتْ تِلْكَ الرُّؤْيَا مَنَّةً مِنَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانَتْ قِلَّةُ الْعَدَدِ فِي الرُّؤْيَا رَمْزًا وَكُنَايَةً عَنْ وَهْنِ أَمْرِ الْمُشْرِكِينَ لَا عَنْ قِلَّةِ عَدَدِهِمْ .

والاستدراك في قوله: {ولكن الله سلم} راجع إلى ما في جملة: {ولو أراكم كثيرًا} من الإشعار بأنّ العدوّ كثير في نفس الأمر، وأنّ الرُّؤْيَا قد تعاكي الصورة التي في نفس الأمر، وهو الأكثر في مرائي الأنبياء، وقد تعاكي المعنى الرمزيّ وهو الغالب في مرائي غير الأنبياء، مثل رؤيا ملك مصر سبع بقرات، ورؤيا صاحبي يوسف في السّجن، وهو القليل في مرائي الأنبياء مثل رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم أنّه هَزَّ سِيفًا فَاَنْكَسَرَ فِي يَدِهِ، فمعنى الاستدراك رفع ما فرض في قوله: {ولو أراكم كثيرًا}. فمفعول {سلم} ومتعلّقه محذوفان إيجازاً إذ دلّ عليه قوله: {لفشلتُم ولتنازعتم} والتقدير: سلّمكم من الفشل والتنازع بأن سلمكم من سببهما، وهو إراءتكم واقع عدد المشركين، لأنّ الاطلاع

على كثرة العدو يلقي في النفوس تهيباً له وتفوّفاً منه، وذلك ينقص شجاعة المسلمين الذين أراد الله أن يوفر لهم منتهى الشجاعة، جملة: {إنه عليم بذات الصدور} تذييل للمنة، أي: أوحى إلى رسوله بتلك الرؤيا الرمزية، لعلمه بما في الصدور البشرية من تأثير النفوس بالمشاهدات¹.

فالرابط الحجاجي لكن أظهر قوة حجاجية لحجة عن حجة أخرى، حيث أن ح2 (الله سلّم) أقوى من ح1 (أراكم كثيراً)، لأن ح1 جاءت قبل " لكن " وح2 أقوى وتوجه القول بمجمله إلى النتيجة (لا ن) (قوية قلوبهم) وبالتالي الرابط الحجاجي " لكن " أظهر قوة حجاجية للحجة 2 عن الحجة ح1.

1.3 الرابط الحجاجي (حتى):

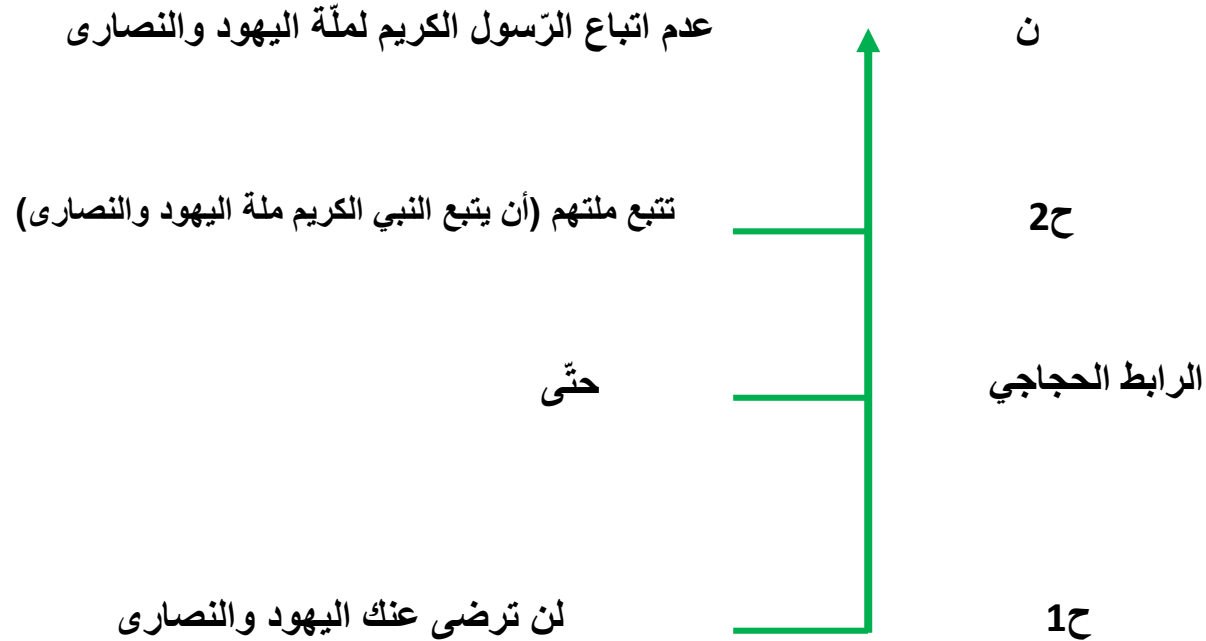
و هي من الروابط المتساوقة حجاجيا و المدرجة بالحجج القوية، و الحجج المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي إنها تخدم نتيجة واحدة، و الحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى، لذلك فإن القول المجتهد عن الأداة حتى لا يقبل الإبطال و التعارض الحجاجي²، و من النماذج القرآنية التي وقف عندها الطاهر بن عاشور مستظهرا دور الرابط الحجاجي حتى في بيان التدرج بين الحجج، إذ يقول في تفسيره قوله تعالى : ﴿ وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾³، يقول بن عاشور: " و معنى هذه الآية لن ترضى عنك الطائفتان اليهود و النصارى لشريعة الاسلام، لأنهم إذا كانوا لا يرضون إلا باتباعه ملتهم فهم لا يتبعون ملته و لما كان اتباع النبي ملتهم مستحيلا كان رضاهم عنهم كذلك على حد " حتى يلج الجمل في سم الفياض " وقوله " لا أعبد ما تعبدون ولا أئتم عابدون ما أعبد " والتصريح بلا النافية بعد

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 10، ص 24

2 ينظر: اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي، ص 73.

3 البقرة 120

حرف العطف لأنه كانوا يظن بهم خلاف ذلك، لإظهار شيء من المودة للمسلمين¹، فالرابط الحجاجي
ها هنا ربط مجموعة من الحجج:



1-4 الرابط الحجاجي (الواو):

تعدّ الواو من أهم الروابط الحجاجية، إذ لا يقتصر دورها على مجرد الجمع بين الحجج
فحسب، بل تعمل على تقوية الحجج بعضها ببعض لتحقيق النتيجة المرجوة، وهي من الروابط
الحجاجية المدعّمة للحجج المتساوقة أو المتساندة (التي تخدم نتيجة واحدة)، والأمثلة على ذلك
كثيرة، ومما يستشفّ من الممارسة النّدّاولية عند الطّاهر بن عاشور مدى عنايته باستظهار هذه
الروابط ومن بينها (الواو) لتقوية الحجج والبراهين المقنعة للوصول إلى المقصد المنشود، ما
جاء في مدونته عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ اَلَمْ (1) ذٰلِكَ الْكِتٰبُ لَا رَيْبَ فِيْهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِيْنَ (2) ﴾

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص 693

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (4) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ¹،
حيث بيّن أن الرّابط الحاجبي (الواو) في هذه الآيات جمع بين عدد من الحجج المتساوقة، كما قام بترتيبها لتحقيق النتيجة المرجوة إنّها الهدى الحاصل في الدنيا والفلاح الحاصل في الآخرة². ويمكن تمثيل الحجج الواردة في هاته الآيات وفق السّلم الحاجبي التّالي:

(ن) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ

الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

2. العوامل الحاجبية:

تختلف العوامل الحاجبية عن الرّوابط الحاجبية في كونها لا تربط بين متغيّرات حاجبية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة من الحجج)، بل تقوم بحصر وتقييد الإمكانيات الحاجبية التي تكون بقول ما وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: (ربّما، تقريبا، كاد، كثيرا، إلا وجل أدوات القصر)³.

1 البقرة 1-5

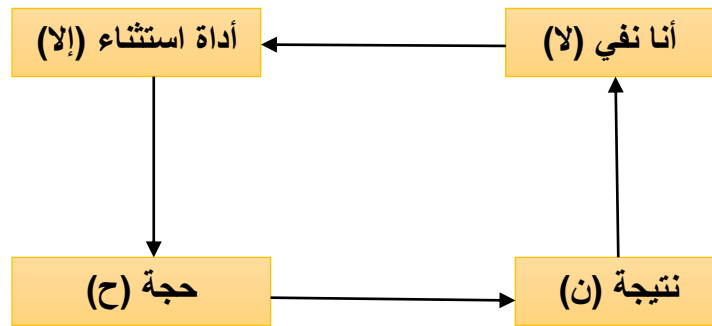
2 ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج1، ص 246

3 ينظر: أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص 27

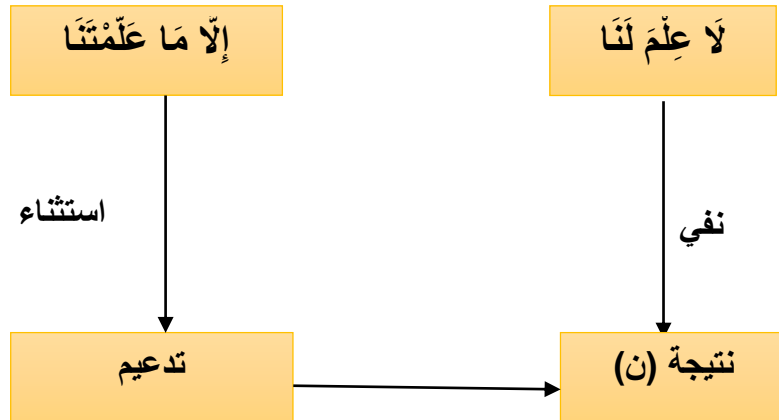
ومن العوامل الحجاجية الواردة في مدونة - التحرير والتنوير- والتي وقف عندها الطاهر بن عاشور من خلال استظهاره للدلالة القاصرة عبر هذه العوامل:

2-1 العامل الحجاجي (لا وإلا):

وهو من التراكيب التي تترتب فيها الحجج حسب درجتها الحجاجية في سلم حجاجي واحد، فهو عامل يوجّه القول وجهة واحدة نحو الانخفاض، وهو ما يستثمره المرسل عادة لإقناع المرسل اليه، ويمكن تمثيله وفق المخطط التالي:



ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾¹



فأسلوب القصر بالعامل الحجاجي (لا...إلا...) في هاتين الآيتين مناسب لمقام تأدب الملائكة مع الله - سبحانه وتعالى -، وهذا ما استظهره الطاهر بن عاشور عند تفسيره لهذه الآية قائلاً:

"افتتاح كلامهم بالتسبيح وقوف في مقام الأدب والتعظيم لذي العظمة المطلقة" ¹، فالملائكة اعترفوا بعجزهم وطلبوا الاعتذار من الله - سبحانه وتعالى - عن مراجعتهم إياه.

3. المناظرة:

المناظرة خطاب إقناعي يهدف إلى التأثير في المرسل إليه لبناء موقف جديد، وهو ما يستدعي -حسب طه عبد الرحمان - قصدين حواريين هما: قصد الادّعاء، وقصد الاعتراض، إذ يرتبط قصد الادّعاء بالمتكلم الذي يدّعي أمرا فيستعد لإقامة الدليل عليه، أما الاعتراض فهو للسامع والمتلقي الذي له الحق في المطالبة بدليل المدّعي.

يعتمد أسلوب المناظرة على المحاجة والاستدلال، وكافة وسائل الإقناع لردّ حجة الخصم، وهذا النوع هو الذي أشار إليه الطاهر بن عاشور و أبان عنه من جملة ما عني به من الوجوه التداولية التي التمسناها في مدوّنته، حيث وقفنا على تفسيره لقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ ۚ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ²، يقول : " واحتج بمجة واضحة يدركها كل عاقل وهي أنّ الربّ المق هو الذي يعيي ويميت " ³، فالنبي - إبراهيم - عليه السلام - ساق مجموعة من الأدلة لإثبات صدق دعواه وإبطال دعوى خصمه الملك الكافر (النمرود)، وعمد إلى البرهنة على ذلك بقدره الله على الإحياء والإماتة، ويمكن تمثيل حجج النبي - إبراهيم عليه السلام

1 التحرير والتنوير، ج1، ص 413.

2 البقرة 258.

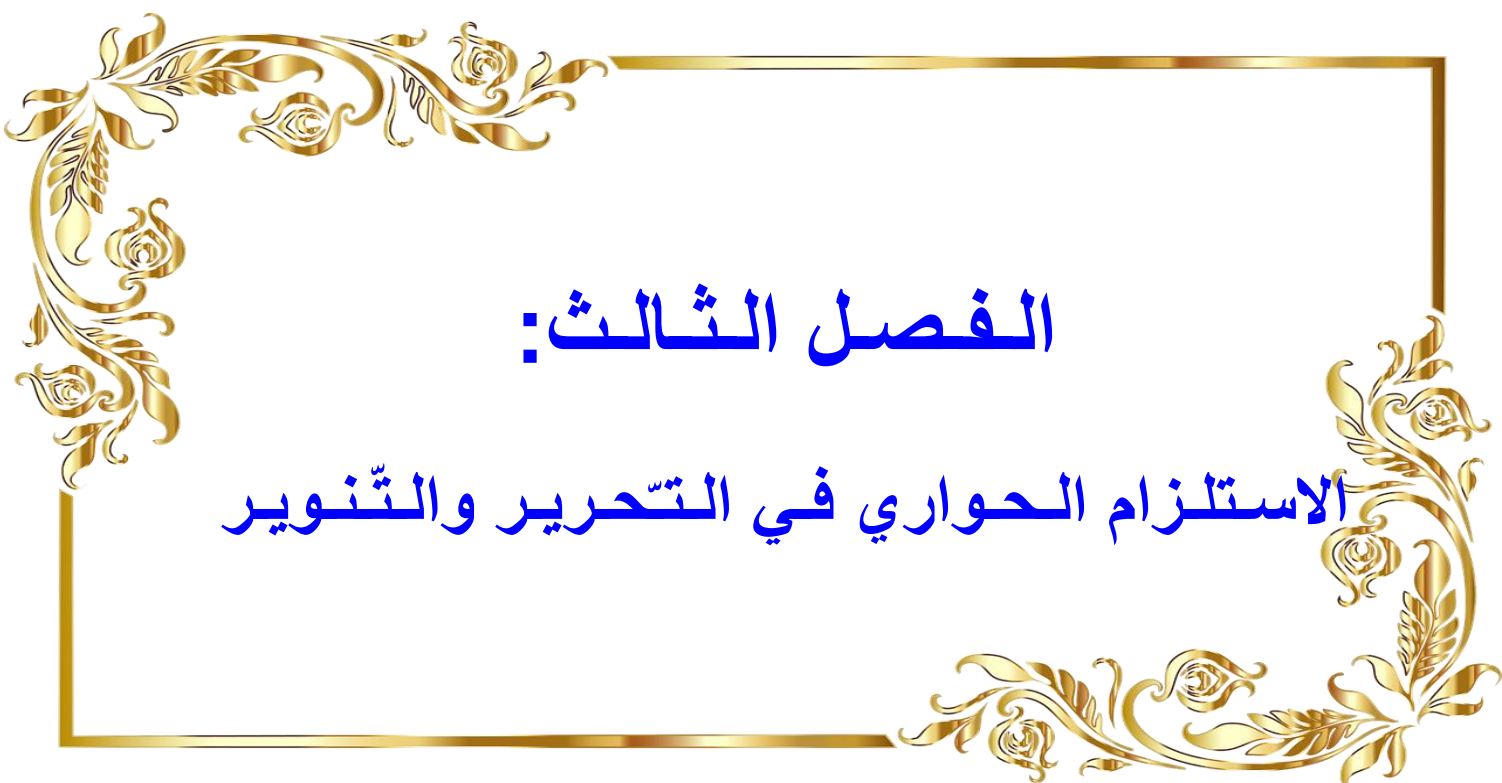
3 المرجع السابق، ج 3، ص 33.

ن: الله سبحانه هو الإله الحق الذي يستحق العبادة

ح2: فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ

ح 1: رَبِّي الَّذِي يُخَيِّ وَيُمِيتُ

من خلال عرض المنحى الحجاجي في مدونة - التحرير والتنوير - نتأكد أن تلك الروابط والأساليب الحجاجية التي وردت في الآيات والمقدمات قد ساهمت في حجاجيته وتسهيل تلقي الخطاب وفهمه والاقتران، ولم يقتصر دورها على ما ذكرنا فحسب بل تعداه لتساهم في تشكيل البنية الحجاجية، وتوالد النص وانسجامه وتوافقه هو ما اعتنى به المفسر في كتابه - التحرير والتنوير - ورأى ضرورة الوقوف عندها للوصول إلى الثمرة المرجوة وهي عملية الفهم والإفهام، وهي التي عدّها الطاهر بن عاشور جوهر العملية التأويلية، فالمقصدية ومراعاة المقامات ضرورة حتمية للقبض على الدلالة ، خصوصا إذا احتفت بها العوامل الحجاجية التي من شأنها أن تضفي على البراهين قوة ومتانة بغية الإقبال على الغاية المعهودة .



الفصل الثالث:

الاستلزام الحوارى فى التحرير والتّوير

تمهيد

- المبحث الأول: الاستلزام الحوارى فى المنجز العربى القديم.
- المبحث الثانى: الاستلزام الحوارى فى الدرس اللسانى الغربى.
- المبحث الثالث: الاستلزام الحوارى فى التحرير والتنوير.

تمهيد:

يُعدّ الاستلزام¹ الحوارى من أهم مفاهيم التّداولية، بل ألصقها بطبيعة البحث التّداولي، وقد نشأ هذا المفهوم على يد "بول غرايس" (paul grice) عبر محاضراته التي ألقاها في جامعة هارفرد سنة 1967 م، وقد صيغت هذه المحاضرات في أجزاء سنة 1975م في بحث له بعنوان " المنطق والحوار " عالج فيها التّصورات الكاملة التي يقوم عليها الاستلزام الحوارى، وهي تؤسّس لنوع من التّواصل، الذي يمكن وسمه التّواصل غير المعلن (الضمير)² بحجة أنّ المتكلّم في كثير من الأحيان، يقول كلامًا ويقصد غيره كما أنّ المستمع قد يسمع كلامًا فيفهم غير ما سمع، ممّا يدلّ على أنّ العمليّة التّأويليّة للمعنى لا تتمّ بشكل عشوائي، بل تؤطّر بها مجموعة الظروف والملابسات المحيطة بالخطاب، من متكلّمين وسياق ومخاطبين إلى غير ذلك، ومن هنا بدأ البحث اللّساني ينحو منحى مميزًا فلم يعد الاهتمام ينصبّ على وضع نظريات الخطاب، وإنّما صار يعنى بعمليّة التّخاطب في حد ذاتها³.

وإذا كانت بدايات هذا الظّاهرة في الدّرس التّداولي تعود إلى الأبحاث التي قام بها "بول غرايس" (paul grice)، فإنّ بعض الدّراسات التي قام بها عدد من الباحثين العرب المحدثين تؤكد أنّ العرب القدماء كانوا على وعي كبير بظاهرة الاستلزام الحوارى، وخصوصا منهم علماء البلاغة وعلماء الأصول الذين كانت دراسة الظّاهرة عندهم أكفي مما توصل إليه علماء اللّسان الحديث، وهو ما يتمّ التّطرق إليه من خلال المبحث الأوّل.

1 أطلق الدكتور عادل فاخوري على مصطلح الاستلزام تسمية (الاقتضاء)، ينظر: عادل فاخوري، محاضرات في فلسفة اللغة، دار الكتاب الجديد، ط1، 2012، ص7، والحقيقة أنّ هذين المصطلحين مختلفين، فالإقتضاء مفهوم منطقي لا يتغير بظروف استعمال العبارة، وأمّا الاستلزام فهو مفهوم لساني تداولي يتغير بالظروف، ينظر: محمد عابد الجابري، أشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحوارى بحث (شبكة المعلومات).
2 ينظر: صلاح إسماعيل، النظرية القصديّة في المعنى عند غرايس، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعيّة، الكويت، الرسالة 230، 2005، من ص 18-21.

3 العياشي أدراوى، الاستلزام الحوارى في التداول اللّساني، ص 7 - 8.

المبحث الأول: الاستلزام الحوارى فى المنجز العربى القديم:

لقد تم الانتباه إلى وعى العرب القدماء بظاهرة الاستلزام الحوارى، ليس من حيث المفهوم، بل من جهة كونه إشكالا دلاليا يبرز فى أحيان كثيرة أثناء الخطاب، لذا كان من الضرورى ترصدها واستقصاؤها فى علمى البلاغة والأصول، وذلك بتقديم جملة من الاقتراحات التى بقيت فى نطاق ملاحظة (الظاهرة)، ثم وضع مصطلحات تتباين بتباين تلك العلوم، ومن هذه المصطلحات، (المعنى الفرعى) و(المعنى المقامى) و(دلالة المفهوم) و(الأغراض التى تؤدىها الأساليب)¹، وغيرها من المصطلحات والمفاهيم التى تدل على مدى عنايتهم وإدراكهم لهذه الظاهرة، ونحاول من خلال هذا البحث تتبع هذه الظاهرة والوقوف عليها فى الدرس البلاغى وتحديدًا لدى السكاكى (ت626 هـ) من خلال مؤلفه (مفتاح العلوم) باعتباره النموذج المتميز للوعى البلاغى لعلوم الاستلزام الحوارى.

أ/ ثنائية الخبر والإنشاء عند السكاكى (ت626 هـ):

تناول - السكاكى (ت626 هـ) - ثنائية (الخبر والإنشاء) ضمن مباحث علم المعانى الذى يختص بدراسة التراكيب المفيدة، وجاء فى تعريفه لعلم المعانى قوله: " اعلم أنّ علم المعانى هو تتبّع خواص تراكيب الكلام فى الإفادة وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ فى تطبيق الكلام على ما يقتضى الحال ذكره ..."²، ثم يقسم التراكيب إلى قسمين:

- الخبر.
- الطلب (الإنشاء).

وهو ما قصده بقوله: " إنّ التّعرض لخواص تراكيب الكلام موقوف على التّعرض لتراكيبه ضرورة، لكن لا يخفى عليك حال التّعرض لها منتشرة، فيجب المصير إلى إيرادها تحت الضبط

1 المرجع السابق، ص 25.

2 السكاكى، مفتاح العلوم، ص 247.

بتعبين ما هو أصل لها وسابق فى الاعتبار، ثم حمل ما عدا ذلك عليه شيئاً على موجب المساق، والسابق فى الاعتبار فى كلام العرب شيئان (الخبر والطلب)، المنحصر فى الأبواب الخمسة التى يأتى ذكرها، وما سوى ذلك شائع امتناع إجراء الكلام على الأصل¹.

ب/- المعانى الملتزمة عن الأسلوب الخبرى:

الأصل فى الأخبار أن يقصد بها حصول فائدة لدى المتلقى الذى يعنيه الكلام وهذا من مقتضى ظاهره، فىراعى حال المخاطب، وفق أضرب الخبر الثلاث، إما أن يكون المستمع خالى الذهن أو متردداً شاكاً، أو منكراً للخبر معتقداً خلافه، غير أنه قد تأتى مقامات تقضى بخروج الكلام عن ظاهره، فيتولد عنه أغراض أخرى مختلفة تستفاد من السياق وملابسات القول، وهو ما يرى فيه السكاكى (ت626هـ) عملاً لا يقوم به إلا الحذاق من أرباب البلاغة يقول: "إنك ترى المفلقين السحرة فى هذا الفن ينفثون الكلام لا على مقتضى الظاهر كثيراً، وذلك إذا أخلوا المحيط بفائدة الجملة الخبرية، وبلازم فائدتها علماً محلّ الخالى عن ذلك لاعتبارات خطابية، مرجعها تجهيله بوجوه مختلفة وإن شئت عليك بكلام رب العزة، ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَلَيْئَسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾²، كيف تجد صدره يصف أهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد القسمي، وآخره ينفيه عنهم، حيث لم يعملوا بعملهم"³، ففي هذا المقام يتعامل المتكلم مع السامع العالم بالخبر كما يتعامل معه على أساس أنه لا يعلم، وذلك قصد تجهيله، وفي ذلك تحقيق لغرض تداولي.

ويمكن إيراد بعض حالات خروج الخبر عن مقتضى الظاهر فى العناصر الآتية:

1 المصدر السابق، ص247

2 البقرة 102.

3 السكاكى، مفتاح العلوم، ص 259-260

1/ أن ينزل غير المنكر منزلة المنكر:

ينزل غير المنكر منزلة المنكر إذا ظهر عليه شيء من دلائل الإنكار، وفي هذا المقام يؤكد له الكلام كما يؤكد مع المنكر، ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾¹، فالذين خوطبوا بهذه الآية هم المؤمنون وهم غير منكرين لمضمون الآية، وكان مقتضى الظاهر أن يلقي إليهم الخبر خاليًا من التأكيد. ولكن ظهور أمارات وعلامات الإنكار، وغفلتهم عن الموت جاء الخبر مؤكداً بمؤكدتين (إنّ) و(الآم) لأجل إنزالهم منزلة المنكرين².

2/ إنزال خالي الذهن منزلة السائل المتردد:

قد يكون المخاطب خالي الذهن متردداً أو شاكاً في تلقي الخبر، وحينئذ على المتكلم أن يراعي حال المخاطب تلك فيلقي إليه الخبر مؤكداً بمؤكد أو أكثر حسب الحاجة، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَوْحِي إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَاصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾³.

لقد كانت نفس نوح -عليه السلام- تستشرف طلب تأخير إهلاك الظالمين من قومه بإمهالهم أو صرف النظر عن إهلاكهم إهلاكاً عاماً شاملاً، فبادره الله تعالى بقوله: "وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا"، ثم أكد ما قضاها - سبحانه - من إهلاكهم بالغرق، فقال له {إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ} فاشتملت هذه الآية على مؤكدين: (إنّ) و (الجملة الاسمية)⁴.

1 المؤمنون 15.

2 ينظر: ليلي كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية - ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجاً - أطروحة دكتوراه علوم - تخصص علوم اللسان العربي -، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015، ص 254.

3 هود 36 - 37

4 ينظر: السكاكي مفتاح العلوم، ص 259-260.

3/ تنزيل المنكر منزلة غير المنكر:

ويكون ذلك إذا كان مع هذا المخاطب المنكر من الأدلة ما إن تأمله ارتدع ورجع عن الإنكار، وعليه لا يعتد بإنكاره ولا يلتفت إليه، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى مخاطباً منكري وحدانيته: ﴿وَالْهُكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾¹.

فالخطاب فى هاته الآية موجّه للكفار المنكرين لحقيقة وحدانية الله، وكان مقتضى الظاهر أن يلقى إليهم الخبر مؤكداً مراعاة لحالهم لكنّه جاء خالياً من التوكيد، فينزل هؤلاء المنكرين الجاحدين منزلة غير المنكرين، ومردّد ذلك أن من يحيل نظره من هؤلاء المنكرين سيجد البراهين الساطعة، والحجج الدامغة الدالة على وحدانية الله، لذلك لم يقم الله تعالى لهذا الإنكار وزناً، ولم يعتد به فى توجيه الخطاب إليهم².

4/ - تنزيل المنكر منزلة السائل:

إذا كانت أدلة الحكم من القوة بحيث توهن أسباب الإنكار، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾³، فالآية تؤكد إثبات البعث تأكيداً محدوداً (بمؤكد واحد) وإن كان المشركون ممّن ينكرون ذلك، لأنّ وضوح أدلته يمنع إنكاره وإن كان على البشر إمّا أن يؤمنوا به، أو يسألوا عنه، فنزل المخاطبون المنكرون منزلة السائلين تنبيهاً لهم على ظهور أدلته وحثاً لهم على تأملها. ولا ريب أنّ الغرض من خروج الخبر على خلاف مقتضى الظاهر هو التأثير فى نفوس المتلقين، وفيه تبرز الأبعاد التداولية لهذا النوع من الكلام، وفي هذا الشأن يقول السكاكي (ت626 هـ): "...وهذا النوع أعني نفث الكلام لا على مقتضى الظاهر، متى وقع عند النّظر موقعه استهش الأنفس، وأنق الأسماع، وهزّ القرائح، ونشط الأذهان، ولأمر ما تجد أرباب البلاغة، وفرسان الطّراد فى ميدانها الرّامية فى حلق البيان، يستكثرون من هذا الفن فى محاوراتهم"⁴.

1 البقرة 163.

2 ينظر: لىلى كادة، المكون التداولى فى النظرية اللسانية العربية، ص 245.

3 المؤمنون 16.

4 السكاكى، مفتاح العلوم، ص 263.

هذا وإنّ لخروج الخبر على مقتضى الظاهر أغراض متنوّعة ومتعدّدة، ينتج عنها قوى مستلزّمة تحدّدّها المقامات منها الإرشاد والنّصح، التّهديد والتّوبيخ، الدّعاء، والاسترجاع وغيرها كما يخرج الخبر للدّلالة على الطّلب فى بعض الأحيان فيستلزم منه معان متعدّدة منها:

أ. إظهار الحرص فى وقوع الفعل المطلوب:

قد يعود العدول عن الأسلوب الطّلبى إلى اعتبارات تتعلّق بذات المتكلّم، ورغبته فى إظهار حرصه على وقوع الطّلب، وهو حرص قد يبالغ فيه إلى درجة يصبح فيها الواقع خيالاً والخيال واقعاً، على خلاف ما هو معهود، حتّى لو حدث تعارض بين ما يدرك بالحواس فى الواقع، وما يدرك بالخيال، كانت الغلبة للخيال الدّى انتقشت فيه صورة حصول الطّلب لكثرة تعلّق المتكلّم به، وفى هذا الصّدّد يقول السكاكى (ت626 هـ) : " فالطّالب متى يبالغ حرصه فيما يطلب ربّما انتقشت فى الخيال صورته لكثرة ما ينجى به نفسه، فيخيّل إليه غير الحاصل حاصلًا، حتّى إذا حكم الحسّ بخلافه غلّطه تارة، واستخرج له محملاً أخرى ¹ .

ويشير السكاكى (ت626 هـ) إلى أنّ الكثير من الأساليب القرآنية يجري على هذا النّحو فيعدل فيها عن الطّلب إلى الخبر، للإشارة إلى تحقّق الفعل، وجعل ما يرغب فى حصوله فى المستقبل كأنّه واقع متحقّق قصد التّأكيد والمبالغة، ومنه قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُجِيزُكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ² ، فجملتا (تؤمنون) و (تجاهدون) وضعتا بدل (آمنوا) و (جاهدوا) وذلك "قصدًا للإيذان بوجوب الأمتثال وكأنّه امتتثل فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين" ³ ، وحاصلين لا عن أمرين مطلوب تحقّقهما فى المستقبل .

ب. قصد التفاؤل بالوقوع : وهو كثير الاستعمال فى كلام العرب " كما إذا قيل لك فى مقام الدعاء أعاذك الله من الشبهة، وعصمك من الحيرة، ووفقك للتقوى، ليتفاءل بلفظ المضى

1 المصدر السابق، ص 432 – 433.

2 الصّف 10 - 11

3 الزمخشري، الكشف، ج 06، ص 106

على عدّها من الأمور الحاصلة، التي حققها الإخبار عنها بأفعال ماضية "1، فكأن المتكلم يحمل السامع على التفاؤل بوقوع الطلب، فيدخل إلى نفسه السرور والارتياح، ويعتبر التفاؤل حينئذ فعلاً متضمناً في القول، و إذا كان سياق الدعاء يقتضي من المتكلم أن يستخدم فعل الأمر الذي يحمل معنى الدعاء، فيقول : (اللهم أعذه من الشبهة ، واعصمه من الحيرة، ووفقه للتقوى)، إلا أنّ هذه الصيغة محمولة على الطلب المرجو وقوعه، ومن ثمّ فإنّ أثرها لا يبلغ في نفس السامع ما يبلغه أثر الجملة الماضية التي تدلّ على حصول الفعل، وعدم الشك في وقوعه، لذا فإنّ استخدام الجملة الخبرية التي فعلها ماض في موضع الجملة الانشائية الدعائية، حمل معنى إضافياً إلى السامع يتمثل في (الدعاء) أولاً، وفي تحقق هذا الدعاء فعلاً متضمناً فيه هو (التفاؤل) ثانياً .

ج - المعاني المستلزمة عن الأسلوب الإنشائي:

ينحصر الطلب (الإنشاء) عند صاحب المفتاح في الأبواب الخمسة الأصلية: الاستفهام، النداء، الأمر والنهي، التمني، وهذه الأبواب هي بمثابة أفعال كلامية بالمفهوم التداولي الحديث، وما سوى ذلك - في نظره - من نتائج إجراء الكلام على الأوّل.

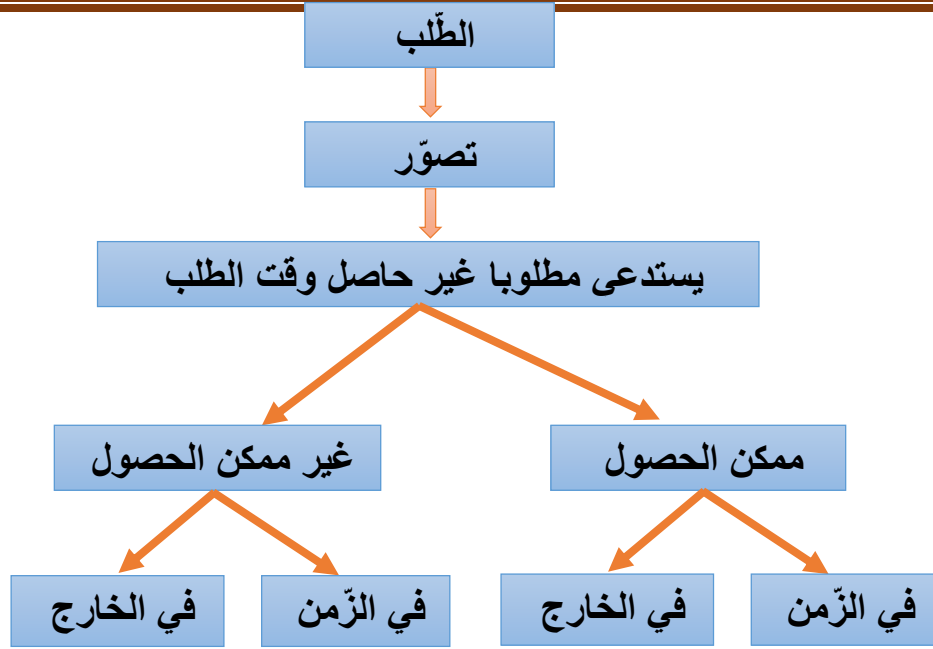
ويعرّف الطلب بأنّه: "يستدعي مطلوباً لامحالة ويستدعي فيما هو مطلوبه ألا يكون حاصلًا وقت الطلب"2، وعلى هذا الأساس يقسم الطلب إلى نوعين:

- نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول، ويضمّ باباً واحداً (التمني)
- نوع يستدعي فيه إمكان الحصول، ويضمّ الأبواب الأربعة: الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء.

ثمّ يقسم (المطلوب) بالنظر إلى أن لا واسطة بين الثبوت والانتفاء إلى قسمين: حصول ثبوت متصوّر، وحصول انتفاء، وبالنظر إلى كون الحصول ذهنياً أو خارجياً، يستلزم انقساماً إلى أربعة أقسام: حصولين في الذهن، وحصولين في الخارج وفق المخطط التالي:

1 السكاكي، مفتاح العلوم، ص 432.

2 السكاكي: المصدر نفسه، ص 414.



يتبيّن ممّا سبق أنّه عند إجراء معاني الطلب الخمسة على أصلها، فإنّ العبارة اللّغوية تحمل المعنى الذي يدل على صيغتها الصّورية من نداء واستفهام وغيرهما، أمّا عندما يتعذر ذلك، أي حينما تؤدّي المعاني السّالفة في نطاق شروط لا تنضبط لمبدأ (الإجراء على الأصل) فإنّها تخرج إلى معان فرعية أو (إضافية) يسمّيها السكاكي (ت626 هـ): (أغراضا فرعية) وتبعا لذلك فإنّ عملية الانتقال من المعنى الصّريح إلى المعنى المستلزم، تتمّ في مرحلتين متلازمتين: **المرحلة الأولى:** يؤدي عدم مطابقة المقام إلى خرم أحد شروط إجراء المعنى الأصلي، فيمنع إجراءه.

المرحلة الثانية: يتولّد عن الإخلال بشرط المعنى الأصلي، ومن ثمّة امتناع إجراءاته معنى آخر يناسب المقام¹.

وفيما يلي بيان لأهمّ المعاني المستلزمة عن الأساليب الطّلبية الأصلية:

1 العياشي أدرابي، الاستلزام الحواري في التداوي اللساني، ص 32.

1/ المعانى المستلزمة عن التّمنى:

يمثّل أسلوب التّمنى النّوع الأوّل من أساليب الطّلب حسب تصنيف السكاكى (ت626 هـ) وهو من الأساليب الطّلبية الّتي متى امتنع إجراؤها على الأصل، تولّد منها ما يناسب المقام، كما إذا قلت لمن همك همّه: ليتك تحدّثني امتنع اجراء التّمنى، والحال ما ذكر على أصله، فتطلب الحديث من صاحبك غير مطموّع في حصوله، وولّد بمعونة قرينة الحال معنى السؤال¹.

وهناك معان أخرى يخرج إليها أسلوب التّمنى منها²:

أ - التّحضيض:

إذ الأصل في الشّيء المتمنى أن يكون غير متوقع كأن يكون مستحيلا أو صعب التحقق، فإذا كان متوقّعا نحو: ليتك تعمل كذا لقريب منتظر تحوّل الأسلوب للدلالة على التّحضيض.

ب - النّدم والتّحسّر والتّلهف:

فالأصل في التّمنى أن يكون متعلّقا بالمستقبل فإذا تخلّف هذا العنصر تحوّل المعنى للدلالة على النّدم، إذا كان الفعل متصّلا بالمتكلّم، والتّنديم إذا كان متصلا بالمخاطب، فمن المواضع الّتي جاء فيها التّمنى عن النّدم في القرآن الكريم، قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا قَوْلًا يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ مَا نَسْمَعُ وَلَا نَعْلَمُ إِنَّا فَهْمٌ عَلَىٰ غَيْبٍ لَا يَمْلِكُ لَنَا شَيْءٌ لَّا يَمْلِكُ إِلَّا اللَّهُ عَنَّا غَيْرُ لَئِيْلَ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِالسَّافِهِينَ﴾³.

2/- المعانى المستلزمة عن الاستفهام:

الاستفهام أوّل أبواب النّوع الثّاني من أنواع الطّلب (الإنشاء) حسب تصنيف السكاكى (ت626 هـ) لأقسام الطّلب، يقول السكاكى (ت626 هـ): "والاستفهام لطلب حصول في الدّهن والمطلوب حصوله في الدّهن إما أن يكون بحكم شيء على شيء أو لا يكون... والفرق بين الطّلب في الاستفهام وبين الطّلب في الأمر والنهي والنداء واضح، فإنّك في الاستفهام تطلب ما

1 السكاكى، مفتاح العلوم ص 416.

2 ينظر: لبيلى كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية ص 295.

3 الفرقان 27.

هو في الخارج ليحصل في ذهنك نقش مطابق له، وفي سواه تنقش في ذهنك ثم تطلب أن يحصل له في الخارج مطابق، فنقش الذهن في الأوّل تابع وفي الثاني متبوع¹.

ومفاد هذا أنّه إذا ما استوفت جملة الاستفهام جميع هذه الشروط فإن الاستفهام يكون أصلياً، أما إذا لم تنضبط للشروط المذكورة فإننا نكون بصدد معنى آخر جديد، غير المعنى الأصلي المستفاد من دلالة جملة الاستفهام الظاهرة، وهذا يعني أنّ المحدّد في مثل هذه الحالات ليست الصيغة وإنما المقام، على اعتبار أنّ الصيغة لا تستوعب المقام في كثير من الأحيان، فيما المقام يستوعبها².

وعليه فإنّ الاستفهام قد يخرج عن معناه الأصلي وذلك ضمن مقامات مختلفة إلى معانٍ فرعية مختلفة كثيرة فيها³.

- **التمني:** نحو قولك (هل لي من شفيع؟) في مقام لا يسع إمكان التصديق بوجود الشفيع امتنع إجراء الاستفهام على أصله، وولّد بمعونة قرائن الاحوال معنى التمني.
- **الإنكار والزجر:** كقولك لمن تراه يؤذي الأب (أتفعل هذا؟) امتنع توجه الاستفهام إلى فعل الأذى، لعلمك بحاله، وتوجه إلى مالا تعلم، ممّا يلابسه، من مثل: أتستحسن؟ وولّد الإنكار والزجر.
- **العرض:** نحو قولك لمن تراه لا ينزل: ألا تنزل فتصيب خيرًا؟، امتنع أن يكون المطلوب بالاستفهام التصديق بحال نزول صاحبك لكونه حاصلاً، وتوجه بمعونة قرينة الحال إلى نحو ألا تحب النزول مع محبتنا إيّاه وولّد معنى العرض.
- **الاستبطاء:** وذلك إذا قلت لمن بعثت إلى مهم وأنت تراه عندك: أما ذهبت بعد؟ امتنع الذهاب عن توجه الاستفهام إليه، لكونه معلوم الحال، واستدعى شينا مجهول

1 السكاكي، مفتاح العلوم، ص 415، 416.

2 العياشي أدرائي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص 34.

3 ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص 416- 417

الحال مما يلبس الذهاب مثل: أما تيسر لك الذهاب؟ وتولد منه الاستبطاء والتحضيض.

3/- المعانى المستلزمة عن الأمر:

يقول السكاكى (ت626 هـ) بشأن أسلوب الأمر: " والأمر فى لغة العرب عبارة عن استعمالها، أعني استعمال نحو، لينزل، وانزل، ونزال، وصه على سبيل الاستعلاء، وأما أن هذه الصور والتي هي من قبيلها، فهل هي موضوعة لتستعمل على سبيل الاستعلاء أم لا؟ فالأظهر إنها موضوعة لذلك ولا شبهة فى أن طلب المتصور على سبيل الاستعلاء، يورث إيجاب الإتيان على المطلوب منه، ثم إذا كان الاستعلاء ممن هو أعلى رتبة من المأمور استتبع إيجابه وجوب الفعل بحسب جهات مختلفة، وإلا لم يستتبعه فإذا صادفت هذه أصل الاستعمال بالشرط المذكور، أفادت الوجوب وإلا لم تفد غير الطلب، ثم إنها حينئذ تولد بحسب قرائن الأحوال ما ناسب المقام"¹.

ويستفاد من كلام السكاكى (ت626 هـ) أن توفر شرط الاستعلاء - وهو شرط تداولي - تتحد من خلاله علاقة المتكلم بالسامع، بحيث يجب أن تكون مرتبة المتكلم أعلى من مرتبة المخاطب أو السامع حتى يستجيب هذا الأخير وينفذ الأمر المطلوب منه، إلا أن الإخلال بشرط الاستعلاء يترتب عنه مجرد طلب الفعل، وتبعاً لهذا تمكن تقديم الشروط التي يكون وفقها الأمر أمراً، وهي:

- طلب الحصول فى الخارج.
- مطلوب غير حاصل.
- ممكن الحصول.

1 السكاكى، مفتاح العلوم، ص 428.

- الطَّالِب مستعل على المطلوب منه¹، لكن قد يحدث أن تخرج الأمر عن دلالاته الأصلية إلى دلالات أخرى، فيها:
- الدَّعاء: نحو قول العبد: رب اغفر لي وارحمني.
- الالتماس: كقول أحدهم لمن يساويه مرتبة: افعل كذا.
- التَّعجيز والتَّحدي: إذا قلت لمن يدعي أمرًا ليس في وسعه: افعله، امتنع أن يكون المطلوب بالأمر، حصول ذلك الأمر في الخارج بحكمك عليه بامتناعه، وتوجّه إلى مطلوب ممكن الحصول مثل بيان عجزه، وتولّد التَّعجيز والتَّحدي².
- التَّهديد: وذلك إذا قلت لعبد شتم مولاه، وأنتك أنبتة حقّ التَّأنيب، أو أوعدته على ذلك أبلغ إيعاد (اشتم مولاك) امتنع أن يكون المراد بالشتيم، والحال ما ذكر، وتوجّه بمعونة قرينة الحال إلى نحو: اعرف لازم الشَّتم، وتولّد منه التَّهديد.

4- المعاني المستلزمة عن النهي:

النَّهي شبه الأمر، وهو بحسب تعبير السكاكي (ت626 هـ): "محذو به حذو الأمر في أنّ أصل استعمال (لا تفعل) أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب، والا أفاد طلب التَّرك فحسب"³.

وهذا يعني أنّ النَّهي باعتباره نوعاً من أنواع الطَّلب الأصلية، يؤدّي بواسطة (لا) الجازمة الدَّاخلية على الفعل المضارع، وهو يساير الأمر في توجيه الخطاب على جهة الاستعلاء، فإن التزم بهذا الشرط نتج عن ذلك وجوب ترك الفعل، وإلا ترتّب مجرد طلب ترك الفعل.

ومن المعاني التي يخرج إليها النهي حسب السكاكي (ت626 هـ):

1 العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداولي اللساني، ص 36.

2 ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص 417.

3 المصدر نفسه، ص 429.

- **الدعاء:** إذا استعمل على سبيل التضرّع والابتهال، كقول المبتهل إلى الله: (لا تكنى إلى نفسى).
- **الالتماس:** وذلك عندما يصدر من متكلم إلى مخاطب مساو له فى الدرجة.
- **الإباحة:** إذا استعمل فى مقام الإذن.
- **التهديد:** إذا استعمل فى مقام سخط الترك¹.

5/- المعانى المستلزمة عن النداء:

لم يول السكاكى (ت626 هـ) فى أسلوب النداء نفس القدر من الاهتمام كبقية أساليب الطلب الأصلية، فتحدّث عن خروج هذا الأسلوب لإفادة معنى التّحضيض حيث يقول: " وتلك الصّورة هى قولهم: أمّا أنا فأفعل كذا أيّها الرجل ونحن نفعل كذا أيّها القوم، اللهم اغفر لنا أيّها العصابة، ويراد بها النوع من الكلام الاختصاص على معنى: أنا افعل كذا متخصّصاً بذلك من بين الرّجال، ونحن نفعل ذلك متخصّصين من بين الأقوام، اللهم اغفر لنا مخصّوصين من بين المصائب"².

1 المصدر السابق، ص499.

2 المصدر نفسه، ص 431

المبحث الثانى: الاستلزام الحوارى فى الدرس اللسانى الغربى:

يعدّ الاستلزام الحوارى أحد أبرز المفاهيم فى الدرس التداولى الغربى الحديث والذي يعود أولى بداياته إلى أعمال "بول غرايس" (paul grice) الذى لاحظ أنّ المتخاطبين عندما يتجاوزون يتبعون عددًا معيّنًا من القواعد الضمنية اللازمة للتواصل¹، وفى حالة ما إذا وقع خلل فى تلك القواعد فلا يتمّ ذلك التواصل.

حاول "غرايس" أن يقدّم تفسيرًا لهذه الظاهرة بالارتكاز على قصد المتحاورين²، فالمحاور فى اللغات الطبيعية فى نظره يقودها "مجموعة من الافتراضات والتّقدّيرات الكامنة فى كفاية المتحاورين والنّاتجة عن اعتبارات عقلية مهمّتها توجيه الاستعمال اللّغوى الحوارى الفعّال نحو تحقيق أهدافه التعاونية"³.

ومنطلق هذه الفكرة لدى "غرايس" أنّه وجد النّاس فى بعض حواراتهم يقولون ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر ممّا يقولون، وقد يقولون عكس ما يقولون ما يقصدون، فجعل كل همته إيضاح الاختلاف بين ما يقال (المعنى الحرفى) وبين ما يقصد (فهم المتكلّم) على افتراض أنّ المخاطب قادر على فهم ما يقصده المتكلّم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال، فأراد "غرايس" أن يجد آلية ينتقل بها من المعنى الحرفى للقول إلى المعنى الضمنى الذى يحمله القول، فنشأت عنده فكرة الاستلزام التّى تعنى: " لزوم شيء عن طريق شيء آخر، أو قل شيء يعنيه المتكلّم ويوحى به ويقترحه ولا يكون جزءًا ممّا تعنيه الجملة بصورة حرفية"⁴.

1 فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ص 84.

2 ينظر: أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية، ص 26.

3 ينظر، صلاح إسماعيل، النّظرية القصديّة فى المعنى عند غرايس، (بحث)، ص 74

4 المرجع نفسه، ص 79.

وقد لاحظ "غرايس" بأنّ هناك نوعان من الاستلزام:

- **فالأوّل:** هو الاستلزام العرفي: الذي يقوم على تعارف عليه أصل لغة معيّنة فيما بينهم من وجود بعض الألفاظ تستلزم دوما دلالات معيّنة وثابتة لا تختلف باختلاف السياقات والتراكيب، من ذلك مثلا كلمة (but) في اللغة الانجليزية والتي يقابلها حرف الاستدراك (لكن) في اللغة العربية، فهاتان الأداتان تستلزمان دوما أن يأتي بعدهما يكون مخالفا لما يتوقّعه السّامع، نحو: علي رجل فقير لكنّه جواد.
- **الثّاني:** فهو الاستلزام الحواري أو التّخاطبي وهو متغيّر دائما بتغير السياقات التي يرد فيها، وله خصائص تميّزه عن بقيّة أنواع الاستلزام الأخرى.

أ/ خصائص الاستلزام الحواري:

- 1- **قابليته للإلغاء :** ويتمّ ذلك إذا عمد المتكلّم إلى إضافة ما من شأنه أن يسدّ الطّريق أمام المخاطب حين تهيئته للدّخول في عمليّة التّأويل بغية الوقوف على المعاني الضّمّنية للعبارة، ومثال ذلك أن يقول شخص لكتّاب ما : (لم أقرأ كل كتبك)، فهذا الكلام يستلزم أن هذا الشّخص قد قرأ بعض الكثير لهذا الكتّاب، لكنّه لو قال : (في الحقيقة أقرأ أيّ كتاب من كتبك)، فإنّه في هذه الحالة يكون قد ألقى الاستلزام وإمكان الإلغاء هذا هو أهم اختلاف بين المعنى الصّريح والمعنى الضّمّني وهو الذي تمكّن من أن ينكر ما يستلزمه كلامه .
 - 2- **عدم قابليته للانفصال عن المحتوى الدّلالي:** فالاستلزام الحواري متّصل بالمعنى الدّلالي لما يقال وليس بالصّيغة اللّغوية التي يقال بها فهؤلاء ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها، مثال ذلك هذا الحوار بين أختين:
- لا أريدك أن تتسلّلي إلى غرفتي.

- أنا لا أتسلل ولكننى أمشي على أطراف أصابعي حتى لا أحدث ضوضاء، فعلى الرغم من تغيير الألفاظ والصياغة في القول الثاني إلا أن ما يستلزمه القول الأول من عدم الرضا عن هذا السلوك لا يزال قائماً¹.

3- التغيير: وتغيير الاستلزام يعني أن العبارة الواحدة يمكنها أن تؤدي إلى استلزمات متغيرة ومختلفة باختلاف السياقات التي ترد فيها، وذلك مثل أن يسأل شخص ما عن عمره، فإذا وجه السؤال لطفل صغير مثلاً فقد يكون السؤال لمجرد العلم، أما إذا كان السؤال موجّهاً لشاب في سن الخامسة عشرة - مثلاً - فقد يكون لتأنيبه على تصرف سيء صدر منه، وأما إذا وجه هذا السؤال لشخص كبير وناضج فقد يكون لحثه على تحمل مسؤوليته بنفسه تجاه تصرفاته.

4- القابلية للتقدير: ويعني ذلك أن المخاطب يقوم بخطوات محسوبة كي يصل إلى ما يستلزمه الكلام من معاني ضمنية، ويكون ذلك في مثل العبارات الاستعارية والكنائية حينما ينطلق من الصيغة الحرفية للعبارة التي سمعها ليصل إلى المعنى الضمني الكامن وراء تلك الصيغة اللفظية، نحو قول المتكلم (فلان أسد)، فيفهم السامع أن المتكلم يريد أن يكسب هذا الرجل بعض صفات الأسد كالقوة والشجاعة، وهذا ما يستلزمه القول فيحقق لدى السامع².

وبعد أن قام "غرايس" بتحديد خواص الاستلزام الحوارى، حاول أن يجد إجابة للإشكال الذي كان يشغله وهو: كيف يمكن للمتكلم أن يقول شيئاً وهو يعني شيئاً آخر تماماً؟ وكيف يمكن للمخاطب أن يسمع كلاماً ويفهم غير ما سمع؟ وللإجابة عن هذه الأسئلة اقترح مبداء مشتركاً بين المتكلم والمخاطب سمّاه (مبدأ التعاون).

1 ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 37.

2 ينظر: المرجع نفسه، ص 380

ب/ مبدأ التعاون وقواعد المحادثة (عند غرايس):

هو مبدأ عام يقضى بتعاون المتخاطبين فى تحقيق الهدف من حوارهم وصيغته "ليكن انتفاعك فى الكلام على الوجه الذى يقتضيه الإتجاه المرسوم للحوار الذى اشتركت فيه"¹.

ويتفرّع عن هذا المبدأ العام أربع قواعد أو مسلمات فرعية وهى:

1 - قاعدة الكم (mascin of quatity): وتعتبر حدًا دلاليًا القصد منه الحيلولة دون أن يزيد أو ينقص المتحاورون من مقدار القاعدة المطلوبة، وتتفرّع هذه القاعدة إلى:

- لتكن إفادتك للمخاطب على قدر حاجته.
- لا تجعل إفادتك تتجاوز الحد المطلوب.

2- قاعدة الكيف: والقصد منها منع ادّعاء الكذب، وتتفرّع إلى:

- لا تقل ما تعلم خطأه.
- لا تقل ما ليس لك عليه دليل.

3- قاعدة العلاقة أو الملاءمة: وخلصتها (ليناسب مقامك مقامك) أي أن تجعل المتكلم كلامه ذا علاقة بالموضوع.

4- قاعدة الجهة أو الطريقة: وهى ترتبط بما يراد قوله، وتتفرّع بدورها إلى:

- التحرّز من الالتباس.
- التحرّز من الاجمال.
- التكلّم بايجاز.
- لترتب كلامك².

1 طه عبد الرحمن، فى أصول الحوار وتجديد على الكلام، ص 103.

2 ينظر: طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 238.

ويرى "غرايس" أنّ هذه القواعد هى بمثابة الضوابط لكل عملية تخاطبية وعلى الطرفين المتخاطبين الالتزام بها أثناء الحوار، وفى حالة ما إذا أخلّ أحد الطرفين بقاعدة من هذه القواعد وجب على الآخر أن يصرف كلام محاوره عن ظاهره إلى معنى خفى يقتضيه المقام وهذا المعنى المعروف إليه تحصل بطريق الاستدلال من المعنى الظاهر ومن القرائن، وتلك بالذات ما عبّر عنه (بالاستلزام التّخاطبي)¹.

ويرى كذلك أنّ المتخاطبين قد يقبلون هذه القواعد ويسلمون بها تسليماً ضمينا عند التّخاطب، إذ يفترض فى المتكلّم ألا يقول أكثر أو أقل ممّا هو مطلوب منه (مراعاة قاعدة الكم)، وأن يكون صادقاً مخلصاً فيما يقول (مراعاة قاعدة الكيف)، وأن يقول ما هو ملائم لغرض الحديث (مراعاة قاعدة الملاءمة)، وأن يكون واضحاً فى كلامه (مراعاة قاعدة الجهة)، وهو الأمر الذى يمكن أن نلاحظه فى الكثير من الخطابات كما هو الحال فى المثال التالى:

- الأب: أين أولادك؟
- الأم: إما أنهم يلعبون أسفل المبنى، وإما أنهم ذهبوا لشراء بعض الأشياء، ولست متأكدة أين هم على جهة الدقة.

وعليه يمكن تحليل إجابة الأم فى هذا المثال على النحو التالى:

- قدّمت الأم القدر الكافى من المعلومات دون زيادة أو نقص (أى إنّها احترمت قاعدة الكم)
- إجابتها كانت صادقة (يعنى أنّها احترمت قاعدة الكيف).
- أدركت الأم هدف الزوج من السؤال فكانت إجابتها مناسبة (أى أنّها احترمت قاعدة الملاءمة).
- كانت إجابة الأم واضحة ومرتبّة (أى أنّها احترمت قاعدة الجهة).

إنّ عدم الخروج أو الخرق لأىّ من قواعد مبدأ التعاون فى هذا المثال يجعل إجابة الأمّ (العبارات التّي تلقّظت بها) مطابقة تماماً كما كانت تعيشه فى كلامها، وهو ما يجعل

1 طه عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 238.

الاستلزام الحوارى غير متحقق فى مثل هذه الحالة، لذلك يشترط لحدوث الاستلزام الحوارى أن تحدث خرق لإحدى قواعد مبدأ التعاون على النحو المبين فى الأمثلة التالية:
ج/ أمثلة على انتهاك قواعد مبدأ التعاون وحدوث الاستلزام الحوارى:

1- خرق قاعدة الكم: (فى حوار بين الأم والابن)

- الأم: هل اغتسلت ووضعت ثيابك فى الغسالة؟
- الابن: اغتسلت.

فى هذه الحال سألت الأم ابنها سؤالين لكنه أجاب عن واحد وسكت عن الثانى، فكانت إجابته أصل من القدر المطلوب، وهو فى الغسالة كما طلب منه.

2 - خرق قاعدة الكيف: (فى حوار بين الأستاذ والطالب وكلاهما إنجليزى)

- الطالب: طهران فى تركيا، أليس كذلك يا أستاذ؟
- الأستاذ: طبعاً، ولندن فى أمريكا !، فى هذا المثال واضح أنّ الأستاذ قد انتهك قاعدة الكيف عمداً حتى يتبين للطالب بأن إجابته غير صحيحة، ويؤنبه على جهله لمعلومة كهذه، والطالب فى هذه الحالة بإمكان أن يدرك غرض الأستاذ من إجابته إياه لأنه يعلم جيداً أنّ لندن ليست فى أمريكا، فحدوث الاستلزام الحوارى فى هذه الحالة يعود إلى كون الأستاذ يقصد بإجابته شيئاً آخر غير الذى تلفظ به فى كلامه.

3- خرق قاعدة الملاءمة: فى حوار الأستاذ (أ) والأستاذ (ب).

- أ- هل الطالب (ج) مستعد لمتابعة دراسته الجامعية فى قسم الفلسفة؟
- ب- إن الطالب (ج) لاعب كرة ممتاز.

إذا تأملنا إجابة الأستاذ (ب) نجدها غير ملائمة للسؤال المطروح من طرف الأستاذ (أ)، وهي فى نفس الوقت تدل على معنيين: معنى حرفى (أن الطالب (ج) من لاعبي الكرة الممتازين)، ومعنى مستلزم (أن الطالب (ج) ليس مستعدا لمتابعة دراسته فى قسم الفلسفة)¹

4- خرق قاعدة الجهة (الطريقة): (فى حوار بين صديقين (أ) و (ب))

(أ) - ماذا تريد؟

(ب) - قم ثم اتجه نحو الباب، وضع المفتاح فى القفل وثم أدركه ناحية اليسار ثلاث مرات، ثم ادفع الباب بلطف.

يتضح من إجابة الصديق (ب) بأن فيها انتهاكا لقاعدة الجهة أو الطريقة، لأنه كان بإمكانه أن يوجز إجابته على نحو مختصر ومباشر، (افتح الباب) لكنه ربما تعدد ذلك لأنه كان يقصد مؤاخاة صديقه ولومه على تباطئه وكسله، فلجأ ذلك إلى خرق قاعدة الجهة.

د/ نقد مبدأ التعاون:

لقد كان هدف - غرايس - من وضعه لقواعد مبدأ التعاون أن يجعلها بمثابة الضوابط التي تضمن فى كل عملية تخاطبية إفادة تبليغ الغاية فى وضوح تام بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب معان صريحة وحقيقية إلا أن طرفي الخطاب قد يخالفان بعض هذه القواعد مع الحفاظ على مبدأ التعاون، وإذا ما وقعت هذه المخالفة، انتقلت هذه العبارة من ظاهرها الصريح إلى ما يسمى بالدلالة المستلزمة.

على الرغم من الأثر الإيجابي الذي أحدثه هذا المبدأ فى تطوير التداويات اللغوية وتنويع الدراسة المتعلقة بموضوع التواصل الإنساني، إلا أنه كان محل جدل وانتقاد من طرف الكثير من الدارسين، ومنهم الأستاذ "طه عبد الرحمن" الذي لاحظ على "غرايس" عنايته بالجانب التبليغي فى الخطاب وإغفاله لجوانب أخرى مهمة كالجانب التهذيبي على الرغم من أنه

1 مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص 33.

– أى غرايس – كان قد أشار إلى هذا الجانب عندما ذكر أنّ هناك أنواعاً شتى لقواعد أخرى، جمالية واجتماعية وأخلاقية من قبيل (لتكن مؤدّبا) التي يتبعها عادة المتخاطبون في أحاديثهم والتي قد تولّد معاني غير متعارف عليها¹.

ويعود سبب عدم اهتمام "غرايس" بالجانب التهذيبي في الحوار حسب الأستاذ " طه عبد الرحمن" إلى الأسباب التالية:

- 1- لأنّه ضمّ إلى الجانب التهذيبي الجانبين التجميلي والاجتماعي واعتبرهما جميعاً لا يستجيب لغرض المخاطبة المتمثّل في نقل الخبر على أوضح وجه.
- 2- لم يتبيّن كيف يمكن أن يباشر وضع القواعد التّهذيبية ولا كيف يمكن أن يرتّبها مع القواعد التبليغية.
- 3- لم يفتن إلى أنّ الجانب التهذيبي قد يكون هو الأصل في خروج الكثير من العبارات من معانيها الحقيقية (الصّريحة) إلى معانيها المستلزمة².

هـ/ مبادئ أخرى إضافية لمبدأ التعاون:

1/-مبدأ التأدّب (التهذيب):

ورد هذا المبدأ التّداولي عند "روبن لاكوف" (Robin Lakoff) في مقالها الشهير (منطق التأدّب)، ويصاغ هذا المبدأ على النّحو الآتي: (لتكن مؤدّبا) ويقضي بأن يلتزم المتكلّم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام، " إذ يستحسن لطرفي الحوار مراعاة هذا المبدأ مثل مراعاتهما لقواعد مبدأ التعاون، مما يعني تكامل هذين المبدأين من أجل تحقيق أهداف الخطاب والتعبير عن المقاصد"³.

ويتفرّع عن هذا المبدأ ثلاث قواعد هي:

- 1 ينظر: طه عبد الرحمن اللسان والميزان، ص239.
- 2 ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 3 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 100

- أ- **قاعدة التعفف:** وهى ألا تفرض نفسك على المخاطب، أى لئكن متحفظا ولا تتطفل على شؤون الآخرين، مع الاحتراز فى عبارات الطلب المباشرة.
- ب- **قاعدة التشكيك (التخيير):** وهى لتجعل المخاطب يتخذ قراراته بنفسه ودع خياراته مفتوحة، وتقضى هذه القاعدة بأن (يتجنب المتكلم أساليب التقرير، ويأخذ بأساليب الاستفهام كما لو كان مشككا فى مقاصده، بحيث يترك لمخاطبه مبادرة اتخاذ القرارات)¹.
- ج- **قاعدة التودد:** والمقصود بها أن يظهر المتكلم الود للمخاطب، فيعامله معاملة النظير للنظير، ولا يفسد هذه المعاملة إلا إذا كان المتكلم أعلى مرتبة من المستمع أو فى مرتبة متساوية لمرتبته.

1 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص 241.

المبحث الثالث: الاستلزام الحوارى فى التحرير والتنوير:

أولاً: استلزام خرق مبدأ الكم:

يفيد هذا المبدأ أن عملية التخاطب يجب أن تكون مفيدة، وأن يكون دالاً على المطلوب، ولتسهيل الدراسة نقسم هذا الخرق إلى قسمين:

1/ الخرق بالإيجاز¹:

المتأمل فى النص القرآنى والمتقصى له يجد أن الإيجاز قد ورد فى مواضع عدة، سواء أكان الإيجاز عن طريق الحذف الذى تحتف به القرائن أم إدراك المعنى بقليل لفظ، وهذا ما يفسر به جنوح النص القرآنى إلى الاستغناء عن ذكر التفاصيل التى تدرك بالعقل أو اللغة. ويعدّ الإيجاز فى البحث اللغوى قانوناً أساسياً من قوانين التخاطب، ومؤدى هذا القانون هو إضمار المتكلم كلاماً دلت عليه القرائن مقالاً كانت أو مقاماً فـ" اللسان العربى يمتاز على كثير من الألسن بكونه يميل إلى إنجاز العبارة وطي المعارف المشتركة طياً، اعتماداً على قدرة المخاطب على تدارك ما أضمر من الكلام، وفى استحضار أدلته السياقية² إذا دعت الحاجة إليه.

ويمكن تتبع هذا الخرق بالإيجاز فى تعبير ابن عاشور التداولى فى قراءته لقوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾³ ، قائلاً : " أردف ذكر إنكارهم البعث بتصوير حال المنكرين أثر البعث وذلك عند حشرهم إلى الحساب، وجيء فى تصوير حالهم بطريقة حذف الجواب لو حذفاً يرادفه أن تذهب نفس السامع كل مذهب من تصوير فضاعه حالهم وهول موقفهم بين يدي ربهم، وبتوجيه الفطاب إلى غير

1 يتضمن الإيجاز فى أصله اللغوى (جوز (ثلاثة معانٍ متقاربة فى معناها هي) القلة والاختصار والتخفيف .) لسان العرب: 416/2-417، مادة (جوز)

2 طه عبد الرحمن: اللسان والميزان ص112، وينظر: مؤيد إل صوينت الخطاب القرآنى دراسة فى البعد التداولى: ص55.

3 السجدة 12

معين لإفادة تناهى هالهم فى الظهور حتى لا يفتص به مفاطبه، والمعنى : لو رأيت أيتها الزائى لرأيت أمرا عظيما" ¹.

تضمن النص أقطاب العملية التواصلية < المتكلم والمخاطب والخطاب والمقام > وأشار إلى عناية المفسر بالشق الاستعمالى للغة، وظهر ذلك جليا فى محاولته لتفسير المظاهر الطارئة على بنية التراكيب النحوية وانتباهه على " ما لجهاز التهاور من سيطرة على نواميس الحدث التخطيبي حتى أن مبدأ التفاهم قد غدا بمنزلة المعيار الضابط لطاقة الاختزال أو التصريح فى الكلام" ².

وقد يعلل الطاهر بن عاشور حذف جواب لو تعليلا تداوليا وذلك لعلم المخاطب، وقد صور موقف الحديث وكان السامع حاضر فى زمان الحدث ومكانه، فالتكلم لا يحتاج ذكر التفصيلات لأن المخاطب يراها رأى العين، ويمتلك السامع معرفة متشعبة بمراد المتكلم الذى يميل إلى قاعدة خرق الكم أو الإيجاز بحسب المفهوم التداولي، وللايجاز حلاوة فى التأمل أو الاستنباط للمخاطب وهى الرياضة الفكرية التى تجعل المخاطب يغوص بين طيات النص وسبر أغواره وفهم مراد المتكلم" ³.

وعليه أن المفسر أدرك القصد من وراء عملية الخرق الكمى الذى حدث فى الآية، فقد حقق مبدأ التوازن بين " طاقة التصريح فى الكلام وعلم السامع بمضمون الرسالة الدلالية وبموجبه تكون الطاقة الاختزالية ممكنة بقدر ما يكون للسامع مستنطقا لمضمونها الخبري" ⁴.

ويجرنا هذا الكلام إلى أن ابن عاشور يجنح إلى فكرة أن اللغة القرآنية تقوم على أساس ما يعرف بـ " الاقتصاد الأدائي " الذى يدفع بكل مستعمل للسان العربى إلى أن يركب كلامه بما يسمح له بإبلاغ أكبر كمية من المعلومات بأقل ما يمكن من المجهود الأدائي ⁵، والمبادئ

1 الطاهر بن عاشور: تفسير التحرير والتنوير: 154/21

2 عبد السلام المسدي، التفكير اللسانى فى الحضارة العربية، ص332

3 ينظر: كريم حسين ناصح الخالدي، مراعاة المخاطب فى النحو العربى، مجلة المورد، العراق ص، 6-68

4 عبد السلام المسدي، التفكير اللسانى فى الحضارة العربية، ص 33

5 ينظر: المسدي، ما وراء اللغة بحث فى الخلفيات المعرفية، دار المعرفة، تونس، 2004، ص 45-55

التداولية تتطلب إجراء قاعدة الخرق الكمى فى المواضع التى لا تستدعى ذكر كل العناصر الكلامية، ولهذا فإن مبدأ التعاون فى النهاية لم يخرق بكليته، فالخرق الكمى جاء ليحافظ على مبدأ المناسبة الذى يؤكد مناسبة الكلام لمقتضى الحال.

2/ الخرق بالإطناب:

وهنا يمنح المتكلم أخباراً زائدة عما يجب أن يعرفه المخاطب ويلج فى القول حتى يعتبر مفرطاً فى الإخبار، ولهذا الخرق الكمى مقصدية عالية من وجهة نظر المتكلم¹. وينجلي مبدأ الخرق الكمى للإطناب فى معالجة ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾²، يقول " ففي هذا إيماء إلى أن السؤال عن أمر غريب فى شأنها، ولذلك أجاب موسى عن هذا الاستفهام ببيان ماهية المسؤول عنه جرياً على الظاهر، وبيان بعض منافعها استقصاء لمراد السائل أن يكون قد سأل عن وجه اتفاده العصا بيده، لا شأن الواضحات أن لا يسأل عنها إلا والسائل يريد من سؤاله أمراً غير ظاهر... فابتدأ موسى ببيان الماهية بأسلوب يؤذن بانكشاف حقيقة المسؤول عنه، وتوقع أن المسؤول عنه توسل لتطلب بيان وراءه، فقال: " هي عصاي " بذكر المسند اليه، مع أن غالب الاستعمال حذفه فى مقام السؤال للاستغناء عن ذكره فى الجواب بوقوعه مسؤولاً عنه، فكان الإيجاز يقتضى أن يقول " عصاي " فلما قال: هي عصاي كان الأسلوب أسلوب كلام من يتعجب من الاحتياج إلى الإخبار كما يقول سائل لما رأى رجلاً يعرفه وآخر لا يعرفه: من هذا معلق؟ أجابه: هو فلان، ولذلك عقب موسى جوابه ببيان الغرض من اتفادها لعلّه أن يكون هو قصد السائل فقال: " أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى " ففصل ثم أجمل لينظر مقدار اقتناع السائل حتى إذا استزاده بياناً زاده ...

1 ينظر فرانثيسكو يوس راموس، مدخل إلى دراسة التداولية، الفرع الأكاديمي كتب ودراسات: ص 99

ومن لطائف معنى الآية ما أشار اليه بعض الأدباء من أن موسى أطنب في جوابه بزيادة على ما في السؤال، لأن المقام مقام تشريف ينبغى فيه طول الحديث¹، وقد أحاط المفسر بأطراف التحاور الذي دار بين عزو وجل وبين موسى - عليه السلام - ووصفه بالإطناب، وقال " هي عصاي " خارقا الاستعمال المعتاد الذي يقتضي منه في غير هذا المقام قوله < عصاي > لأن موسى يعلم أن الله سبحانه - لم يسأله عن عصاه لطلب العلم، لأن الله يعلم إنها عصا، بل كان الغرض من السؤال هو بيان أمر غير ظاهر يأتي خلفه.

فالإطناب حسب ابن عاشور جاء تلبية لغرض منشود من السؤال وعلى ما يقتضيه المقام، فالمتكلم وإن خرق مبدأ الكم بزيادة الجواب فإنه ملتزم بالمبدأ التعاوني العام، فليس يعني أن المتكلم وقع في الحشو والعياذ بالله، والضابط في هذا أن خرق قاعدة الكم أو عدم خرقها يتوقف بشكل كبير على المعرفة المسبقة إنها متوافرة عند المتكلم².

والمفسر ابن عاشور استأنس بأراء بعض العلماء - الذين لم يشر إليهم - إذ اشاروا إلى أن موسى - عليه السلام - استرسل في كلامه موضعا كثيرا من الوظائف لعصاه واستوفى القدر الكافي من الجواب ليزداد شرفا وفضلا طول مناجاته لربه ليطيل من سعادته باتصاله بالحضرة الإلهية، لأن المقام مقام تشريف وهذا لب ما نادى به علماء التداولية من أن " لكل مقام مقال"³ ويقارب ما قدرته التداولية : أن صانع الخطاب يخرق - أحيانا - النظام اللغوي المعتاد، لأنه لا يراه وعاء كافيا لما يريد قوله فيعمد إلى الخرق بما يفرضه المقام أو يحتمله المقال⁴.

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير: ج16، ص109 - 110.

2 ينظر: فرانثيسكو يوس راموس، مدخل الى دراسة التداولية، ص 99، عبد الرحمن مرعي، السور المكية في القرآن الكريم - مقاربة تداولية رسالة - دار الكتب العلمية، ط1، 2010. ص 53.

3 السكاكي: مفتاح العلوم 168

4 ينظر: بن عيسى عسو أزابيط، الخطاب اللساني العربي هندسة التواصل الإضماري، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، 2012، ج2، ص300.

ثانيا: استلزام خرق مبدأ الملاءمة:

وهو أحد قواعد مبدأ التعاون عند غرايس، الغاية منع المتكلم من أن ينزلق إلى مقاصد أخرى مخالفة لتلك التي استهدفها الخطاب، مع مراعاة مناسبة المقال للمقام وبما أن مبدأ مبادئ التعاون قابلة للخرق، فهذا المبدأ أيضا قابل للخرق والخروج عنه، وإن قيل: > من الصعب إيجاد أمثلة يحصل فيها الاقتضاء عن خرق حقيقي لقواعد هذه المقولة، إذ أنه من النادر إعطاء جواب لا يمكن اعتباره غير ملائم بالنسبة إلى سياق ما¹، وقد تجلّى مفهوم الملاءمة عند علمائنا في الموروث العربى الاسلامى قبل علماء التدّاولية الغربيين، وقد أطلقوا عليها مصطلحات عدة منها " الحيدة"² و " أسلوب الحكيم" .

ويظهر أمر ذلك فى مدونة المفسر حينما فسر قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْإِهْلَةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾³ قائلا : " فالجواب بقول : " قل هي مواقيت " غير مطابق للسؤال، فكيف يكون إخراجا للكلام على خلاف مقتضى الظاهر بصرف السائل إلى غير ما يتطلب، تنبيهها على أن ما صرف إليه هو المهم له، لأنهم فى مبدأ تشريع جديد، والمسؤول هو الرسول عليه الصلاة والسلام وكان المهم أن يسأله عما ينفعهم فى صلاح دنياهم واهرامهم، وهو معرفة كون الأهلة ترتبت عليها آجال المعاملات والعبادات كالعج والصيام والعدة، ولذلك صرفهم عن بيان مسؤولهم إلى بيان فائدة أخرى"⁴

1 عادل فاخورى، محاضرات فى فلسفة اللغة، ص 28

2 الحيدة: (هى عبارة عن اجتلاب جواب لسؤال وهذا الجواب المجتلب لا يكون هو المطلوب او المسؤول عنه هو سلوك يعمد اليه المجيب دفعا للسؤال) عبد العزيز الكنانى، الحيدة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 2005، ص 57

3 البقرة 189.

4 ابن عاشور ، التحرير والتنوير، ج 2، ص 191 - 192

وقد تبلور مفهوم الملاءمة الأسلوبية عند الطاهر بن عاشور قبل التداولين وإن أطلق عليها المطابقة، فقد أورد أن جواب الله عز وجل ليس مطابقاً / ملائماً للسؤال، أو على خلاف مقتضى الظاهر، فقد حصل خرق فى الجواب، وعلى هذا الأساس جاء الجواب ليبين ما كان يجب وهو فائدتها ووظيفتها، وهذا الجواب وإن دل فى ظاهره على خرق الملاءمة غير أنه فى حقيقته يدل على التعاون فى المبدأ العام والذى تمثل فى قول المفسر: "وهو معرفة كون الأهله ترتبت عليها آجال المعاملات والعبادات كالحج والصيام والعدة".

وعلى هذا الأساس فالملاءمة لمبدأ التعاون أو خرقة يحددها غرض الخطاب، لأنه من عناصر السياق التى تسبق الإنتاج.

ثالثاً: استلزام خرق مبدأ الكيف:

ينص هذا المبدأ على تحري الصدق وعدم الكذب، وقد جاءت بعض العبارات فى النص القرآنى تدل فى ظاهرها على التعارض مع النص أو مع العقل نفسه، ووردت فى آيات صفات البارى - عز وجل - وصفات الأنبياء - عليهم السلام - وقد حمل بعض العلماء¹، مثل هذه الآيات بقرائن استدلالية عقلية وعقدية على المجاز²، "لأنه يشكّل خصوصية مؤثرة فى بلاغة الخطاب القرآنى ويعد قطبا مركزيا فى عملية التأويل"³.

ويترتب على هذا الإخلال الظاهرى أكثر أنواع الصور البيانية: التهكم والاستعارة والكناية والتشبيه والتعريض والسخرية والتلويح وغيرها⁴.

1 ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الشيخ "الشريف المرتضى" (ت 436 هـ) (. ينظر: د. ستار جبر حمود الأعرجى، مناهج المتكلمين فى فهم النص القرآنى، المركز الإسلامى للدراسات الاستراتيجية، ط 2، ص 2009 و260 و259 و441.

2 ومن اللافت للنظر أن المجاز عند العلماء العرب مفهوم واسع يدرج فى ضمنه: التشبيه والاستعارة والكناية والتورية والتهكم والتعريض والتمثيل والحذف والانتساع (ينظر: محمد حسين على الصغير، مجاز القرآن: خصائصه الفنية وبلاغته العربية، دار المؤرخ العربى، ط 1، 1999).

3 ستار الأعرجى، مناهج المتكلمين فى فهم النص القرآنى، ص 182

4 ينظر: استراتيجيات الخطاب: 437، وعادل فاخورى، الاقتضاء فى التداول اللسانى، ص 53.

وبهذا يكون نتائج الخرق تجاوز المستوى المعجمى إلى المستوى المجازى > غير الصريح < لمقاصد فى نفس المتكلم لا تتم إلا بهذه الكيفية " فرمزية الخطاب الدينى ومجازيته هما اللذان يميزان الخطاب القرآنى من غيره ويوفران له عنصر الحياة ويفتحان أمامه آفاق التأويل"¹.

ويمكن تتبع معالجات ابن عاشور من خلال تفسيره الماتع فى بيان الخرق الحاصل فى مبدأ كيف حينما فسر بعض الآيات التى ظاهرها على تشبيهه الله - عز وجل - أو قربه أو بعده الذى يستلزم المكانية والزمانية والله منزه عن ذلك، وهذا ما يستجلي من خلال استخدامه للكناية²، مفسراً بها المعنى التداولي لكيفية قرب الله - عز وجل - حينما وصف الله نفسه بذلك فى قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ 16 إِذْ يَتَلَفَّى الْمُتَلَفِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ 17 مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ 18 وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ 19 وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ 20 وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ 20 لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ³ ، إذ فسره قائلا : " والقرب هنا كناية عن إحاطة العلم بالعال، لأن القرب يستلزم الاطلاع، وليس هو قربا بالمكان بقريئة المشاهدة ... ومن لطائف هذا التمثيل أن حبل الوريد مع قربه لا يشعر الإنسان بقربه لفجائه، وكذلك قرب الله من الإنسان بعلمه قرب لا يشعر به الإنسان فلذلك اختير تمثيل هذا القرب بقرب حبل الوريد، وبذلك فاق هذا التشبيه لعالة القرب كل تشبيه من نوعه ورد فى كلام البلغاء، مثل قولهم : هو منه مقعد القابلة ومقعد الإزار "⁴ .

1 مجموعة من الباحثين، دراسات فى تفسير النص القرآنى: التأويل والمفهوم القرآنى: ج2، ص 223
2 عرفها الجرجاني بقوله: هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره فى اللفظ الموضوع له فى اللغة، ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفه فى الوجود فيومئى به اليه ويجعله دليلا عليه، عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، مكتبة الخارجى، مطبعة المدنى، 2009، ص66
3 ق من الآية 16.

4 ابن عاشور، التحرير والتنوير: ج26، ص250.

وقد استنبط الطاهر بن عاشور القصد المضمّر فى النص القرآنى بفضل قدرته التفسيرية من وراء عملية خرق قاعدة الكيف، فلم يتقبل المفسر أن يدل معنى القرب على الظاهر " الدلالة الحرفية " بل صرفه بقرينة عقلية عقدية إلى معنى آخر هو قصد المتكلم سبحانه وتعالى، لأنّ القرب كما يراه المفسر يستلزم الإحاطة.

فابن عاشور يرى أنّ المتكلم وإن خرق مبدأ الكيف إلا أنه كان متعاوناً مع المتلقى، والسامع على افتراض مسبق أن الله ليس بجسم حتى يرى أو يشاهد أو يحل بمكان أو يقرب أو يبعد، ويقول فى موضع آخر فى بيان الطريقة لإيصال المعنى إلى المتلقى: " فإنّ الله لما أراد تعليم معان من عالم الغيب لم يكن يتأتى ذلك فى اللغة إلا بأمثلة معلومة من عالم الشهادة"¹ فالتعبير الكنائى يجعل الغائب مشاهداً لتقوية الشعور عند المتلقى بغية حمله على الاقتناع.

ونستنبط من كل ذلك أن الكناية تؤدي وظيفة تخاطبيه بقوة استدلالها لتمثل جسور تواصل بين المعنى الحرفى والمعنى المستلزم، ولا يقتصر اختراق مبدأ الكيف على صفات البارى - عز وجل - بل قد تشمل بعض أقوال الأنبياء التى تدل فى ظاهرها على الشك أو قول ما لا برهان على صحته، فمثل هذه الأقوال يجب ألاّ تحمل على ظاهرها، لأنّ الأنبياء لا يجوز عليهم الكذب فما ورد بخلاف ذلك من الإخبار لا يلتفت إليه، ويقطع على كذبه إن كان لا يحتمل تأويلاً صحيحاً لائقاً بأدلة العقل، بل يقتضى الرجوع بالقول إلى سياقه ومقامه التخاطبيين، ولا يكتفى بالمعنى المعجمى فى فهم الخطاب لأن ذلك يؤدي إلى قصور فى التأويل والفهم.

وهذا المنجز التداولى نبصره من خلال كلام المفسر، إذ لم يرتض وصف النبى إبراهيم - عليه السلام - بالكذب حينما لم يصرح بفعله لما حطّم الأصنام على الرغم من تقبل وصفه بالكذب اعتماداً على رواية البخارى نقلها عن أبى هريرة أنّ رسول - صلى الله عليه وسلم - قال: " لم يكذب إبراهيم > عليه السلام < إلا ثلاث كذبات كلها فى ذات الله"².

1 المصدر السابق، ج8، ص 125

2 صحيح البخارى: ج4، ص112، وينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: ج17، ص 74

وقد حمل المفسر هذا الخرق على معنى التعريض بالمشرىين فى تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾¹، إذ قال: "وقوله فعله كبيرهم هذا الفبر مستعمل فى معنى التشكىل، أى لعله فعله كبيرهم إذ لم يقصد إبراهيم نسبة التحطيم إلى الصنم الأكبر لأنه لم يدع أنه شاهد ذلك ولكنه جاء بكلام يفيد ظنه بذلك حيث لم يبق صعيما من الأصنام الا الكبير...فإبراهيم فى إنكاره ان يكون هو الفاعل أراد الزامهم المحبة على انتفاء الوهية الصنم العظيم وانتفاء الوهية الأصنام الممطرة بطريق الأولى...ويوقنهم بأنه الذى حطم الأصنام وإنها لو كانت الهة لو دافعت عن نفسها...ولذلك قال تعالى (فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) تهكما بهم وتعريضا بأن ما لا ينطق ولا يعرب عن نفسه غير أهل للألوهية...أما الإخبار بقوله " فعلهم كبيرهم هذا " فليس كذبا وإن كان مبالغا لواقع ولاعتقاد المتكلم لأن الكلام والإخبار إنما تستقر بأواخرها وما يعقبها...فإذا كان الفبر يعقب بالصدق لم يكن ذلك من الكذب بل كان تعريضا أو مزحا أو نموه"².

فالظاهر بن عاشور له قدرة على تفكيك النص واستنطاقه للاستدلال على قصد إبراهيم - عليه السلام - الذى يدل فى ظاهره على خلاف الواقع لأنه أسند فعل التحطيم إلى كبير الأصنام، ولكن ابن عاشور ارتكن فى بيان ذلك القصد إلى السياق والمقام التخاطبى الذى جرت فيه الأحداث، فإبراهيم - عليه السلام - لم ينسب التحطيم للأصنام حقيقة، لأنه لم يدع أنه شاهد ذلك ولكن حينما لم يبق من الأصنام إلا كبيرهم قال ذلك القول.

فالمكلم وإن خرق قاعدة الكيف فانه يبقى متعاوناً فى المبدأ العام لوجود معرفة قبلية عند المتخاطبين، فلجأ عليه السلام إلى هذا الخرق تهكما بهم وتعريضا لقصد تنبيههم على خطأ عبادتهم فمهد كلامه على الفرض والتقدير.

1 الأنبياء 62 - 63.

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير: ج17، ص 74 - 75.

هذه هى مجمل قواعد مبدأ التعاون التى تم رصدها ضمن معالجات المفسر فى مدونته، وما يمكن ملاحظته أن الانتهاكات الخطابية لقواعد "غرايس" كانت أداة فاعلة فى ضبط التحوار.

رابعاً: استلزام خرق مبدأ الطريقة:

يتضمن هذا المبدأ أن يكون الكلام خالياً من الغموض ومرتباً، وهذه القاعدة لا تتعلق بما قيل بل بما نريد قوله، ومراعاة الكيفية التى يقال بها، وهى بحسب هذا تختلف عن القواعد السابقة، وأى إبهام يحصل يكون به خرق للقاعدة.

وإذا جئنا إلى مدونة ابن عاشور فإن نجد هذا الخرق ضمن معالجاته مقسماً بحسب المقولات الفرعية على:

أ - الإبهام أو الغموض:

يرغب أطراف عملية التواصل تحقيق عملية الفهم والإفهام، لذا يشتركون فى خطاباتهم أن تكون بعيدة عن كل ما فيه تشويشاً لمقالتهم، مما يحول دون ونجاح العملية التواصلية، ويتم خرق هذا القانون بكل ما يكتنف العبارة من غموض وإبهام، وهذه التعمية تكون أحياناً بسبب جنوح المتكلم إلى أساليب بلاغية تجعل المتلقى محتاراً لا يدري على أى المحامل يحملها، فتتسبب ضبابية تمنع وصول المراد إلى جمهور المتلقين.

وهذا الخرق يتجلى لنا عياناً فى تأويلات ابن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾¹، يقول: "وصيغة {لا أقسم} صيغة قسم، أدفل حرف النفي على فعل {أقسم} لقصد المبالغة فى تحقيق حُرْمَةِ المقسم به بحيث يُوهَم للسامع أن المتكلم يهمل أن يقسم به ثم يترك القسم مفارقة العنث بالمقسم به فيقول: لا أقسم به، أى ولا أقسم بأعز منه عندي، وذلك كناية عن تأكيد القسم"².

1 القيامة 1.

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 29، ص 313.

يظهر من خلال هذا النص التفسيري أن الله - جل وعلا - جاء بصيغة (لا أقسم) للدلالة على المبالغة، مع أن البنية التركيبية لا تدل على نفي القسم، فذكر أداة النفي يدل على ما تؤديه من وظيفة داخل النسق الخطابى، ففي هذا الأسلوب إيهام السامع إرادة القسم ثم تركه والعدول عنه بقوله: لا أقسم، وهذا القسم يحمل في مضامينه استلزام الكناية عن تأكيد القسم، وهذا الفهم إنما تأتى للمفسر من خلال مدارسته للقرآن والوقوف على أسلبيه وتراكيبه.

فالمتكلم متعاون مع المخاطب في المبدأ التعاونى العام وإن خرق مبدءاً من مبادئه، والغرض من ذلك تحفيز المتلقي ودفعه إلى مزيد من البحث عن المعنى الكامن والمقصد المستتر، وذلك كفيل أن يضمن له مشاركة خطابية حتى يستنتج المقاصد ويخلص إليها، وهذه خصيصة من مفردات الخطاب القرآنى الذي يخرق القاعدة ليؤسس لنفسه خطاباً خاصاً منفرداً مميزاً متميزاً عن بقية الأجناس الخطابية الأخرى.

ب - التطويل والإسهاب:

المسلمة الفرعية التي تقول: ((تكلم بإيجاز)) هي المسؤولة عن الاستلزام المتولد من استعمال عبارة فيها إطناب بدلاً من إيجاز، ويكون كسر هذه القاعدة مقبولاً إذا رأى المتكلم أن التطويل د يكون مقبولاً لما له من أهمية.

وهذا ما نلتمسه من خلال معالجة ابن عاشور واقفاً تفسيرا وتأويلاً عند قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا 4 وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا 5﴾¹، قائلاً: "جُمْلَةُ (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي) مُبَيَّنَّةٌ لِجُمْلَةِ (نَادَى رَبَّهُ) مريم: [وهي وما بَعْدَهَا تَمْهِيدٌ لِلْمَقْصُودِ مِنَ الدُّعَاءِ وَهُوَ قَوْلُهُ (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا)، وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ تَمْهِيدًا لِمَا يَتَضَمَّنُهُ مِنْ اضْطِرَارِهِ لِسُؤَالِ الْوَلَدِ. وَاللَّهُ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ. فَلَيْسَ سُؤَالُهُ الْوَلَدَ سُؤَالَ تَوْسِعٍ لِمُجَرَّدِ تَمَتُّعٍ أَوْ فَرٍّ.

وَوَصَفَ مِنْ حَالِهِ مَا تَشْتَدُّ مَعَهُ الْحَاجَةُ إِلَى الْوَلَدِ حَالًا وَمَالًا. فَكَانَ وَهْنُ الْعَظْمِ وَعُمُومُ الشَّيْبِ حَالًا مُقْتَضِيًا لِلِاسْتِعَانَةِ بِالْوَلَدِ مَعَ مَا يَقْتَضِيهِ مِنْ اقْتِرَابِ إِبَانِ الْمَوْتِ عَادَةً. فَذَلِكَ مَقْصُودٌ لِنَفْسِهِ وَوَسِيلَةٌ لِغَيْرِهِ وَهُوَ الْمِيرَاثُ بَعْدَ الْمَوْتِ. وَالْفَبْرَانِ مِنْ قَوْلِهِ وَهْنُ الْعَظْمِ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا (مُسْتَعْمَلَانِ مَبَازًا فِي لَازِمِ الْإِفْهَامِ. وَهُوَ الْاسْتِزْهَامُ لِحَالِهِ. لِأَنَّ الْمُفْبَرَ يَفْتَحُ الْبَاءَ عَالِمٌ بِمَا تَضَمَّنَهُ الْفَبْرَانِ"¹.

وقد ظهر جليا من خلال كلام المفسر معرفته بمقصدية الخطاب وعلاقة ذلك بالصياغة الداخلية لعناصر الخطاب، فخرق مسلمة الإيجاز تحصل إذا كان لمتكلم قصد من وراء تطويل الكلام، فمراد زكريا - عليه السلام - من تطويله في الدعاء هو أن يستدرّ عطفه جل وعلا ورحمته لأن يرزقه بولد يرثه من بعد.

وهذا الفهم يقارب ما طرحته التداولية حينما اشارت الى ان المتكلم قد يستعمل هدفين في إيصال خطابه، هدف كلي وهدف جزئي، وعلى أثرهما يتم الاستلزام الحواري.

ج - خرق الترتيب:

الأصل في الكلام أن يأتي موافقا لقوانين وسنن اللغة ومتطلباتها، وهذا الأمر يكتمل بمدى موافقة مقتضى الحال وتداعيات المقام، وقد يحصل نقل في بعض الكلمات لجملة من المقتضيات تتعلق بأهداف تداولية في مقامات تواصلية.

يتجلى خرق الترتيب في مدونة التحرير والتنوير عند وقوف المفسر على قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ² وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ³ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ⁴﴾ يقول: "فقلوه (الجن) مفعول أول جعلوا و (شركاء) مفعوله الثاني، لأن الجن المقصود من السياق لا مطلق الشركاء، لأن جعل الشركاء لله قد تقرّر من قبل. و {الله} متعلّق بـ {شركاء}. {وقدم المفعول

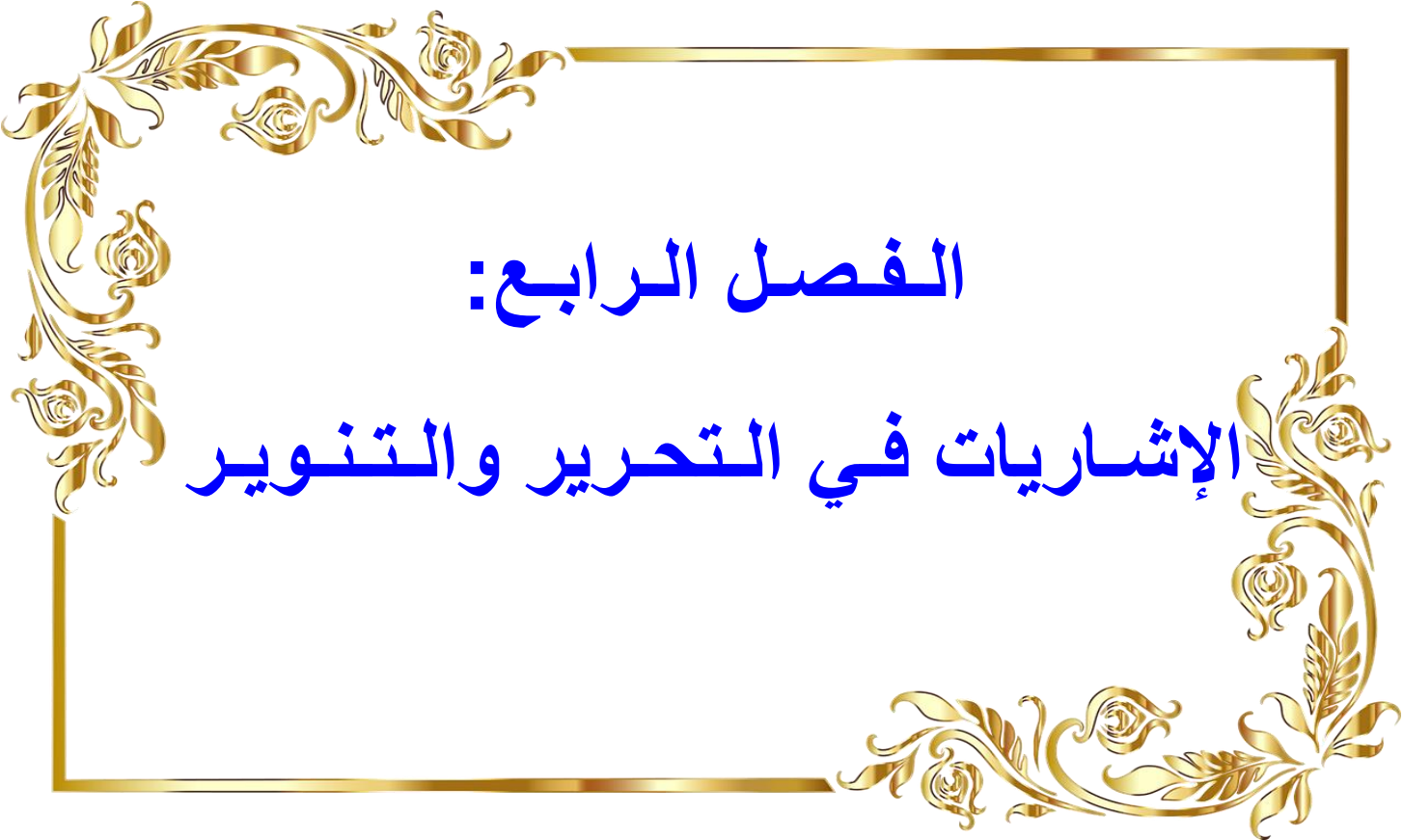
1 التحرير والتنوير، ج16، ص9

الثانى على الأول لأنه محلّ تعجبٍ وإنكارٍ فصار لذلك أهمّ وذكره أسبق. وتقدير المبرور على المفعول فى قوله: {لله شركاء} للاهتمام والتعجب من خطئ عقولهم إذ يجعلون لله شركاء من مفلوقاته لأنّ المشركين يعترفون بأنّ الله هو خالق الجنّ، فهذا التّقديم جرى على خلاف مقتضى الظاهر لأجل ما اقتضى خلافه¹.

من خلال هذا النص نقف عند براعة الطّاهر بن عاشور وإحكام قبضته فى إعطاء كل مفردة دلالتها النحوية المترتبة على ذلك الترتيب، فالتغيير فى الترتيب يصحبه تغيير فى المعنى، وهذا ما نستظهره من تأخير كلمة (الجن) التى هى مفعول أول، لأنه هو المقصود بالسياق لا مطلق الشركاء.

هذه مجمل قواعد التعاون التى تم رصدّها والوقوف عندها ضمن مقاربات ابن عاشور فى مدوّنته التفسيرية، وما لاحظناه أنّ الانتهاكات الخطابية لقواعد غرايس كانت أداة فاعلة لضبط الحوار وفى كشف بعض المقاصد التى تستند إلى معايير من داخل الخطاب وخارجه، بغية استجلاء القصد التداولي للخطاب.

1 التحرير والتنوير، ج6 ص 244 - 245



الفصل الرابع:

الإشارات في التحرير والتنوير

تمهيد.

- المبحث الأول: الإشارات في الدرس العربي القديم.
- المبحث الثاني: الإشارات في الدرس العربي الحديث.
- المبحث الثالث: الإشارات في التحرير والتنوير.

تمهيد:

يعد " شارل بيرس " (Charl Pirss) أول من استخدم مصطلح الإشارة " decticc " أو الإشارات في البحث التداولي¹، وقد اعتنى بالإشارة عناية خاصة باحثا عن الطرائق التي يتم بواسطتها الاتصال بين أفراد المجتمع، وقد انطلق من نظرة مفادها: أنّ العلاقة اللغوية لا تفسر بحسب الظاهر اللغوي فحسب، بل مرتكزا هو الإحالة المرجعية.

تعدّ الإشارات إحدى درجات التحليل التداولي، على حد تقسيم "هانسون" وهي: العلامات اللغوية التي لا يتحدّد مرجعها إلّا في سياق الخطاب التداولي الذي وردت فيه فهي خالية من أي معنى في نفسها لذلك سميت مبهمات².

والإشارات واحدة من المباحث التي يقوم عليها الدرس التداولي، فهي لا تتحدد دلالتها إلّا بالتداول، وهي تؤدي دورا مهما في تكوين بنية الخطاب، وتحقيق التماسك بين أجزائه، ولذا يتعذر صناعة نص أو إنتاج خطاب من دونها، وبالتالي لا يمكن تحقيق عملية الفهم أو التفسير إلّا بالكشف عن دلالتها، ويستعان في ذلك بالسياق الذي وردت ضمنه، فالفعل اللغوي لا يكون ناجحا إلّا إذا علم المخاطب قصد إحالة العبارة، وإذا كان للمتكلم غرض ينبغي بموجبه أن يشكل المخاطب هذه المعرفة³.

1 ينظر: فرونسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 34.

2 ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب، وتزيفبتان تودوروف، المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، تر عبد القادر قنيني، ص 80.

3 فان دايك، النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص 266.

أ - مفهوم الإشارات:

الإشارات لغة : من قولهم : أشار الرجل يشير إشارة، إذا أومئ بيده¹، قال ابن فارس(ت395هـ) : الشين والواو والراء أصلان مطردان، الأول منهما إبداء شيء وإظهاره وعرضه²، والإشارات جمع " إشارية " وهي اسم مؤنث منسوب إلى لفظة " إشارة " أو مصدر صناعي.

اصطلاحاً : الإشارات مصطلح تعارف عليه علماء اللسانيات، ويقصدون بها ألفاظ " دالة على عناصر غائبة حاضرة "³، وقد عرّفها بعضهم بأنّها : " العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذات المتكلمة أو الزمن أو المكان، حيث ينجز الملفوظ، والذي يرتبط به معناه "⁴، فيما استعمل آخرون مصطلح " المعينات " للدلالة على المفهوم نفسه، والذي يميز هذه الإشارات أو المعينات أنّ مراجعها تختلف بحسب ظروف استعمالها، ووفق ملفوظها داخل السياق⁵، ومن أمثلتها أسماء الإشارة، الضمائر، ظروف الزمان، ظروف المكان، الصيغ الانفعالية كالنداء والتعجب .

1 الأزهرى، تهذيب اللغة: ص11، ص 271.

2 أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، ط2، ج 3، 1979، ص 323.

3 د. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، 5 دار الكتاب العالي، 2005، ص 87

4 الأزهر الزناد، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصاً، المركز الثقافي العربي، 2010، ص 120

5 فرانسوا أرمينكو، المقاربة التداولية، ص 41

المبحث الأول: الإشارات في الدرس العربي القديم.

لقد كان لدراسة المعنى حضور واضح في أعمال اللغويين والبلاغيين العرب وكذا لدى علماء الأصول والكلام، وقد ظهر ذلك جليا من خلال تصانيفهم بدءا من " غريب القرآن ومجازه " و " الوجوه والنظائر " و " العام والخاص " و " المطلق والمقيّد "، ولعل أبرز هذه الجهود الجاحظ (ت255هـ) الدلالية، حيث كان رائدا في تصنيف العلامات وجعلها تشتمل على كافة أساليب التعبير والبيان اللغوية وغير اللغوية، فقال : " وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تزيد ولا تنقص أولها : اللفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة وأما النصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض، وفي كل صامت وناطق"¹.

لقد عالج العلماء العرب المكونات الإشارية وأطلقوا عليها " المبهمات " التي أرادوا بها أسماء الإشارة والموصولة والضمائر، أيضا لأنها لا تخص شيئا دون آخر، ولا يتحدّد مقابلها الدلالي إلا بوجود ما يحيل عليه.

أ - الإشارات عند النحاة:

المتأمل في تصانيف النحاة يدرك العناية التي أولوها لأصناف من الإشارات في معالجتهم لأبواب وفصائل نحوية مختلفة مثل: فصيلة الظروف والمورفيمات الجارة وغيرها من الموضوعات النحوية.

نجد أن سيبويه(ت180هـ) يصف هذه الإشارات بقوله: " وأما الأسماء المبهمة فنحو: هذه وهذه وهذان وهاتان وهؤلاء، وذلك وتلك، وذانك وتانك أولئك وما أشبه ذلك، وإنما صارت معرفة، لأنها أسماء إشارة الى الشيء دون سائر أمته"².

1 الجاحظ، البيان والتبيين، ج1 ص 82، 86

2 سيبويه، الكتاب ج2، ص 5.

ويطلق على الضمير أيضا مصطلح " الأسماء المبهمة " في موضع آخر ويربطها بأسماء الإشارة قائلا: " والأسماء المبهمة: هذا، وهذان، وهذه، وهاتان، وهؤلاء ... وهو، وهي، وهما، وهم، وهن وما أشبه هذه الأسماء"¹.

كما نجد أن المبرد (ت285 هـ) يقول: " ومن الأسماء المبهمة وهي التي تقع للإشارة ولا تخص شيئا دون شيء، وهي هذا، هذان، أولئك، وأولاء، ونحوه"²، وقد تبعهما في ذلك ابن يعيش (ت643هـ) بقوله: " يقال لهذه الأسماء مبهمات، لأنها تشير بها إلى كل ما بحضرتك، وقد يكون بحضرتك أشياء فتلبس على المخاطب فلم يدر إلى أيها تشير فكانت مبهمة لذلك، ولذلك لزمها البيان بالصفة عند الإبهام "³.

ب-الإشارات عند الفلاسفة العرب .

وقد عبر الفلاسفة العرب عن هذه الإشارات بمصطلح الخوالف التي يقول في وصفها الفارابي(ت339هـ): " فالخوالف نعني بها كل حرف معجم أو كل لفظ قام مقام الاسم متى لم يصرح بالاسم وذلك مثل حرف الهاء من قولنا: ضربه والياء من قولنا: ثوبي والتاء: من قولنا ضربت وأشبه ذلك من الحروف المعجمة التي تخلف الاسم وتخلف مقامه، ومثل قولنا: أنا وأنت وهذا وذلك وما أشبه ذلك وهي كلها تسمى الخوالف"⁴.

ويقول الخوارزمي(ت232هـ) بشأن هذه الخوالف: الخوالف هي التي يسميها النحويون: الأسماء المبهمة والمضمرة وإبدال الأسماء مثل: أنا وأنت وهو⁵.

1 المصدر السابق، ج2 ص 78.

2 محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، ج3، ص 186.

3 موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل، تح إبراهيم محمد عبد الله، دائرة الكتب العلمية، ط2، 1981 ج3 ص 126.

4 أبو نصر الفارابي، الألفاظ المستعملة في المنطق، تح محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، 2008، ص 10.

5 محمد بن أحمد الخوارزمي، مفاتيح العلوم، الطباعة المنيرية، مصر، ص 169

يفهم من هذين التعريفين أن الخوالب تعني جميع الوحدات اللغوية التي تحل محل ذات أخرى سواء أكانت ذات إنسانية أو غير إنسانية، وهذه الأصناف من الفصائل التركيبية وصفها العلماء بمفاهيم وطروحات يدل كلها على إبهاميتها وعدم تحديد نطاقها الدلالي وهذا ما دفع التداوليون أن يصنفوها ضمن المكونات الإشارية¹.

ج-الإشارات الاجتماعية عند علماء التفسير.

وتشمل الملفوظات التي تشير إلى العلاقات الاجتماعية بين المتخاطبين، من حيث هي علاقة رسمية وتشمل صيغ التبجيل لأصحاب المنزلة والمقام العالي، وغير الرسمية وتشمل التحيات وما يتصل بالجانب الحميمي.

ما يلاحظ أن العنصر الإشاري المتصل بعلاقات الاجتماعية يتوزع على تراكيب وألفاظ مختلفة وذلك حسب مكانة المتخاطبين وما هو رسمي وغير رسمي أثناء عملية التواصل، والخطاب القرآني يشتمل على كليهما، وإن كان يغلب فيه الوارد على صيغة المفرد المعظم لنفسه الدال على عظمة الخالق، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾²، وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾³ وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾⁴ وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾⁵، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾⁶.

1 ينظر: دلخوش جار الله، التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين، مقاربة تداولية، جامعة صلاح الدين، العراق، بحث ، ص43.

2 الحجر 09.

3 مريم 40.

4 يس 12.

5 ق 43.

6 الانسان 23.

فالدلالة اللغوية لصيغة "إن، نحن، ونون" من صيغ الجمع يتكلم بها الواحد الذي له شركاء في الفعل ويتكلم بها الواحد العظيم الذي له صفات تقوم كل صفة مقام واحد وله أعوان تابعون له لا شركاء له¹.

فالواحد الذي له شركاء في الفعل هو لا ينجز الأفعال إلا بالاستعانة ممن هو تحت سلطته، " فإذا قال أمر لك بعطاء فقد علم أنه هو وأعوانه مثل كاتبه وحاجبه وخادمه، أمروا به وقد يعلم ما صدر عنه ذلك الفعل من اعتقاداته وإرادته ونحو ذلك"².

أما الواحد العظيم فلا يعلم حقائق ما أراد بخلقه وأمره من الحكمة، ولا حقائق ما صدت عنه من المشيئة والقدرة، وعلى هذا فهي تحيل على التعظيم بما يليق بذاته تعالى³.

والغرض التداولي للصيغة الإشارية في الآيات التي تضمنت تبجيلا لأنبياء الله تعالى، هو ثناء الله عليه وتحيته له، وذلك باستخدام كلمة سلام بالتكثير، وتكثيرها هو للتعظيم والرفعة، وهو كناية على دوام السلام⁴.

فالعناصر الإشارية الاجتماعية داخل الخطاب القرآني كشفت نوع العلاقة القائمة بين المتخاطبين أثناء عملية التواصل، وهو ما عني به علماء التفسير في مصنفاتهم مما يدل سبقهم في مجال الإشارية التي تعد من أهم مباحث الدرس التداولي، فكانوا في هذا سباقين في المجال تطبيقا لا تنظيرا.

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 22، ص 133-160-165

2 ابن تيمية، الرسالة التدمرية، تحقيق محمد بن عودة السعودي، مكتبة العبيكان، ط 6، 2000، ص 12

3 المرجع نفسه، ص 15.

4 ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 12، ص 120.

المبحث الثاني: الإشارات في الدرس الغربي الحديث.

تعرف الإشارات بأنها: "العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي الذي وردت فيه، فهي خالية من أي معنى في نفسها، لذلك سميت مبهمات"¹، وتعد الدرجة الأولى من درجات التحليل التداولي، على حد تقسيم (هانسون).

يعد "تشارلس بيرس" أول من وضع مصطلح الإشارة في البحث التداولي، وقد اهتم بها اهتماما بالغاً من خلال البحث عن الآليات التي يتم بها التواصل، وكانت له رؤية دقيقة تتمثل في الكشف عن العلامة اللسانية بحكم الاستعمال في نسق معين من طرف أفراد جماعة معينة²، كما ارتكز على الإحالة المرجعية لتفسير العلامة دون الاختصار على الجانب الظاهر من اللغة.

ف(الإشارات) تبقى ضمنية في الكفاية اللغوية، ف"لا يتحدد مرجع هذه القرائن والمعينات الإشارية دلاليا وإحالياً إلا بوجود المتكلمين في وضعية التلفظ والتواصل المتبادل"³، حيث لا يمكن للاستعمال التواصل أن يتخلى عن هذه التعبيرات، ومن ثم لا يمكن أن يتحقق معنى الشيء، وتتعين هويته، إلا بمعرفة ظروف التواصل وشروطه المميزة⁴.

وهذا يؤدي بنا إلى القول: إن هذه الإشارات قد تكون صريحة نظهرها في الملفوظ أو ضمنية، فالإشارات بمقتضى ذلك "هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه"⁵. وتتوقف مسألة تحديد القرب أو البعد المادي بالنسبة لأطراف الخطاب على المتكلم.

1 ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: ص 80

2 ينظر: فرانسواز أرمينكو، المقاربة التداولية: 41

3 جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب (بحث)، ط 1، الألوكة، ص 17

4 ينظر: المرجع نفسه: 17

5 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 81.

تعد الإشارات بمقتضى الإحالة المقامية ذا طبيعة تداولية تتم بين المتكلم والمخاطب في موقف تواصلية معين، يحيل فيه المتكلم المخاطب على أمور معينة في زمان ومكان معينين¹.

ولقد أولت الدراسات النصية والتداولية اهتماما كبيرا في النظر لأثر الإحالة في فهم الخطاب، فهي تربط بين السياق اللغوي وسياق الموقف أي الواقع الاجتماعي التي قيلت فيه العبارة اللغوية²، وتقسّم الإحالة على قسمين:

أولاً: الإحالة اللغوية: وهي العلاقات الإحالية في داخل النص، إذ ترتبط العناصر الإحالية بالعناصر الإشارية النصية، في إحالة على العناصر اللغوية الواردة في الملفوظ سابقة كانت أو لاحقة، وهي على قسمين:

أ. **الإحالة القبلية:** وهي استعمال كلمة، أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة أخرى سابقة في النص، أي تعود على أمر سبق التلفظ به نحو قولك: " حفظت القصيدة كلها " 
ب. **الإحالة البعدية:** وهي عكس الإحالة السابقة، إذ تعود على عنصر إشاري لاحق، نحو قوله تعالى: " قل هو الله أحد " ، فضمير الشأن هو قبل مرجعه، وهو عائد على اسم الجلالة الذي جاء بعده.

ثانياً: الإحالة المقامية: وتسمى الإحالة الخارجية، أي إحالة عنصر لغوي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي، كقولك: " أنا شعر "، فأنا يعود على ما هو خارج النص، وهو المتكلم.

وترتبط هذه الإحالة بمقام التداولي المحيط بالنص، فلا يمكن إدراك كنه العناصر الإحالية إلا الوقوف على معرفة سياق الحال أو الأحداث والمواقف التي تحيط بالنص³.

1 ينظر: د. أحمد المتوكل، قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان، 2016، ص 138.

2 عويصات عائشة، تواصلية الأسلوب في روميات أبي فراس الحمداني، (رسالة)، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، 2009، ص 36.

3 د. مراد سليمان محمد إمام، علم اللغة النصي، ج1، ديوان أبي إسحاق الألبيري، ص 41.

ولقد اتفق التداوليون على إيجاد مجموعة أنماط محددة للوحدات التأشيرية التي لا تتجاوز محور الذات والزمان والمكان والقيم الوصفية والأعلام الشخصية المعروفة، إلى جانب بعض الإشارات الخطابية والاجتماعية التي ترد في بعض الاستعمالات اللغوية وقد عبر بعضهم بـ "الأنا والها والآن"، ولقد أقرّوا بأن عملية الخطاب لا تتم إلا بحضور هذه الوحدات الإشارية الثلاث التي تمثل المثلث الخطابي الإشاري وهي الأنا والها والآن الي يمثل كل منها صنفا من الإشارات¹.

1. الإشارات الشخصية:

تتضمن هذه الإشارات الضمائر الدالة على الشخص المتكلم أو المخاطب أو الغائب، وهذه الأبعاد لا تتحدد إلا بالسياق اللغوي والموقف الاجتماعي الذي يستند إليه المخاطب في إنجاز خطابه وهذه الضمائر واستعمالاتها محددة بهذه الأبعاد الثلاثية الموزعة على هيئة الأفراد والتثنية والجمع، أو التذكير والتأنيث التواصل، فإن تأويلها الدلالي الحقيقي والواقعي لا يكون إلا باستحضارها في الخطاب الذي يحدد إحالتها على مرجعيتها².

فالضمائر من الأسماء المبهمّة أيضاً ولأن الذي وضع لتعيين المسمى إنما هو العلم، وأما باقي المعارف فإنما وضعت كليّات، ثمّ بالاستعمال يتعين المسمى لا بالوضع³.

إذ أن (أنا) يطلق على كل متكلم، وإنما يختص بقرينة الحضور، ولا يفهم الضمير (أنت) إلا بقرينة حضور المتلقي ومواجهته المتكلم حقيقة أو تقديرًا فيما يستقبل من الزمن، فالقرينة في تحديد الضمائر هي التكلم أو نوع من الانسجام والتماسك بين تلك العناصر، وتسهم التخاطب أو الغيبة، أما الأسماء الظاهرة المستعملة في الكلام فهي موضوع الغيبة مطلقاً، فضلاً عن تعقيد استعمال هذه الإشارات نتيجة تحولها وانتقالها في السياق بين أبعاد

1 ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية لغوية. ص 81.

2 ينظر: المرجع نفسه، ص 82

3 أبو حيان الأندلسي، التذليل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ط 1، 1998، ص 129.

ذاتية متعددة يحكم فيها معيار الاستعمال والإحالة إلى مرجعيتها السابقة أو اللاحقة خارج نطاق التبادل اللساني، إذ تظهر سهولة هذه الأشكال تعقيد استعمالها ... لأن كل شخص يواصل الانتقال "أنا" إلى "أنت" باستمرار في أثناء المحادثة، وتبقى المقصدية ذات أثر فعال في توجيه الفهم والإدراك لهذه الإشارات الشخصية كغيرها من المكونات .

2. الإشارات المكانية :

وبعد التأشير المكاني عنصراً مهماً في الخطاب لضرورة تحديد البعد المكاني لسيرورة الخطاب، يستنبط فهم هذا البعد من الطبيعة النمطية للخطاب حسب ارتباطاته الخارجية، وبهذا يكون التأشير المكاني محمولاً في كل خطاب وإن لم يتضمنه بشكل مباشر ومحدد، لأن كل خطاب يقدره التداوليون ضمن ثلاثية الأبعاد التأشيرية الشخصية والمكانية والزمانية، وبناء على ذلك تكون هذه الإشارات ذات وظيفة تداولية لاهتمامها المباشر بالعلاقة المتبادلة بين تركيب الخطاب والسياق الذي يستعمل فيه¹.

3. الإشارات الزمانية:

يعد المحدد الزمني إطاراً جوهرياً للخطاب المعرفة البعد الكمي الرياضي الذي يزيل الالتباس على المخاطب بإدراكه لزمن الخطاب والإحاطة بالوقت الذي ينطق من خلاله المخاطب خطابه، ولأن المخاطبين يستعملون أنظمة موسعة من الإشارات الزمانية في حدود خطاباتهم اليومية مثل: (البارحة غداً، اليوم، الليلة، الأسبوع القادم.... إلخ)² التي لا تدرك تأويلاتها الزمانية المحددة إلا بمعرفة وقت الكلام ذي العلاقة لعدم استغراق هذه الأبعاد الزمانية كمّاً وقيتياً عدداً ونهائياً، بل هي في تغير دائم ومستمر مع تغير كميات التوقيت الواقعي المقاس بأطوال وأبعاد زمنية معينة، وبهذا تكون الإشارات الزمانية من العلامات اللغوية التي لا يتعين مرجعها إلا ضمن سياق الخطاب التداولي لكونها لا تملك معنى في

1 ينظر: pragmatics، ص 55

2 ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، ج 23، ص 561

ذاتها مع ارتباطها بمرجع ما، ولكون مرجعها غير ثابت بل متحول بتحول الزمن الواقعي في عالم غير لغوي، حقيقياً كان أو خيالياً، وهذه الوظيفة المرجعية تجعل الدليل في علاقة دائمة ومستمرة ومتغيرة لا مع الأشياء الواقعية فحسب بل مع العالم كما يُدرك داخل المكونات الإيديولوجية لثقافة ما أو مجتمع لغوي معين، فالمرجعية عموماً تمثل توجه الخطاب وهويته وبدونها لا يمكن للمخاطب فهم المرسلة الخطابية أو تفكيك شفراتها فكل عنصر من العناصر الإشارية ومنها العنصر الزماني لا يمكن استيعابه وإدراكه خارج سياقه¹الخطابي، وبناء على ذلك توصف الإشارات الزمنية بأنها المحددات الزمنية التي تربط الزمن بالفعل في مرحلة أولى والزمن بالفاعل في مرحلة ثانية بغية تحديد مرجعيتها، فيجب على المرسل معرفة لحظة التلفظ التي تصبح مرجعاً زمنياً يعود إليه.

وتؤدي الظروف الزمانية التي هي مؤشرات لغوية التحديد الدلالة الزمنية وظيفة دلالية مهمة داخل السياق التواصلية حيث لا يمكن إغفال دورها في توجيه الدلالة الزمانية مع الهيئة الشكلية للأفعال اللغوية المستعملة في الكلام التي تحمل في ذاتها دلالات زمانية مختلفة ذات أبعاد ماضية أو حاضرة أو استقبالية وهي قرائن مقالية تسهم معها قرائن حالية أيضاً في تعيين المؤشرات الزمانية للخطاب.

4. الإشارات الخطابية:

يتضمن هذا النوع من التأشير تلك العناصر الخطابية الدالة على مدلولات مقالية ومقامية تمت بصلة وثيقة بذات المخاطب الذي يريد أن يجري تحويلاً في خطابه بإنهاء كلامه السابق بتعليق اختزالي دال على توجيه الاهتمام إلى أمر محدث يتمثل في عبارة ومهما يكن من أمر أو للاستدراك على كلام سابق أو الإضراب عنه، فيعبر بالعنصر الإشاري الخطابي (لكن) أو (بل)، وإذا أراد الاستزادة إلى ما سلف من كلامه فيقول: (فضلاً عن ذلك أو يلجأ

¹ينظر: تمام حسان، التداولية اللغة العربية معناها ومبناها، دار الهدى للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، ص241-242.

إلى هيئة المبني للمجهول في استعمالاته الخطابية للاستدلال على تضعيف رأي أو عدم الرغبة في ذكر الفاعل التواصل، أو يستعين ببنية (من ثم) لإرادة الترتيب والتأشير إلى الإتيان بمعرفة خطابية جديدة¹.

ولم يغب التنويه إلى هذه العناصر الإشارية الخطابية في الإرث اللغوي العربي، إذ وقف العلماء عند هذه البنيات التعبيرية الدالة على تلك الدلالات والوظائف التركيبية ضمن فصول نحوية متباينة فعالجوا البنية التشكيلية الإشارية (مهما يكن من أمر ضمن أسلوب الشرط، وبل ولكن ضمن فصيلة العطف ومن ثم ضمن أسماء الإشارة الدالة على الحمولة المكانية فضلاً عن تعمقهم في فصيلة البناء للمجهول بتحويل البنية الشكلية لفعلي الماضي والمضارع إلى هيئات خاصة بهما حسب سنن نحوية محددة تحقق حمولات دلالية ومقاصد ذهنية وأغراض خطابية مرتبطة بأوضاع المتخاطبين والمواقف الاجتماعية المحيطة بهم، ولا يخرج كل هذه الوسائل الإشارية عن تأدية وظائف دلالية وتدعيم الممارسة الخطابية باستثمار أغراض دلالية بلاغية ومقاصد خطابية يتحكم فيها السياق الخطابي والسياق الخارجي، لكونها "ضرب من العلامات التي يصلح للربط بين علامة لسانية بمدلول ثابت والواقع أو كما أطلق عليها ابن سينا العلامة التي تحدد النسبة بين معنى الموضوع ومعنى المحمول، وهي تعني في الأدبيات السيميائية التضافر بين الملفوظات وما تشير إليه²، وهذا ما نراه بوضوح في قول سيبويه بشأن (بل، ولكن، ولابل): "ومنه أيضاً: مررت برجل صالح بل طالح، وما مررت برجل كريم بل لعيم، أبدلت الصفة الآخرة من الصفة الأولى وأشركت بينهما بل في الإجراء على المنعوت وكذلك: مررت برجل صالح بل طالح، ولكنه يجيء على النسيان أو الغلط، فيندارك كلامه؛ لأنه ابتداءً بواجب³"، ويستشهد لذلك بقوله عز وجل:

1 ينظر: محمود أحمد نحلة، افاق جديدة في البحث اللغوي، ص 24

2 فرونسواز أرمينيكو، المقاربة التداولية للخطاب الشعري المعاصر، ص 03

3 ينظر: سيبويه، الكتاب، ص 434

﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ¹﴾، ويقيس عنصر التأشير الخطابى (لكن) على (بل)، قائلاً: " ومثله ما مررت برجل صالح لكن طالح، أبدلت الآخر من الأول فجرى مجراه في بل. فإن قلت: مررت برجل صالح ولكن طالح، فهو محال، لأنّ لكن لا يتدارك بها بعد إيجاب، ولكنها يُثبتُ بها بعد النفي. وإن شئت رفعت فابتدأت على هو فقلت: ما مررت برجل صالح ولكن طالح، وما مررت برجل صالح بل طالح، ومررت برجل صالح بل لأنها من الحروف التي يُبتدأ بها "، ثم يربط بين هذه طالح العناصر الخطابية بقوله: "واعلم أنّ بَلْ، ولا بَلْ، ولكن يُشركُن بين النعتين فيُجزيان على المنعوت، كما أشركت بينهما الواو والفاء"، ويبين ابن السراج (ت316هـ) هذا الغرض الدلالي من استعمال المؤشرين الخطابيين (بل) و (لكن) بقوله: " بل ومعناها الإضراب عن الأول، والإثبات للثاني نحو قولك: ضربت زيداً بل عمرًا، وجاءني عبد الله بن أخوه، وما جاءني رجل بل امرأة... لكن . وهي للاستدراك بعد النفي، ولا يجوز أن تدخل بعد واجب إلا لترك قصة إلى قصة "تامة"، فأما مجيئها للاستدراك بعد النفي فنحو قولك: ما جاءني زيد لكن عمرو، وما رأيت رجلاً لكن امرأة. " ²

5.الإشارات الاجتماعية:

يتمثل هذا النوع من الإشارات في تلك المفردات والبنى التركيبية المستعملة في مجتمع لغوي ما؛ للاستدلال على العلاقات الاجتماعية القائمة بين أفراد من حيث هي علاقة رسمية أو غير رسمية كعلاقة الألفة والمودة أو عكسها، فالعلاقات الرسمية تتضمن صيغ التبجيل والتعظيم في مخاطبة من هم أكبر سناً أو أرفع مقاماً، أو بعض الألقاب الرسمية الدالة على مراعاة المسافة الاجتماعية بين المخاطب والمخاطب مثل: (فخامة الرئيس، أو سمو الأمير، أو السيد والسيدة أو إجراء تغييرات بنوية على الأسماء مثل التصغير و الترخيم)،

1 الأنبياء 102.

2 ينظر: المصدر السابق، ص 477-478.

والعلاقات غير الرسمية تشمل النداء المباشر بذكر الاسم أو المفردات التمهيدية لذكر الاسم نحو(أيها)¹.

ويفهم من ذلك أن التعابير الإشارية الاجتماعية محكومة بنوعية العلاقة الاجتماعية بين المتخاطبين، وهي مسألة نسبية²، تتأثر بمقومات ذاتية وموضوعية، ولاسيما ما يتعلق بالمقام الاجتماعي، وطبيعة تلك العلاقة والمسافة المكانية والنفسية بين الطرفين، وغير ذلك من المؤثرات التي توجه تلك العلاقة وتنعكس آثارها في صياغة الخطاب عموماً، وعناصره الإشارية خصوصاً، بمعنى آخر: " أن العلاقة بين المرسل والمرسل إليه قد تتحدد تبعاً للاسم أو اللقب أو الضمير المستخدم لحظة التكلم³، ويذهب "جورج يول" (Jourj Youl) إلى أن استعمال هذه الإشارات الاجتماعية محكوم بالاختلاف الطبقي بين المتخاطبين ومنزلتهم الاجتماعية، وهذا ما يحتم اختيار صيغة إشارية اجتماعية منسجمة مع تلك الأوضاع المقامية ضمن صيغ التأشير الاجتماعي Social Deixis"⁴، وهذا يدل على أن استعمال إشارات معينة لفئات معينة في عملية التواصل يرسم حدود المسافة الاجتماعية بين طرفي الخطاب، وهذا يوحي بأن "الإشارات الاجتماعية من المجالات المشتركة بين التداولية وعلم اللغة الاجتماعي"⁵.

ويلحظ أن القدماء قد أشاروا إلى هذه المحددات الإشارية الاجتماعية ضمن أبواب وفصائل نحوية وصرفية وبلاغية متفرقة مثل فصيلة النداء والتصغير، ولاسيما ذكرهم لأغراض التصغير الدلالية، فضلاً عن معالجتهم لمفاهيم هذه الإشارات الاجتماعية في أثناء

1 ينظر: د. محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 25-26

2 ينظر: د. محمد الزليطي، ليلي آل حماد، لمقاربة التداولية قضية لغوية، جامعة الملك سعود، السعودية 1428م، ص 42

3 شيتير رحيمة، تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب نموذجاً، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009، ص 85.

4 ينظر: نسيمه نابي، مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانيات، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري الجزائر، 2011، ص 83

5 ينظر: د. محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 28

تتاولهم لبعض موضوعات ندائية مثل كيفية استعمال بنية (أيها) للنداء، والنداء ب(وا) الندبة والنداء الدال على الاستغاثة والتعجب، والإبدال الجاري بين الضمائر في الاستعمال اللساني المعروف بفن الالتفات عند البلاغيين المتمثل باستعمال صيغة المفرد للجمع أو الجمع للمفرد أو الغائب للخطاب أو الخطاب للغائب، وغير ذلك من الحالات السياقية التي توحى دلالاتها ومقاصدها بتلك المفاهيم الإشارية الاجتماعية، والتي أبانها العلماء بذكر أغراضها البلاغية المحددة بأبعاد نفسية واجتماعية، فهذه الفصائل اللغوية وضحت عندهم بمدرجات اجتماعية تحمل قيماً ومعايير استعمالية خاصة تتناسب مع مواقف اجتماعية معينة لاتدرك إلا بالوعي بالعرف اللغوي والاجتماعي المقتضي استعمال هذه التعبيرات حسب المقامات والظروف الخاصة بها.

ففي سياق استعمال (أيها) للنداء يقول سيبويه: "قولك، يا أيها الرجل ويا أيها الرجلان ويا أيتهما المرأتان. فأَي ههنا فيما زعم الخليل (ت170هـ)، كقولك: يا هذا، والرجل وصف له كما يكون وصفا لهذا. وإنما صار وصفه لا يكون فيه إلا الرفع؛ لأنك لا تستطيع أن تقول: يا أي ولا: يا أيها وتسكت؛ لأنه مبهم يلزمه التفسير، فصار هو والرجل بمنزلة اسم واحد، كأنك قلت: يا رجل"¹، ويشير في موضع آخر إلى أن (ها) يفيد توكيد التنبيه الدال عليه مورفيم (يا) النداء "ولا يكون هذا في غير النداء؛ لأنهم جعلوا (ها) تنبيهها فيها بمنزلة (يا). وأكدوا التنبيه ب (ها) حين جعلوا (يا) مع (ها)، فمن ثم لم يجز لهم أن يسكتوا على أي، ولزمه التفسير.

ويرد نداء الترقيم في العربية؛ للاستدلال على الإسراع في خطاب النداء ولتحقيق المطلوب ممن نُودِي؛ للاستعجال بإيصال مراد المخاطب إلى من يخاطبه ويناديه، وهذا ما استدعى تخفيفه واختزاله ليتناسب هذا الاقتصاد اللغوي في البنية السطحية مع الاقتصاد الدلالي الهادف إلى تمثيل التوجه الذهني بأقصى سرعة ممكنة في أقصر فترة زمنية "إنما

1 ينظر: سيبويه، الكتاب، ص 420.

كثر الترخيم في المنادى دون غيره؛ لكثرتة، ولكون المقصود في النداء هو المنادى له، فقصده بسرعة الفراغ من النداء الإفضاء بحذف آخره اعتباطاً¹.

ويلوح العلماء بهذه الدلالات الاجتماعية في فصيلة التصغير بيان إفادة التصغير دلالة التحقير أو التحبيب أو التقريب أو التعظيم أحياناً وله ثلاثة معانٍ (أحدها) تصغير ما يجوز أن يتوهم أنه عظيم كقولك: (رُجيل) و(جميل). (الثاني): تقليل مايجوز أن يتوهم أنه كثير كقولنا دريهمات، ودنيرات. (الثالث): تقريب مايجوز أن يتوهم أنه بعيد كقولهم: بعيد العصر وقبيل الفجر والسقف فويقنا لا يخلو معناه من هذه الأقسام الثلاثة وأضاف الكوفيون قسماً رابعاً يسمونه تصغير التعظيم كقول الشاعر²:

وكلُّ أناسٍ سوفَ تدخُلُ بينهمُ دويهيَّةٌ تصفَرُ منها الأنامل

فقال دويهة والمراد تعظيم الداهية إذ لا داهية أعظم من الموت.

1 ينظر: محمد بن الحسن الأستراباذي السمنائي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، ص 85
2 ينظر: د. عمر فاروق، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار الأرقم بن ابي الأرقم، بيروت لبنان ط1، 1997، ص36

المبحث الثالث: الإشارات في التحرير والتنوير.

أ- الإشارات الشخصية:

وهي وحدات لغوية تتجلى صورتها في ضمائر الشخص¹ الدالة على المتكلم وحده مثل: (أنا) أو المتكلم ومعه غيره مثل: (نحن)، وكذا الضمائر الدالة على المخاطب مفردا ومثنى أو جمعا، وتكمن أهمية هذه الضمائر من منظور تداولي، في كونها تعبّر عن الذات " فالذات المتلفظة تدل على المرسل في السياق، فقد تصدر خطابات متعددة من شخص واحد، فذاته المتلفظة تتغير بتغير السياق الذي تلفظ فيه وهذه الذات هي محور التلفظ في الخطاب تداوليا"²،

فالإشارات الشخصية هي عناصر لسانية لها أثر في إنجاز العملية التواصلية بين المتكلم والمخاطب في داخل الخطاب، وتدخل أسماء الإشارة - أحيانا - في ضمن الإشارات الشخصية، لأن القسم الأكبر منها يدل على الأشخاص، ف" بفضل هذه الأسماء يتسنى لك أن تعين الشيء أو الشخص بإشارة موجهة تتم باللفظ "هذا " أو " ذاك " مصحوبا بإيماء ما "³.

ولقد قسمت الإشارات الشخصية إلى: (إشارات الحضور) و (إشارات الغياب) انطلاقا من دراسة " بنفست" (Benfest) للعلاقة بين الملفوظ والشخص والمتكلم، حيث أظهر أنّ بنية الإشارات الشخصية مستقاة من التقابل بين الحاضر والغائب⁴.

1 لا يقتصر مصطلح (ضمير الشخص) عند علماء التداولية على الضمير المتعارف عليه في مدونات النحو العربي، بل يصنف من ضمنه ضمائر المتكلم والمخاطب وأسماء الإشارة.

2 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 82

3 ينظر: نرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة العربية، مركز النشر الجامعي، 64 - 67

4 ينظر: مريم فرنسيس، في بناء النص ودلالته، وزارة الثقافة، سورية، 1998، ص 19.

أولاً: إشارات الحضور:

إنّ تصنيف الإشارات بحسب الحضور والغياب هو مبدأ تداولي، إذ يحدّد الدّارس عبره مرجعيّة النص وعلاقته بالعالم الخارجي، وهذه الضمائر أعني - الحضورية، دائماً تكون عناصر إشارية، ومرجعها السّياق الذي تستعمل فيه¹.

قد يكون هذا الحضور حضوراً للمتكلم، نحو (أنا ونحن) وقد يكون للمخاطب، نحو (أنت ونحوها)، أو حضوراً للإشارة، نحو (هذه وفروعها).

المتأمل في مدونة ابن عاشور يستجلي هذه الإشارات في أبعادها التداولية على هذا النّحو:

1 - ضمائر المتكلم:

إنّ لضمائر المتكلم أثراً تداولياً يتمثل في الإحالة إلى الشخوص الحاضرة في مقام التّلفظ، وهي معلومة لمن حضر المقام، فالضمير " أنا " يحيل وجوباً إلى من يقول " أنا " وهو بدوره يفرض حضواً آخراً أشير إليه بـ " أنت ".

يعد ضمير المتكلم نقطة ارتكازية، ما يجعل حضور (الأنا) يرد في كل خطاب، والمرسل يعول على وجودها بالقوة في كفاءة المرسل إليه.

ولقد انبنى تصنيف الإشارات في النسق اللغوي على تصنيف مراجعها في الواقع، ممّا يؤكّد التطابق والانسجام بين المتلفظ والمجموعة اللسانية التي ينتمي إليها، وهذه المطابقة ليست على إطلاقها، إذ المتكلم قد ينجز ملفوظه بحسب رصيده الثقافي المكتسب.

يمكن القول أن بعض هذه الإشارات تستعمل على نحو تداولي لغير ما وضعت له، ومن بين هذه الضمائر (نحن) - الذي يصنّف في ضمن الإشارات الشخصية - فهذا الضمير جاء في البنية السطحية بصيغة الجمع الدالة على العظمة، وفي بنيته العميقة يشير إلى المتكلم الفرد الصمد (سبحانه)، وهذا ما تتبّعه الطّاهر بن عاشور ورصده عبر معالجاته في تفسيره

1 ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 18

لقله تعالى : ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾¹، إذ قال : "وافتناع الجملة بضمير الجلالة لإظهار العناية بمضمونها، والمعنى : أن الله يعلم علما حقا داعي استماعهم، فإن كثرت الظنون فيه فلا يعلم أحد سبب ذلك و" اعلم " اسم تفضيل مستعمل في معنى قوة العلم وتفصيله، وليس المراد أن الله اشد علما من غيره إذ لا يقتضيه المقام"² .

فقد بين المفسر الغاية من البداءة بالضمير (نحن) في الجملة القرآنية، وهذا الضمير دال على لفظ الجلالة للتعظيم، وقد تمثل في إظهار العناية بمضمون الجملة، وهي قرينة تداولية (خارجية) يقدر المتكلم أهميتها عند المتلقي، فتقديم الضمير هنا جاء لحصر العلم به (سبحانه) ويسمى هذا الضمير في العرف التداولي بـ " نحن القاصرة " لأنها تقتصر في دلالتها على المرسل فقط³، و صاحب العلم المطلق، فاختر الله - جل وعلا - هذا الضمير لأنه مناسب في دلالاته على القدرة والتصرف والحكم المطلق، ومما يؤكد هذه المعاني مجيء صيغة (اعلم) خبرا عن (نحن القاصرة) لا على سبيل المفاضلة في العلم، بل هو انزياح دلالي تداولي من صيغة التفضيل إلى اسم الفاعل وتأويله : نحن عالمون، وقد اتركز المفسر على قرينة تداولية مقامية وهي تنزيهه - سبحانه وتعالى - .

فالظاهر بن عاشور على وعي كبير بمقاصد القرآن الكريم وذلك من خلال حمله لدلالة "نحن" على القاصرة ليقصر العلم على الله - سبحانه وتعالى - من غير مشاركة فيه لأحد، وهذا ما اتضح من خلال قوله: "واعلم اسم تفضيل مستعمل في معنى قوة العلم وتفصيله وليس المراد أن الله اشد علما من غيره إذ لا يقتضيه المقام".

1 الإسراء 47

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج14، ص 96.

3 من اللافت للنظر أن الضمير (نحن) في القواعد النحوية - عند التداوليين - إذا دل على المرسل والمرسل اليه فهو قابع في اصطلاح (نحن الشاملة)، أما إذا دل على المرسل فقط فيطلق عليه (نحن القاصرة) وهناك نوع آخر لها لا (لا شاملة ولا قاصرة)، ينظر: استراتيجيات الخطاب، ص293 - 296

فالطاهر بن عاشور لم يقتصر على المعنى المعجمي والنحوي لصيغة (اعلم)، لأن الاكتفاء بذلك يؤدي إلى قصور في فهم الخطاب، وهو ما جعله يستعين بالسياق العقدي نظرا لأهميته في الوصول إلى الدلالة القرآنية وتحقيق الفهم الصحيح، ولأن الطاهر بن عاشور يعلم يقينا أن الخطاب لا يتحدد معناه بصيغته الحرفية، وربما دلت الضمائر على علاقة بين المتكلم والمخاطب، وهي علاقة شبه مباشرة في سيرورة الخطاب، فإحالة ضمير المتكلم - أحيانا - قد يشير أن المتكلم والمخاطب حاضران في مقام التكلم، وهذا ما يستجلى عند وقوف المفسر على قوله تعالى : ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْتَلَّ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾¹، قائلا : " وَجِيءَ بِالْمُسْنَدِ إِلَيْهِ ضَمِيرُ الْجَلَالَةِ تَشْرِيفًا لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَزِّ الْمُصَوِّرِ لِمَقَامِ التَّكْلِيمِ مَعَ الْفَالِقِ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ كَأَنَّ اللَّهَ يُشَافِهُهُ بِهَذَا الْكَلَامِ بِدُونِ وَاسِطَةٍ فَلِذَا لَمْ يَقُلْ لَهُ إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ "³.

يتبين من نص المفسر أن سبب مجيء ضمير الجلالة (نا) في موقع المسند إليه في جملة (أَرْسَلْنَاكَ) هو تكريم وتعلية لمقام حضور النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وكأن الحوار الذي دار بين الله - عز وجل - ونبيه - عليه أفضل الصلاة والسلام - قد تم من طريق الاتصال الكلامي المباشر، وهو حوار خاضع للمعرفة المشتركة بين الخالق ونبيه الكريم، فابن عاشور على وعي أن من شروط نجاح الخطاب أن يوجه توجيهها مباشراً من متكلم إلى مخاطب جاهز لفهم حتى يتم التفاعل بينهما فالتفاعل هو جوهر عملية الاتصال .

ويؤكد هذا من كلام المفسر حينما فسر العلة من إتيان الضمير من جهة الله - عز وجل - بدل الاسم الظاهر؛ لأن الضمير كما يرى المفسر يدل على الحضور مشافهة ولو مجازاً؛ وهذا منتف على الله الذي ليس كمثله شيء إلا، ويتضح هذا من قوله: " كَأَنَّ اللَّهَ يُشَافِهُهُ بِهَذَا الْكَلَامِ

1 البقرة 119

2 ينظر: د. رمضان عبد التواب، مشكلة الهمزة في العربية، ط 1، مكتبة الخانجي، مصر، ص 37.

3 تفسير التحرير والتنوير: ج1، ص119

بدون واسطة " خلافاً لقوله " إِنَّ اللَّهَ أَرْسَلَكَ " الذي يدلّ على عدم التفاعل، وهذا العدول يعبر عنه بـ "الاستراتيجية التضامنية بين المتكلم والمخاطب".

ومن هنا تتجلى أهمية استعمال الضمائر الشخصية فهي بمنزلة الخادم للغة، ووجودها يعد ضرورة لا يمكن الاستغناء في تشكيل البنية الخطابية في لغة المتواضعين.

وقد اتضحت قوة الطاهر ابن عاشور التأويلية وملكته التفسيرية على إظهار هذه العناية بهذا النوع من الضمائر في العملية التحليلية للنصوص القرآنية.

ولم يُقتصر في الخطاب القرآني على الضمائر الوجودية - ضمائر المتكلم فحسب - كما رأينا في النّصين السابقين، بل كان أيضاً لضمائر الملكية نصيب في معالجات ابن عاشور، فإن الضمائر الدالة على المتكلم تعدّ من قبيل الإشارة إلى خارج النّص ويمكن استظهار ذلك عبر تفسير ابن عاشور لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَا نَتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدْنَهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾¹، موضحاً ذلك بقوله: "وَعَدَلْ عَنِ الْإِضَافَةِ حَقَّ الْقَوْلِ مِنِّي فَلَمْ يَقُلْ: حَقَّ قَوْلِي؛ لِأَنَّهُ أُرِيدَ الْإِشَارَةُ إِلَى قَوْلٍ مَعْهُودٍ ... أَيِ حَقَّ الْقَوْلِ الْمَعْهُودِ. وَاخْتَلَبَتْ مِنَ الْإِبْتِدَائِيَّةِ لِتَعْظِيمِ شَأْنِ هَذَا الْقَوْلِ بِأَنَّهُ مِنَ اللَّهِ. وَعَدَلْ عَنِ ضَمِيرِ الْعَظَمَةِ إِلَى ضَمِيرِ النَّفْسِ لِإِفَادَةِ الْإِنْفِرَادِ بِالتَّصَرُّفِ؛ وَلِأَنَّهُ الْأَصْلُ"².

ما يُلحظ من توجيه الطاهر بن عاشور من خلال تأويله لهذا النص معرفته التامة و إلمامه الشامل برصد العلائق بين القواعد اللسانية والأنماط الاجتماعية ، فالمخاطب عند تحصيله كلاماً فإنه يعود - في العرف التداولي- إلى مرجعين أساسيين في الوقت نفسه : مرجع يعود الى كفاءته اللسانية ومدى الاختيار الموفق مع ما يناسب لحظة تأدية الكلام، ومرجع يتعلق بالبنية الاجتماعية

1السجدة 13

2ابن عاشور، التحرير والتنوير: ج21، ص157

التي أنتجت بنى لسانية مستقرة في ذاكرة الجماعة ، فالمتكلم يلجأ لانتقاء التراكيب المناسبة لحظة الإنجاز، وهي محددة ضمن مجال دلالي تُجرى فيه عملية التلفظ .

وما جعل ابن عاشور يجنح لهذه الرؤية التفسيرية هو اعتماده على قرينة سياقية تتمثل في بيان سبب العدول عن ضمير العظمة (الجمع) إلى ضمير النفس (المفرد) (مني)، وذلك راجع إلى إسناد القول إلى الله - جل وعلا - وحده؛ حتى لا يتبادر إلى ذهن معنى المشاركة المحصل من ضمير (الجمع) الذي يوهم التعدد تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وهذا ما عنيه المفسر عند وقوفه على علة مجيء هذا الضمير على حد قوله: " لإفادة الانفراد بالتصرف ولأنه الأصل ".
ومما لا شك فيه أن التفرد المطلق في التصرف -في القول أو الفعل - تداولياً يستلزم من المتكلم أن يكون ذا سلطة، وهي موهنة بمدى القدرة الإنجازية للأفعال الكلامية، والقوة التأثيرية فيمن يوجه إليه الخطاب، وهذا الفعل الكلامي يندرج ضمن صنف - التعهدات - التي تتعلق بالمتكلم دون ما سواه، فهو الواعد الذي ينبغي أن يلتزم بوعده، وفي حال ما فقدت السلطة فإن الفعل لا يتحقق - بحسب رؤية التداوليين -؛ فالعلاقة تلازمية بين ما يمتلكه المتكلم من سلطة، وما يصدر عنه من خطاب¹.

2 - ضمائر المخاطب:

وهي مدرجة ضمن العناصر الإشارية الحضرية، فالمتكلم بمجرد التلفظه بـ (أنا) يفترض أنه يخاطب ذات أخرى تتمثل في متلق يستقبل الخطاب، وهنا يظهر المتكلم أعلى رتبة من المخاطب، وهذا ما يحقق تداولية الخطاب.

لذا كانت هذه الضمائر محل اهتمام وعناية المتكلم، وحضورها أمر لا استغناء؛ فهي طرف مهم في إنجاز الخطاب وتوجيهه.

1 ينظر: بدير بورديو، الرمز والسلطة، دار توبقال للنشر، 1990، ص 233

فضمير المخاطب المفرد (أنت) لا يتوقف استعماله عند حدود مرجعيته فحسب، بل يتجاوز ليصبح مؤشرًا إلى غرض تداولي، بمعنى أن غرض إسناده يتجاوز الوظيفة النحوية المحضة إلى معيار تداولي، وعليه فإن الإسناد إلى أنا أو أنت... في كثير من الخطابات هو للتدليل على الاستراتيجية التضامنية¹.

وهذا الطرح التداولي يمكن استجلاؤه في معالجات المفسر عند تفسير لقوله تعالى مخاطبًا نبيه الكريم: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾² قائلا: " وَفِي تَوْجِيهِهِ الْفِطَابِ بِهِذَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاجْتِلَابِ ضَمِيرِ خُطَابِهِ بِقَوْلِهِ: وَأَنْتَ فِيهِمْ لَطِيفَةً مِنَ التَّكْرِمَةِ إِذْ لَمْ يَقُلْ: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَفِيهِمْ رَسُولُهُ"³.

يظهر من خلال هذه النص مدى وعي الطاهر بن عاشور بأطراف العملية التخاطبية وبسياق الموقف بكل ظروفه المحيطة به والتي التي تكتنف النص أثناء زمن الإنتاج وكذا وقت تلقيه، فسياق الآية يدل على استحقاق المشركين للعذاب، ولكن وجود النبي -صلى الله عليه وسلم -بين أظهرهم كان سببا في تأخير العذاب، وهذه تعلية ورفعة شرف الله بها نبيه - وهو حقيق بها - فوجوده دافع لنزول العذاب. والمفسر قد استقر عنده الاعتماد في الفهم على سياق الموقف أكثر من غيره ومن بينها الضمير (أنت) ومعرفة هوية المتكلم والمتلقي، والإطار الزماني والمكاني ضروري لفهم مدلول هذه الوحدة اللغوية.

والباري - عز وجل - يختار من المفردات والألفاظ ما يتناسب وسياق حال المخاطب - النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - لتحقيق المقصدية، بما استخدمه من ضمير المخاطب في قوله : "وأنت فيهم" فهي أشبه بتصوير الحضور التخاطبي في المحادثة بين الخالق ونبيه الكريم، وهذه المباشرة التي دلّ عليها الضمير يؤكد أن صاحب الخطاب (سبحانه) أبان عن

1 عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 288.

2 الأنفال 33.

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج9، ص 87.

درجة علاقته بالمخاطب (نبيه) ونوعها، والتعبير عنها دال على مدى محبة الله جل وعلا لنبيه ما يجعل المخاطب مقبلاً على سماعه وفهم مراده ، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أن ما يقوي الاستراتيجية التضامنية هو العلاقة التي تخلو من أية دوافع أو أغراض منفعية وهو عين التأدب حسب ما هو مقرر في الدرس التداولي، ومن هنا قال ابن عاشور إنّ هذا العدول " لطيفة من التكرمة. " وهذا أسلوب فيه إظهار لمنزلة الرسول - صلى الله عليه وسلم - بين الخلق، وقد تحقق هذا بالانزياح والتحول عن صيغة القول: "وما كان الله ليعذبهم وفيهم رسوله "؛ لأنها مجردة من التفاعل التخاطبي أو الاقتراب الحوارى، بل هي عبارة محكية عن غياب الرسول -صلى الله عليه وسلم- والذي تتخلف فيه الاستراتيجية التضامنية.

إن ممارسة العملية التواصلية ونجاحها -بحسب رؤية التداوليين -مرتبط بمعرفة المتلقي وتعيينه، فهو يمثل القطب الثاني الذي تركز عليه الوظيفة التواصلية لأي خطاب¹؛ ويحدث الإشكال عند حصول اللبس في معرفة المخاطب، ولا سيما إذا استعملت الضمائر فهي من زاوية رؤية الممارسة التداولية لا تستقر دلالتها على مرجعية معينة، حيث يعدل به أحياناً عن النظام الثابت لأغراض تداولية.

وفي حال وروده مثل هذا في القرآن الكريم، فإنّ المفسرين يركنون في بيان دلالاته إلى مراعاة سياق الحال التي نزل فيها القرآن الكريم ومجاله التداولي وزمانه.

ومن أمثلة ما ذكرناه في مدونة المفسر، وقوف الطاهر بن عاشور عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾².

قائلاً : ((وَالْفِطَابُ فِي قَوْلِهِ (يَأْتِيَنَّكُمْ) لِأَدَمَ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ أَصْلُ لِنَوْعِ الْإِنْسَانِ إِشْعَارًا لَهُ بِأَنَّهُ سَيَكُونُ مِنْهُ جَمَاعَةٌ، وَلَا يَشْمَلُ هَذَا الْفِطَابُ إِبْلِيسَ لِأَنَّهُ مَفْطُورٌ عَلَى الشَّرِّ وَالصَّلَالِ إِذْ قَدْ أَتْبَاهُ اللَّهُ

1 ينظر: مؤيد آل صويت، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، ص 91

2 طه 12

بِذَلِكَ عِنْدَ إِبَائِيهِ السُّجُودَ لِأَدَمَ فَلَا يَكْلَفُهُ اللَّهُ بِاتِّبَاعِ الْهُدَى؛ لِأَنَّ طَلِبَ الْإِهْتِدَاءِ مِمَّنْ أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِأَنَّهُ لَا يَزَالُ فِي ضَلَالٍ يُعَدُّ عِبْثًا يُنَزَّهُ عَنْهُ فِعْلُ الْحَكِيمِ تَعَالَى¹

إن القراءة التداولية للمفسر أظهرت معرفته بأن الخطاب في قوله (يَأْتِيَنَّكُمْ) متوجّه إلى آدم عليه السلام على الرغم من أن الضمير يدلّ على مخاطبة الجماعة، وهذا مركز عند المفسر -بقرينة غير لسانية (مقامية او خارجية)؛ لأن آدم عليه السلام هو أصل الإنسانية وهذا يستلزم أن يكون منه جماعة في المستقبل؛ وتحديد معنى النص القرآني لا يتوقف على ظاهر العبارة، وأنّ المعاني لا تتقرّر من داخلها، وعلى وفق اللغة المباشرة وحدها، بل متوقف على بالملابسات والقرائن.

واستبعاد ابن عاشور أن يكون إبليس - عليه اللعنة - هو المقصود بالخطاب قد استند فيه على تمازج السّياق اللغوي مع السّياق الخارجي والذي حدّد مساره هو التوجه العقدي؛ لأن الله سبحانه لا يخلف الميعاد، وقد ظهر ذلك في قول المفسر: إن " طلب الاهتداء ممن أعلمه الله بأنّه لا يزال في ضلال يعدّ عبثاً ينزّه عنه فعل الحكيم تعالى " صرف بموجبه أن يكون الخطاب لإبليس؛ لأنه مفطور على الشر.

وهذا التوهج التأويلي للمفسر منشؤه معرفته القبلية المخزونة في ذاكرته، والتي اعتمد عليها في العملية التفسيرية، وهي نظرة ذات طابع شمولي للخطاب القرآني، فالقراءة الكلية مثمرة وذات أثرٍ أوسع من القراءة الضيقة المقصورة، والطاهر بن عاشور يمتلك كفاية موسوعية وزادا معرفيا ضخماً يضمّ عددا هائلا من المعارف والمعتقدات والمعلومات الاجتماعية والتاريخية والثقافية والدينية².

1 ابن عاشور، التحرير والتنوير: ج16، ص 197

2ينظر: حسن بدوح، المحاورّة مقارنة تداولية، ط1، عالم الكتب الحديث، الأردن، ص 126

3- أسماء الإشارة: ما يميز أسماء الإشارة من غيرها من الإشارات هو كونها تقبل الإشارة إلى الذوات والأماكن والأزمنة، وأنها عمل إنجازي لغوي مرتبط بالإجراء الحيني للخطاب والوجود التواجمي (المباشر) بين المتكلم والمخاطب، وقد صنفنا أسماء الإشارة ضمن ضمائر الحضور ؛ لأنها تُحيل على حاضر في زمن الكلام، وتدل على استحضر الذوات في أثناء الخطاب، فحضور المشار إليه يقتضي التخاطب والوجود في الحاضرة، أو المقام التخاطبي، إذ أن المشار إليه لا يتحدّد إلا بالوجود الفعلي لثلاثة أطراف هي : المتكلم والمخاطب والمشار إليه، وهذا يعني أن الحدث التخاطبي الذي ينشئه المتكلم هو الذي يحدّد مرجع اسم الإشارة 1 .

قرر التداوليون أن أسماء الإشارة من أكثر الإشارات وضوحًا؛ لأن المشار إليه فيها يدرك بالحس من طريق المشاهدة له، وتحديد مكان حضوره وكذا زمانه². هذا الذي تبناه التداوليون نجده جليًا في مدونة - التحرير والتنوير - حينما فسّر ابن عاشور قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَكًا مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي مَآبَاتِنَا الْأُولَى ﴾³ ، إذ قال: " وَأَسْمُ الْإِشَارَةِ مُنْصَرَفٌ إِلَى نَوْعٍ وَهُوَ يَقْتَضِي أَنَّ كَلَامَ الْمَلَأِ وَقَعَ بِفَضْرَةِ نَوْعٍ فِي وَقْتٍ دَعَوْتِهِ، فَعَدَلُوا مِنْ أَسْمِهِ الْعَلَمِ إِلَى الْإِشَارَةِ ؛ لِأَنَّ مَقْصُودَهُمْ تَصْغِيرُ أَمْرِهِ وَتَفْقِيرُهُ لَدَى عَامَّتِهِمْ كَيْلًا يَتَقَبَّلُوا قَوْلَهُ"⁴.

إنّ المتبصر في هذا النصّ يبرز له إدراك المفسّر أن اسم الإشارة (هذا) في قوله تعالى : (ما هذا إلا بشر) عائد إلى نبي الله نوح - عليه السلام - وهو مدرج ضمن الإشارات الشخصية، التي تدل على الإشارة (الحسية) وتتم بحضرة المشار إليه ؛ وهذا الحضور للأطراف

1 ينظر: نرجس باديس، المثيرات المقامية في القرآن، ص60

2 ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 22- 23

3 المؤمنون: 24،

4 بن عاشور، التحرير والتنوير: ج8، ص 35

الثلاثة قد وقع في الزمان والمكان أنفسهما، و هو ما يرصد من قوله : " يقتضي أن كلام الملاء وقع بحضرة نوح في وقت دعوته " ، فلا ينبغي أن ينجز المتكلم إشارته الحسية إلى المشار إليه إلا لحظة التلفظ حتى ينبّه المخاطب إليه ويتحقق القصد من التلفظ، وقد لا يكون نوح عليه السلام- حاضراً في ذلك المقام فأرادوا أن يثيروا إليه إشارة ذهنية وهو جوهر ما طرحه الدرس التداولي في إطار تناولهم إشارات الحضور بقولهم : "فما تحيل عليه المشيرات المقامية لا بد أن يكون حاضراً حضوراً فاعلاً في المقام التخاطبي، مثل إحالة (أنا) على المتكلم، وهو بصدد عمل القول، وإحالة (أنت) على المخاطب لحظة توجيه المتكلم الخطاب له ... فما تحيل عليه أسماء الإشارة، بالإضافة إلى اشتراط حضوره في مقام التخاطب، ينبغي أن يتعين بإشارة ينجزها المتكلم لحظة التلفظ تنبه المخاطب إليه "1.

وقد بين المفسر القصد من عدم تصريحهم باسم نبي الله نوح - عليه السلام - واكتفائهم بالإشارة إليه تصغيراً له وتحقيراً لأمره وذلك للعلاقة المتأزمة فيما بين نوح وقومه فأرادوا إخفاء اسمه عن عامة الناس بتقديم صورة للمخاطبين مغايرة للواقع فأخفوا اسمه عنهم؛ إذ المسمى قد يرشداهم إلى حقيقته²، هذا ما يدرك من قوله " لِأَنَّ مَقْصُودَهُمْ تَصْغِيرُ أَمْرِهِ وَتَحْقِيرُهُ لَدَى عَامَّتِهِمْ كَيْلًا يَتَقَبَّلُوا قَوْلَهُ ".

وهو ما يشير بالقول: ((إنَّ أسماء الإشارة وحدات خطابية تعكس عند استعمالها حدث التلفظ الخارجي وتستحضر جميع مقوماته (طرفي الخطاب وزمانه ومكانه) وهذا الحضور يقتضي أن يكون موجوداً في مكان وزمان محددين فيتعين بمشير لفظي يتلفظ به متكلم ويوجهه نحو مخاطب في لحظة تخاطبية محدّدة)³.

1 نرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة العربية: ص103

2 ينظر: المرجع نفسه: ص399

3 ينظر: المرجع نفسه: ص42 - 81

وأحيانا يرتكز الطاهر بن عاشور في تعيين المشار إليه إلى سياق الحال المتمثل في أسباب النزول ليزيل الإبهام والغموض اللذين يكتنفان معاني الآيات المحيلة على عناصر إشارية غير مذكورة في النص، فسياق الحال من القرائن المهمة التي ارتكز عليها المفسرون في استنباط معاني الآيات القرآنية ومعرفة مقاصد الخطاب القرآني¹.

و من استحضار ذلك في مدونة المفسر عبر تفسير قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَيْبِهِمُ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نَارٌ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾²، إذ يقول: " وَقَعَ فِي الصَّيْفَيْنِ " عن أَبِي ذَرٍّ: أَنَّهُ كَانَ يُقْسَمُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ ... نَزَلَتْ فِي حِمْزَةِ وَصَاحِبَيْهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَعُتْبَةَ بْنِ ٣ الْفَارِثِ الَّذِينَ بَارَزُوا يَوْمَ بَدْرٍ شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَعُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدَ بْنَ عُتْبَةَ. وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ « عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ: أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَفْلُو بَيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْفُصُومَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. قَالَ قَيْسُ بْنُ عُبَادَةَ: وَفِيهِمْ نَزَلَتْ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَيْبِهِمْ) ... وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ الْآيَةُ مَدْنِيَّةٌ فَتَكُونُ هَذَانِ إِشَارَةً إِلَى فَرِيقَيْنِ حَاضِرَيْنِ فِي أَذْهَانِ الْمُفَاطِبِينَ فَنَزَلَ حُضُورُ قِصَّتِهِمَا الْعَجِيبَةِ فِي الْأَذْهَانِ مَنْزِلَةَ الْمَشَاهِدَةِ حَتَّى أُعِيدَ عَلَيْهَا اسْمُ الْإِشَارَةِ الْمَوْضُوعِ لِلْمَشَاهِدِ، وَهُوَ اسْتِعْمَالُ فِي كَلَامِ الْبُلَغَاءِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعْنَفِ بْنِ قَيْسٍ: «خَرَجْتُ لِأَنْصُرَ هَذَا الرَّجُلَ يُرِيدُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي قِصَّةِ صَفَيْنَ»⁴.

فاستجلاء النظر في نص المفسر ينبئ أنّ اسم الإشارة (هذان) في الآية القرآنية يحيل (مقامياً) إلى حمزة وصاحبيه علي بن أبي طالب - رضي إله عنه - وعتبة بن الحارث والخصم الآخر شيبه بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وقد ارتكن المفسر إلى - أسباب النزول

1 ينظر: المرجع نفسه: ص 42 - 81

2 الحج 19

3 ينظر: محمد بن اسماعيل صحيح البخاري، باب قتل أبي جهل دار ابن كثير، لبنان، بيروت، ج 13 ص 7 -

8، وصحيح مسلم: باب في قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ريبهم): ج 17، ص 361

4 تفسير التحرير والتنوير، ص 17، ج 165 . 166

- في بيان تلك الدلالة وهو مصطلح يقابل مصطلح سياق الحال عند المحدثين، وهو بعد تداولي غاية في الأهمية؛ لأنه أحد الوسائل الهامة للوصول إلى دلالة النصّ القرآني.¹

ثانيا/ إشارات الغياب: يرى علماء التداولية أنّ ضمير الغائب يدخل في الإشارات ((إذا كان حراً أي لا يعرف مرجعه من السياق اللغوي، فإذا عرف مرجعه من السياق اللغوي خرج من الإشارات)).² وهذا يعني أن ضمير الغائب غير معروف صاحبه؛ لأنه غير حاضر في السياق اللغوي، ولكن المتلقي يستطيع معرفته بوساطة كفايته اللسانية أو التداولية.

ويمكن رصد ذلك في مدونة المفسر عبر تفسير قوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾³، قائلاً : " وَضَمِيرُ بَلَغَتْ رَاجِعٌ إِلَى غَيْرِ مَذْكُورٍ فِي الْكَلَامِ وَلَكِنَّهُ مَعْلُومٌ مِنْ فِعْلِ (بَلَغَتْ) وَمِنْ ذِكْرِ التَّرَاقِي) فَإِنَّ فِعْلَ بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ يَدُلُّ أَنَّهَا رُوحُ الْإِنْسَانِ وَالتَّقْدِيرُ : إِذَا بَلَغَتْ الرُّوحُ أَوِ النَّفْسُ، وَهَذَا التَّقْدِيرُ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْفِعْلُ الَّذِي أَسْنَدَ إِلَى الضَّمِيرِ بِحَسَبِ عُرْفِ أَهْلِ اللِّسَانِ، وَمَثَلُهُ قَوْلُ حَاتِمِ الطَّائِي :

أَمَاوِيٍّ مَا يُغْنِي الشَّرَاءَ عَنِ الْفَتَى إِذَا حَشَرَجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ

أَيُّ إِذَا حَشَرَجَتْ النَّفْسُ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُ الْعَرَبِ أَرْسَلَتْ « يُرِيدُونَ: أَرْسَلَتْ السَّمَاءُ الْمَطَرَ "⁴.

أحال المفسر ضمير الغائب (هي) في الفعل (بلغت) على الروح أو النفس، على الرغم أنّها لم تذكر في الظاهر اللغوي، مستنداً في ذلك إلى الزاد الموسوعي المتمثلة بالكفاية والتداولية التي يتضح فيها إمامه بأساليب اللغة العربية وتراكيب الجمل القرآنية واستعمالاتها، وهذا مبدأ تداولي

1 ينظر: محمد بن أحمد جهلان، فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النصّ القرآني، ط1، دار القدس للطباعة، ص14

2 محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 18
3القيامة 26

4ابن عاشور ، التحرير والتنوير، ج 9، ص 231

يرتكز على الاحتكام لكثرة الاستعمال والشيوع لبعض المفردات أو التراكيب في لغة الفرد أو المجتمع إلى حد أن تجيء كلمة في صحبة كلمة أخرى على نحو يجعلنا بحكم العادة والألفة نتوقع أن تجيء الكلمتان متصاحبتين¹.

فورود كلمة ما في نصٍّ معين يستدعي من المتلقي جلب كلمة لها وجه علاقة مع الكلمة الأولى ذهنيًا، وهو ما يدرك من قوله: " ولكنه معلوم من فعل (بلغت) ومن ذكر (التراقي) فإن فعل (بلغت التراقي) يدل أنها روح الإنسان. لهذا نجد الطاهر بن عاشور يبرهن على صحة توجيهه طريق إirاده شاهدًا شعريًا وآخر نثريًا ليسند بهما اختياره بوصفهما فعلا لسانيًا يستمد شرعيته من المحيط الاجتماعي ويتأثر به.

وربما يُعيّن مرجع الضمير من منظور المقام الخارجي، إذا حصل لبس أو غموض؛ لعدم توافر القرائن اللغوية في البنية النصّية، مما جعل المفسّر إلى الاهتمام بالوسائل التداولية ولا سيما المقام الحسي.

وهذا ما وقفنا عليه في مدونة المفسر عند تحليله لقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّفُضِيَ الْأَمْرُ ﴾²، موضّحًا إيّاه بقوله: " وَضَمِيرُ عَلَيْهِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَادُ الضَّمِيرِ مَعْلُومٌ مِنَ الْمَقَامِ، لِأَنَّهُ إِذَا جَاءَ فِي الْكَلَامِ ضَمِيرٌ غَائِبٌ لَمْ يَتَقَدَّمْ لَهُ مَعَادٌ وَكَانَ يَبِينُ ظَهْرَانِيَهُمْ مَنْ هُوَ صَاحِبُ خَبَرٍ أَوْ قِصَّةٍ يَتَقَدَّشُ النَّاسُ بِهَا نَعَيْنَ أَنَّهُ الْمُرَادُ مِنَ الضَّمِيرِ "³.

إنّ تفحص النصّ الذي بين أيدينا يكشف عن مقدرة المفسّر على تأويل النصوص بالارتكاز إلى البعد المقامي (الحسي)؛ وذلك عبر إحالة ضمير الغائب (الهاء) في شبه الجملة

1 ينظر: محمد حسن عبد العزيز، المصاحبة في التعبير اللغوي، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، م1990، ص16

2 الأنعام 7

3 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج6، ص 24.

(عليه) على النبي -صلى الله عليه وسلم -على الرغم من عدم وجود الاسم قبله ليحيل عليه، فالمفسر يدرك أنّ هذا الضمير -حاله كحال غيره من الإشارات - لا تدرك مرجعيته إلا بالرجوع إلى السياق المقامي؛ لأنّ كل عنصرٍ من هذه العناصر لا يمكن فهمه خارج سياقه الخطابي فهي عناصر ملازمة للخطاب وفهمها يعد شرطاً أساسياً في تفسيره وتأويله.

قد استعان على هذا الفهم بالخلفية الثقافية للنصّ، لأنّ الذي يمثّل التبادل الحوارى هو التاريخ الثقافى الكامن فى عقل المشاركين فى الخطاب (المتكلم، المستمع)، فالخطاب بمختلف أنواعه يحمل بين طياته الأبعاد الاجتماعية للاتصال بما هو جزء من خطاب أوسع.

ب . الإشارات الزمانية:

يُعرف هذا الصنف من الإشارات بأنّه : " الكلمات التي تدلّ على زمن يُحدد استناداً إلى السياق الذي ترد فيه هذه الكلمات، وبالقياص إلى زمن التكلم، فزمن التكلم هو مركز الإشارة deictic center الزمنية فى الكلام، وإذا لم يُعرف زمن التكلم أو مركز الإشارة الزمنية التّبس الأمر على السامع أو القارئ " ¹، فقولك مثلاً : بعد أسبوع، يختلف مرجعه إذا قلته اليوم أو قلته بعد شهرٍ أو بعد سنةٍ، وإذا قلت أيضاً : نلتقى الساعة العاشرة، فزمن التكلم وسياقه هما اللذان يحدّدان المقصود بالساعة العاشرة : صباحاً أو مساءً من هذا اليوم أو من يوم يأتي بعده ، فلا بد للسامع أن يدرك لحظة التلفظ فيتخذها مرجعاً يحيل عليه ويؤول مكونات التلفظ اللغوية بناءً على معرفتها، فإذا قال المتكلم : نلتقى الساعة العاشرة صباحاً، فالعبارة الإشارية (صباحاً) هي التي حدّدت مركز الإشارة الزمنية بالنسبة للسامع

ومن الإشارات الزمانية التي لا يتضح معناها إلا بالإشارة إلى زمان بعينه - بالقياس إلى زمن التكلم :- أمس وغداً والآن واليوم والأسبوع والسنة، وإلى غير ذلك²

1 ينظر: نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي فى الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية، 2013، ص 91.

2 ينظر: محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة فى البحث اللغوي المعاصر، ص 20

إنّ من يتتبع ويسبر هذه الإشارات يجدها قد تكون دالة على الزمان الكوني الذي يفترض سلفاً تقسيمه على فصول وسنوات وأشهر وأيام وساعات، إلى غير ذلك، أو قد تكون دالة على الزمن النحوي، الذي يُحدد زمن الحدث من طريق السياق لا من طريق البنية الصرفية للفعل، كأن تدلّ صيغة الماضي على الاستمرار ويدل المضارع على الماضي وكل ذلك عبر قرائن السياق المقترنة بزمن التلفظ، دون أن ننسى أثر أسماء الإشارة وأهميتها في الإشارة إلى الزمن في بعض الأحيان، والمتتبع لمظان تلك الإشارات والملتمس لها في المدونة التفسيرية يجدها على هذا النحو الآتي:

أولاً: الإشارة عبر الزمان الكوني والزمن النحوي:

يظهر أثر التفاعل السياقي بين الزمان الكوني (الظروف الزمانية) والزمن النحوي في مدونة مفسرنا عبر المعالجة التداولية لظرف الزمان (الآن)، في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَوَدْتَن يَوْسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ ائْتِنَا حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا وَرَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ 1﴾.

إذ عبر عنه بقوله : "وَالآنَ : ظَرْفٌ لِلزَّمَانِ الْفَاضِرِ ... وَحَصْحَصَ : ثَبَتَ وَاسْتَقَرَّ وَ(الْحَقُّ) : هُوَ بَرَاءَةُ يَوْسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِمَّا رَمَتْهُ بِهِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ، وَإِنَّمَا ثَبَتَ هَيْئَتُهُ، لِأَنَّهُ كَانَ مَعْلً قِيلَ وَقَالَ وَشَكَّ، فَزَالَ ذَلِكَ بِاعْتِرَافِهَا بِمَا وَقَعَ وَالتَّغْيِيرُ بِالْمَاضِي مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَثْبُتْ إِلَّا مِنْ إِقْرَارِهَا الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لِأَنَّهُ قَرِيبُ الْوُقُوعِ فَهُوَ لِتَقْرِيبِ زَمَنِ الْعَالِ مِنَ الْمُضِيِّ ... وَتَقْدِيمُ اسْمِ الزَّمَانِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الْاِفْتِصَاصِ، أَيِ الْآنَ لَا قَبْلَهُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ مَا قَبْلَ ذَلِكَ الزَّمَانِ كَانَ زَمَنَ بَاطِلٍ وَهُوَ زَمَنُ تَهْمَةِ يَوْسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - بِالْمَرَاوَدَةِ، فَالْقَصْرُ قَصْرُ تَعْيِينِ إِذْ كَانَ الْمَلِكُ لَا يَذْرِي أَيُّ الْوَقْتَيْنِ وَقْتُ الصِّدْقِ أَهْوَ وَقْتُ اغْتِرَافِ النَّسْوَةِ بِنَزَاهَةِ يَوْسُفَ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَمْ هُوَ وَقْتُ رَمْيِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ إِيَّاهُ بِالْمَرَاوَدَةِ "2.

1يوسف 51

2 ابن عاشور ، التحرير والتنوير، ج12، ص 77

إنّ تجليات هذا النصّ دليل على إدراك المفسّر للظروف المحيطة بالأحداث التي وقعت في محضر الملك، حينما سأل النسوة عن المراودة التي حصلت ليوسف (عليه السلام) من جهتهن في زمن مضى، وقد اعترفن بطهارة يوسف عليه السلام واعترفت معهن (زوليا) بمراودتها له (عليه السلام) لذلك فكلّمة (الآن) - عند ابن عاشور - إشارة لزمان التكلم الذي وقع فيه الحوار الذي دار بين الملك والنسوة عندما عبر عنه بقوله : " ظرف للزمان الحاضر " فقد أشار الظرف (الآن) بصورة مباشرة إلى زمن الحدث التخاطبي مع حضور أطراف التخاطب فمن دون وجود أطراف الخطاب في أثناء التكلم لا يمكن تحديد زمن الخطاب.

وبمقتضى ذلك فحكم أو قرار براءة يوسف عليه السلام - المتمثل بقول (زوليا) قد تم بمحضر الملك والنسوة والملا في الزمان والمكان أنفسهما، ويرى المفسر أن امرأة العزيز عمدت إلى إيراد صيغة الفعل الماضي (حصحص) عوضاً عن صيغة الحال لزيادة تأكيدها ثبات براءة يوسف - عليه السلام - إذ القوة الإنجازية في صيغ الماضي التي توحى بالتحقق ومضي الحدث وانقضائه، هي التي حملت على اختيار المتكلم لصيغ الماضي دون الحاضر أو المستقبل لخدمة أغراضه ومقاصده ، إذ لم تقصد امرأة العزيز وصف فعل سابق لزمن التكلم أو الإخبار عنه، بل قصدت منه إنجاز الفعل في زمن الحال فاستعمال الفعل (حصحص يدلّ على الإنشاء ؛ لأنه أنجز فعلاً كلامياً آخر غير إخبار البنية الظاهرية، إذ أنجز فعل الإقرار والاعتراف بمجرد التلفظ به بغض النظر عن زمن البنية المقولية .

ولم يكتف المفسر بهذا القدر من التحليل، بل راح يعلل سبب تقديم اسم الزمان (الآن) مؤكداً أن التقديم جاء للدلالة على الاختصاص وهي قرينة تداولية تعبر عن النقطة المرجعية المحددة للزمان، وتكمن أهميتها في تحديد زمن الاعتراف الذي جاء متأخراً بعد سنين من سجن يوسف عليه السلام - وللإحالة على زمن حدث الاعتراف أي: الزمن الذي يستوجب الصدق بعد أن اعترفت النسوة قبلها، فهو يتضمن معنى الإشارة.

ف (الآن) إذن دليل لغوي وقرينة على المعنى المقامي تقوم دلالتها على علاقة ثنائية الأطراف بين زمن إيقاع الحدث (الزمن الحاضر) وزمن وقوع الحدث المخبر عنه الذي حدث في الزمن الماضي، وهذا ما يمكن أن نلاحظه من قوله في بيان دلالة (الآن) في الآية الكريمة: " أي الآن لا قبله للدلالة على أنّ ما قبل ذلك الزمان كان زمن باطل وهو زمن تهمة يوسف عليه السلام – بالمرأودة ".

وربما استحضّر المفسّر في الخطاب القرآني الإشارة الزمنية لظرف الزمان (اليوم) في بعدها التداولي إذ لم تخرج عن حدود الاستعمال المتداول في اللغة حينما يراد منه تحديد الحدث التخاطبي للمعهود الذهني ولا سيما عند توظيفه للإشارة إلى يوم القيامة بأغراضه ومقاصده التي تعكس علاقة المتكلم بالمخاطب، أو علاقة المخاطب بموضوع الخطاب ولا سيما وأنّ المشار إليه لم يحدث بعد بالنسبة إلى متلقي القرآن وقد تعدّدت احتمالية الإشارة إلى هذا الظرف عند المفسر إلى زمن الحاضر.

ثانياً: الإشارة عبر الزمن النحوي بعاملي الصيغ الفعلية والسياق التركيبي:

يقدم لنا اختلاف الزمن النحوي عن الزمان الكوني صوراً استعمالية منها دلالة صيغة الحال على الماضي، ودلالة صيغة المضي على الاستقبال؛ إذ ينشأ بينهما صراع لا يفصله إلا المعرفة بسياق الكلام ومرجع الإشارة الزمنية، فالزمن النحوي لا يطابق الزمان الكوني في كثير من الاستعمالات.

رصد ورود ذلك في تفسير ابن عاشور في قوله تعالى: ﴿أَنَا أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾¹، عندما قال: ((فجاء بالماضي المراد به المستقبل المقق الوقوع بقرينة تفرّيع (فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ)، لِأَنَّ النَّهْيَ عَنِ اسْتِعْجَالِ حُلُولِ ذَلِكَ الْيَوْمِ يَقْتَضِي أَنَّهُ لَمَّا يَحُلْ بَعْدُ².

1 النحل 1

2 ابن عاشور ، التحرير والتنوير، ج13، ص 77

يستشف من تعبير المفسر أنّ زمان الحدث (الزمان الكوني) قد جاء مغايراً لزمان التّكلم؛ فزمن التّكلم قد جاء وقت بعثة النبي - صَلَّى الله عليه وآله وسلم - والزمان الكوني يشير إلى يوم القيامة، وهذا التّغاير الذي حدث لمقاصد تداولية قد تم عبر استراتيجيّة الزمن النحوي، فالزّمن النحوي على الرّغم من كونه في صيغة الماضي يدل على الاستقبال وهو المقصود من مراد الله -تعالى- في سياق الآية الكريمة متمثلاً في يوم القيامة، وهذا يعني أنّ بنية الفعل وحدها لا تُحدّد الدّلالة الزمنية للجملة، فقد ذكر "ديكرو" (ducrot) : " أن الفعل في اللغة العربية لا يميز بين الأزمنة إذ إنّ الشكل النحوي نفسه يستطيع أن يدل على الحاضر والماضي والمستقبل "1، وقد يتم ذلك بمعونة السياق اللغوي للمفردة؛ لأن معناها قد يعتمد على عناصر لغوية في النّصّ من ذكر جملة سابقة أو لاحقة.

فعلى المفسّر أن يبدأ أولاً بتحليل النّصّ من الداخل بالنظر إلى مفرداته وما يحيط بها قبل التوجه إلى خارج النّصّ وما يمكن أن يزود الدلالة بمعايير القبول، وهذا عين ما نهض به ابن عاشور، عندما ارتكز على القرينة اللفظية المتمثلة بجملة (فلا تستعجلوه) في الآية الكريمة، وتوصل عبرها إلى أنّ (أمر الله) هو يوم القيامة الذي هو أمر.

ثالثاً: الإشارة الزمانية عبر أسماء الإشارة:

لا تقتصر دراسة الإشارات الزمانية على الظروف الزمانية (الزمان الكوني) والصيغ الفعلية مع السياق (الزمن النحوي) فقط، بل قد تشترك أسماء الإشارة في هذا المضمار وهذه الإشارات تدل على وجود تطابق زمني بين زمان إجراء الإشارة، و زمان إلقاء الخطاب، و زمان وجود المشار إليه.

1 نرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة المقامية، ص349

ويمكن بيان ذلك عبر معالجات ابن عاشور ومنها تفسير قوله تعالى : ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴾¹، قائلاً : " وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْمَشْهَدِ الَّذِي يُشَاهِدُونَهُ مِنْ حُضُورِ النَّاسِ وَمَعْدَاتِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بِالْجَزَاءِ وَالْإِفْخَارِ عَنْ اسْمِ الْإِشَارَةِ بِأَنَّهُ يَوْمُ الْفَصْلِ) بِاعْتِبَارِ أَنَّهُمْ يَتَصَوَّرُونَ مَا كَانُوا يَسْمَعُونَ فِي الدُّنْيَا مِنْ مُعَاجِزَةٍ عَلَيْهِمْ لِإِثْبَاتِ يَوْمٍ يَكُونُ فِيهِ الْفَصْلُ وَكَانُوا يُنْكِرُونَ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَمَا يَتَعَذَّرُونَ بِمَا يَقَعُ فِيهِ، فَصَارَتْ صُورَةُ ذَلِكَ الْيَوْمِ حَاضِرَةً فِي تَصَوُّرِهِمْ دُونَ إِيمَانِهِمْ بِهِ، فَكَانُوا الْآنَ مُتَهَيِّئِينَ لِأَنْ يُوقِنُوا بِأَنَّ هَذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ بِمُلُوكِهِ، وَقَدْ عُرِفَ ذَلِكَ الْيَوْمُ مِنْ قَبْلُ بِأَنَّهُ يَوْمُ الْفَصْلِ ... أَيِ الْقَضَاءِ وَقَدْ رَأَوْا أَهْبَةَ الْقَضَاءِ "².

يرصد من قول المفسر إن اسم الإشارة (هذا) يشير إلى يوم الفصل وهو يوم القيامة، وأن هذه الإشارة قد تمت بحضور المتكلم والمخاطبين وتم التلفظ بها في الزمان والمكان أعينهما ؛ إذ يتمثل في يوم القيامة مع مشاهدته، وقد أشير إلى يوم الفصل بـ (هذا) الذي يستعمل للإشارة إلى قرب المكان، ما يوحي إلى الأذهان أن الناس حاضرون وقريبون من مشاهد يوم القيامة حتى يدركوا بعقولهم ويشاهدوا بعيونهم ؛ لأن الحضور قد يدل على الحضور العيني أو الذهني، إلى أن يوقنوا بصدق تحقق وقوع ذلك اليوم على الرغم من تكذيبهم وقوعه حينما كانوا في الحياة الدنيا، وهذا الأمر ليس خافياً على المخاطبين ؛ فصورة ذلك اليوم كانت حاضرة في مخيلتهم مما كانوا يسمعون في الدنيا من آيات قرآنية وأقوال تثبت وقوع يوم الفصل، وهذا الطرح يقترب تماماً مما جاء به التداوليون حينما أكدوا أن مثل هذه الخطابات التي تتم بين المتكلم والمخاطب تركز على علاقة قديمة تسبق عمل التلفظ وحدث التخاطب .

1المرسلات 38

2 ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 29، ص 407.

خاتمة

خاتمة:

بعد الدراسة والبحث في تفسير من تفاسير القرآن، والرحلة الطويلة من السعي إلى اكتشاف المقاربات التداولية في تفسي التحرير والتنوير، وجدنا في مواطن عدة تقاربا بين ما ذهب إليه ابن عاشور صاحب التفسير، وما تبناه علماء التداولية، وذلك عبر آليات المنهج التداولي بمفهومه المعاصر على معالجات المفسر وتحليلاته، ويمن أن نشير إلى ما يمكن عده نتاج تمخضت عنها هذه الأطروحة:

- ❖ يقترب الفكر التداولي من الفكر التفسيري لابن عاشور في أن ضمير الملك المؤدي إلى معنى الانفراد في التصرف يدل على سلطة المتكلم في الخطاب التي يتم عبرها إنجاز الأفعال الكلامية والتأثير في المرسل إليه.
- ❖ إن لسياق الحال (أسباب النزول) المرافق للنص أثره الخاص في الكشف عن طبيعة النص مع الحدث (الظرف الذي نزل فيه) إذ يكشف عن تفاعل النص مع المخاطبين على نحو خاص.
- ❖ أدرك المفسر أن الأسلوب القرآني قد ينزل المعنى الذهني منزلة المعنى الحسي عبر إشارته إليه إشارة تعود إلى ذات مستحضرة من الكلام بعد أن يذكر من صفاتها ما ينزلها منزلة الحاضر في ذهن المتكلم والسامع وهو ما يدرك عبر معالجة ابن عاشور ضمائر الحضور المتمثلة بأسماء الإشارة.
- ❖ جعل المفسر الخطاب القرآني في بعض المواضع مرهونا بمعهود العرب لهذا الخطاب وإلى أسسه اللغوية، حتى عُد ضابطا منهجيا في قراءة الخطاب الديني، وقد تجلّى ذلك في وقوفه على لفظة (البيت) وتحولها الدلالي من اسم الجنس إلى اسم العلم الخاص بمكان (الكعبة المشرفة).
- ❖ تبلور مفهوم الملاءمة عند علمائنا في الموروث العربي الإسلامي قبل علماء التداولية وبالخصوص عند ابن عاشور وإن أطلق عليه لفظ (المطابقة).

❖ انبنى التقديم في تفسير ابن عاشور على افتراض مسبق أن المتكلم يلجأ أحياناً إلى تغيير مواقع التركيب بناء على أهمية ذلك المقدم المنضوي على معنى تداولي توجهه ملايسات الخطاب وأغراضه.

❖ إن التعريف مفهوم تواصل يقيم على علاقة تخاطبية تبنى على المعلومات المتبادلة بين المتشاركين في عملية التواصل وعلى الذاكرة المستمدة من التخاطب والسياق المقالي والمقامي لتعيين العنصر المعروف في البنية التركيبية.

❖ مثلت الخلفية المعرفية مرجعية مهمة عند المفسر فهي - بوصفها مقدمات ضمنية في العملية الاستدلالية التي يجريها المخاطب - تتدخل لتوليد المعنى المستلزم من المعنى الحرفي.

❖ حاول المفسر تفسير بعض الآيات القرآنية بناء على آليات التحليل التداولي، واعتماد النظر الى المعطيات اللغوية التي تتضمن بعض المعلومات المشتركة والمعارف المسبقة التي تمكن المتكلم من إنتاج التراكيب اللغوية من دون أن يحدث سوء فهم من جهة المتلقي.

ملحق

ملحق:

➤ سيرة الطاهر ابن عاشور وأهم المناصب التي تقلدها:

محمد الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام، وأستاذ البلاغة والتفسير في جامع الزيتونة، عضو مجامع اللغة العربية، حياته حافلة بشؤون العلم والإدارة، رجل إصلاح صاحب شخصية فذة.

اسمه ونسبه ومولده¹:

هو محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور، وأمه فاطمة بنت الشيخ الوزير محمد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن محمد بو عتور، أصل عائلته بلاد الأندلس، ثم انتقلت إلى "سلا" ببلاد المغرب، ثم إلى تونس.

ولد الشيخ ابن عاشور بقصر جده لأمه بالمرسى في جمادى الأولى (1296 هـ، 1879م) وهو من عائلة عريقة في العلم، وطبقة اجتماعية رفيعة، فجده لأبيه كان قاضي الحاضرة التونسية، وجده لأمه العلامة الوزير الشيخ محمد العزيز بو عتور².

عصره:

عاصر الطاهر بن عاشور أسوء حقبة مرّت بها الأمة العربية والإسلامية، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ودينيا، هذه الحقبة العvisية التي غدت فيها أقطار العروبة الإسلام مستعمرات تابعة للقوى الاستعمارية سوى بعض المقاطعات التي بقيت تابعة اسميا للخلافة العثمانية، وقد شهدت تونس في الحقبة التي ولد فيها اضطرابات وفوضى سياسية، الفوضى التي انعكست على جوانب كثيرة اجتماعيا واقتصاديا وأخلاقيا... وعمّ الجهل وسيطرت الخرافة

1 ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، ضبطه: د. طه بن علي بوسريج التونسي، دار السلام، القاهرة، ط 1 2006 م، ص 7.

2 د. حسن عبد الجليل عبد الرحيم، نهج ابن عاشور في الاحتجاج بالقراءات القرآنية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية م 21 العدد الأول 2005، ص 368.

والبدع على أذهان العامة، وتفشت الأمية بين أفراد المجتمع، وفي ظل الظروف المتردية ولد ونشأ وتعلم ودعا وكتب ووعظ... الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، وبسبب خطورة الأوضاع وتردي الأحوال، تصدّت الحركات الإصلاحية في جميع الأرجاء، توقظ الضمائر، وتنير السبل، فتكوّنت عوامل للنهضة وإخراج جيل من المصلحين، على غرار الطاهر بن عاشور¹.

حياته العلمية:

اهتمّت عائلة ابن عاشور بابنها اهتماماً دينياً وتربوياً، فقد نشأ في كنف جده لأمّه الشيخ الوزير بوعتّور، وبعناية والده محمد بن عاشور.

بدأ بحفظ القرآن الكريم في السادسة من عمره في بيته وفي الكتاب، وتلقّى أساسيات العربية والدين على يد كبار علماء عصره، فدرس على أيديهم كتب المنطق والبلاغة والنحو والحديث والسيرة².

التحق بجامعة الزيتونة في الرابعة عشرة من عمره، والتي دامت هذه الفترة سبع سنوات، تكوّنت فيها شخصيته العلمية والتي من أهمّها³:

• **المنطق:** درس السّلم في المنطق لعبد الرحمان محمد الصغير، والتّهذيب لسعد الدين التفتازاني.

1 ينظر: د. أحمد العيساوي، العلامة المجدد والداعية المصلح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وأثره في الحفاظ على التراث العربي والإسلامي، د. أحمد العيساوي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد الثالث 2003 م، ص 101-102.

2 ينظر: د. حسن عبد الجليل عبد الرحيم، نهج ابن عاشور في الاحتجاج بالقراءات القرآنية، ص 368.

3 ينظر: مشرف بن أحمد جمعان الزهراني، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه - التحرير والتنوير، أطروحة علمية مقدمة لنيل درجة دكتوراه، جامعة أم القرى، ص 20-22.

- **البلاغة:** فقد درس شرح السعد التفتازاني على التلخيص، وكذلك شرحه المطول على التلخيص، وشرح الرسالة السمرقندية.
- **النحو:** حيث درس ألفية ابن مالك بشروحها التي منها: التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهرى، وكذلك شرح المكوّدي، وشرح الأشموني، ومغني اللبيب لابن هشام وغيرها ...
- **السيرة:** فقد درس الشفا للقاضي عياض وشرحه لشهاب الدين الخفاجي.

شيوخه:

من خلال عرض أهم العلوم التي تربى عليها ابن عاشور، يتجلى أنّ هناك رجال كان لهم الأثر البالغ في تكوين شخصيّة هذا الأمام الفذّ، وشيوخه كثر لا حصر لهم، إلا أنّنا نسلط الضوء على أهم شخصيتين كانا لهما النصيب الأوفر من الشهرة في ذلك الزمن، ويشهد لهما الجميع بالمكانة العلمية الرائدة وهما¹:

- 1- الشيخ سالم بوحاجب (ت 1924 م) أحد المصلحين والعلماء الأذكياء، وقد عُرف بنباهته وتميّزه، وهذا ما جعل ابن عاشور يلازمه ويقراً عليه مثل: (صحيح البخاري) بشرح القسطلاني، كما قرأ عليه من كتاب (شرح الزرقاني على موطأ مالك).
- 2- الشيخ محمّد العزيز بوعتّور جدّه والدّي كان له عناية واهتمام بالحفيد، فقرأ عليه مجموعة من أمّهات الكتب.

1 ينظر: ابن عاشور، مقدّمة كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، ص 8.

تلاميذه:

تتلمذ على يد الإمام ابن عاشور الصّغار والكبار، وانتفع به الغريب والقريب، فقد عمّر طويلاً وبارك الله له في عمره، ومن أشهر تلاميذه¹:

1- العلامة محمّد الفاضل بن عاشور.

2- محمّد الحبيب بن خوصة.

3- الشيخ عبد الحميد بن باديس.

مكانته العلمية:

قال فيه العلامة المصلح الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي (ت1965م): "علم من الأعلام الذين يعدّهم التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام متبحّر في العلوم الإسلاميّة، مستقلّ في الاستدلال، واسع الثّراء من كنوزها فسيح الدّرع بتحملها، نافذ البصيرة في معقولها، وافر الاطلاع على المنقول منها، أقرأ وأفاد، وتخرجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي"².

وقال الدّكتور عبد الرحمن العثيمين: "من أفاضل الرّجال في عصرها، أدركته ولم يقدر لي رؤيته، وهو بلا شك من محاسن العصر، ونوادر الرّجال، رئيس المفتين في تونس، وشيخ جامع الزيتونة بها، خلف مكتبة حافلة بنوادر المخطوطات والمطبوعات، وألف آثاراً جليّة"³.

وقال فيه شيخ الأزهر العلامة المحقّق قرينه في الدّراسة محمّد الخضر حسين: "وللأستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان، ويضيف غزارة العلم، وقوّة النّظر، صفاء الذّوق وسعة الاطلاع في آداب العربيّة ... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه، وسماحة آدابه بأقل من إعجابي

1 ينظر: المرجع السابق، ص 9-10.

2 ابن عاشور، مقدمة كشف المغطى من المعاني والالفاظ الواقعة في الموطأ، ص 10.

3 المرجع نفسه، ص 10.

بعبريته في العلم"¹، وقد سمّاه الشيخ "محمّد عبده" (ت) منذ ريعان شبابه في أوائل القرن العشرين (سفير الدّعوة في الجامعة الزيتونية)².

آثاره العلمية:

خلف الطّاهر بن عاشور إرثا علميا وزادا معرفيا، وذلك راجع إلى التّنشئة العلميّة مثلما أشرنا إليه سابقا، فمن مؤلّفاته:

- 1- أصول الإنشاء والخطابة.
- 2- المترادف في اللّغة.
- 3- تحقيقات وأنظار في القرآن والسّنة.
- 4- كشف المغطّى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ.
- 5- أليس الصبح بقريب.
- 6- التّحرير والتّنوير.
- 7- قصة المولد النبوي الشريف.
- 8- مقاصد الشريعة الإسلامية.
- 9- موجز البلاغة.
- 10- الوقف وأثره في الإسلام.
- 11- النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح.
- 12- النظام الاجتماعي في الإسلام.

المناصب التي تقلدها:

طرق الشّيخ الإمام باب التّدرّيس في الجامعة الزيتونية، وترقّى في سلّم المناصب ممّا أهّله أن يكون من ذوي الرّتب العليا حتى أصبح مقدّما بين أقرانه، كما تمرّس إلى جانب ذلك بالأعمال

1 المصدر السابق، ص 10.

2 ينظر: د. جبران محمد المسعود، نهج الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في إصلاح التعليم الإسلامي، مجلة كلية الدعوة، العدد الخامس 1988، ص 201.

الإدارية، فعين مرّات عدّة في مجلس إصلاح التّعليم بجامعة الزيتونة، ثمّ قاضيا أو كبير أهل الشّورى في المجلس الشّرعي، وباشر مشيخة الجامع الأعظم في هذه السّنوات (1932-1933) و (1945-1952)، ثمّ عين شيخا للإسلام على المذهب المالكي عام 1933م، وإثرا لاستقلال التونسي عين عميدا للجامعة الزيتونية من سنة (1956 إلى 1960)، ولتبحّره في العربية ومختلف العلوم، انتخب عضوا بالمجمّعين: مجمّع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1950 م، والمجمّع العلمي العربي بدمشق سنة 1955 م¹.

وفاته²:

أفنى الشيخ - رحمه الله - عمرًا قضاه ما بين البحث والتدريس والتأليف، توفي - رحمه الله - يوم الأحد 13 رجب سنة 1393 هـ 1973 م.

1 ينظر: جبران محمد مسعود ، منهج الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في إصلاح التعليم الاسلامي، ص 200-203.

2 ينظر: حسن جليل عبد الرحيم، نهج ابن عاشور في الاحتجاج بالقراءات القرآنية، ص 368.

فهرس الآيات



فهرس الآيات

الرقم	الآية	رقم الآية	البقرة
1	﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	02	البقرة
2	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	7-6	البقرة
3	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾	12-11	البقرة
4	﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾	107	البقرة
5	﴿ وَاتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكِ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَٰلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾	196	البقرة
6	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾	186	البقرة
7	﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴾	286	البقرة
8	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا ﴾	34	البقرة

البقرة	109	﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهَ بِأَمْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ ﴾	9
البقرة	41	﴿ وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ۚ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ۝ ﴾	10
البقرة	67	﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ۖ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝ ﴾	11
البقرة	39-38	﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝ ﴾	12
البقرة	61	﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا ۖ ﴾	13
البقرة	219	﴿ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ۖ ﴾	14
البقرة	139	﴿ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ ۖ ﴾	15
البقرة	119	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْتَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ۝ ﴾	16
البقرة	285	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي ۖ ﴾	17
البقرة	163	﴿ وَاللَّهُمَّ إِلَهَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۖ ﴾	18
البقرة	102	﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝ ﴾	19
البقرة	189	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۚ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ۚ وَأَنْتُمْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ ﴾	

آل عمران	43-42	﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾	20
المائدة	63	﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾	21
المائدة	112	3. ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ۚ﴾	22
المائدة	90	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾	23
الأنعام	7	﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَفُضِيَ الْأَمْرُ﴾	
الأنعام	151	﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَزَرُكُمْ وَيَأْتُهُمْ﴾	24
الأنعام	38	﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ ۚ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾	25
الأنعام	80	﴿قَالَ أَتُحْجُونَنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾	26
الأعراف	172	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۖ شَهِدْنَا﴾	27
الأنفال	33	﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾	28
التوبة	68	﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾	29
هود	37-36	﴿وَأَوْحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ وَاصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۚ إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾	30

يوسف	51	﴿ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَوَدْتَن يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْغَن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾	31
الحجر	9	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾	32
النحل	1	﴿ أَنَا أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾	33
الإسراء	31	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾	34
الاسراء	47	﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾	35
الكهف	14-13	﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۖ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ۖ لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴾	36
مريم	40	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾	37
مريم	93	﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴾	38
طه	18-17	﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾	39
طه	123	﴿ فَأَمَّا يَا بَيْنَكُمْ مَنِي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾	40
الأنبياء	63	﴿ فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾	
الأنبياء	102	﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴾	41
الحج	19	﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رِيهْمَ فَأَلْزَمَهُم كَافِرُوا قَطَعَتْ هُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴾	42
المؤمنون	16	﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾	43

المؤمنون	24	﴿ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي مَآبَاتِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾	44
النور	22	﴿ أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾	45
الشعراء	19	﴿ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾	46
يس	12	﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾	47
السجدة	12	﴿ وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴾	48
السجدة	13	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَا بَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدْنَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾	49
ص	23	﴿ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾	50
الحجرات	12	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾	51
ق	16	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ○ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ○ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ○ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ○ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ○ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ○ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾	52
ق	43	﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴾	53
المجادلة	02	﴿ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِّسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ ○ إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ ﴾	54

55	﴿ مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾	07	الحشر
56	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾	10	الصف
57	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ۚ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	11-10	الصف
58	﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتُ فَرجَهَا فَنفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنَ الْقَاتِنِينَ ﴾	11	التحریم
59	﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ ۚ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾	10	التحریم
60	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا ﴾	23	الانسان
61	﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴾	38	المرسلات
62	﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴾	26	القيامة
63	﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ ۚ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾	37	النبا
64	﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾	13	الشمس



قائمة المصادر

والمراجع

✚ القرآن الكريم برواية حفص.

المصادر والمراجع:

✚ إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دراسة تطبيقية للسور المكية دار قباء للطباعة والنشر د ت.

✚ ابن تيمية، الرسالة التدمرية، تحقيق محمد بن عودة السعودي، مكتبة العبيكان، ط 6، 2000.

✚ ابن خالويه، الحجة في القراءات السبع، دار الشروق، بيروت، 2007.

✚ ابن رشيق القيرواني، كتاب العمدة، مطبعة السعادة، القاهرة، 1907.

✚ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب دار صادر، بيروت، د ط، د ت.

✚ ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك، تح محمد محي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية. صيدا، بيروت. لبنان، د ط، د ت.

✚ ابن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح خفي محمد شرف، جامعة بغداد، ط 2، 2015.

✚ أبو البقاء الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، -1998.

✚ أبو الفتح ضياء الدين ابن الاثير الكاتب، المثل السائر ج 2، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، سنة 2017.

✚ أبو الوليد الباجي، المنهاج في ترتيب الحجاج، تح عبد المجيد تركي، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان ط 03.

✚ أبو جعفر محمد بن جري الطبري، جامع البيان في تأويل أي القرآن (تفسير الطبري)، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط 1 2001.

✚ أبو حيان الأندلسي، التذيل والتكميل في شرح كتاب التسهيل، ط 1، 1998.

✚ أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف تفسير البحر المحيط، تح عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت ط 01 سنة 1993.

أبو داود السجستاني، سنن أبي داود، تح شعيب الأرناؤوط، دار الفكر دمشق، 1979.
أحمد بن فارس، مجمل اللغة، تحقيق الزهير عبد المحسن سلطان، دار مؤسسة الرسالة، ط2.

أحمد العيساوي العلامة المجدد والداعية المصلح الشيخ محمد الطاهر بن عاشور وأثره في الحفاظ على التراث العربي والإسلامي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد الثالث 2003 م.

أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة، دراسة في التنميط والتطور، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 1433هـ 2012م.

أحمد المتوكل، ينظر قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، دار الأمان.
أحمد بن عبد النور المالقي، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تح أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق، د ط دت.

أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، ط2، 1979

أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، معجم مقاييس اللغة، ج4، دار الفكر، سنة 1979 م.

أحمد محمد فارس، النداء في اللغة والقرآن، دار الفكر اللبناني بيروت، لبنان، ط1 1989.

أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، العراق، 1984 م.

إدريس مقبول، التحليل التداولي عند الطاهر بن عاشور من خلال تفسيره، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، المغرب، 2009.

الأزهر الزناد، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، المركز الثقافي العربي، 2010.

- الأزهري، أبو منصور محمد بن محمد، تهذيب اللغة، تح يعقوب عبد الله ومراجعة محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة، د ط - د ت، مادة (دول)
- بشرى البستاني، التداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، لندن، ط، 2012.
- بول ريكور، نظرية التأويل - الخطاب وفائض المعنى -، تر سعيد غانمي، المركز الثقافي العربي، 2003.
- بومناش الرحموني، الضوابط التداولية للنص الديني التفسير أنموذجاً، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، 2002.
- بن عيسى عسو آراييط، الخطاب اللساني العربي هندسة التواصل الإضماري، عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن، 2012.
- بيير بورديو، الرمز والسلطة، دار توبقال للنشر، 1990.
- تزيفتان تودوروف، المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث، تر عبد القادر قنيني، دار افريقيا الشرق، 2001
- تمام حسان، التداولية اللغة العربية معناها ومبناها، دار الهدى للنشر والتوزيع، القاهرة، 2000، 241-242.
- تمام حسان، المصطلح البلاغي القديم في ضوء البلاغة الحديثة (مقال) جملة فصول، مج 7، ع 3 و 4، 1987.
- حافظ إسماعيل علوي، التداوليات، علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، الأردن، 2014، ص 333، ص 333.
- حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، افريقيا الشرق المغرب، د ط. 2004
- حسن بدوح، المحاوره مقارنة تداولية، ط 1 عالم الكتب الحديث، الأردن. 1991
- حواس بري، المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، المؤسسة العربية لدراسات بيروت 2002.
- خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة - دراسة نحوية تداولية، 2001.

- ✚ الخطيب القزويني محمد بن عبد الرحمن جلال الدين، الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع ط العلمية، دار الكتب العلمية، القاهرة، 1953.
- ✚ الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مكتبة الباز، 2009.
- ✚ الرماني، الجنى الداني في شرح حروف المعاني، تحقيق الشيخ عرفان الدمشقي، المكتبة العصرية، بيروت، ط 1، 2005.
- ✚ رمضان عبد التواب، مشكلة الهمزة في العربية، ط 1، مكتبة الخانجي، مصر.
- ✚ الزواوي بغورة، الفلسفة واللغة نقد المنعطف اللغوي في الفلسفة المعاصرة، دار الطليقة للطباعة والنشر، بيروت لبنان ط 1، 2005.
- ✚ ستار جبر حمود الأعرجي، مناهج المتكلمين في فهم النص القرآني، المركز الاسلامي للدراسات الاستراتيجية، ط 2، 2009.
- ✚ سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني - بيروت - 1985.
- ✚ صابر الحباشة، التداولية والحجاج مداخل ونصوص، مركز صفحات للدراسات والنشر.
- ✚ طاهر سليمان حموده، ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، سنة 1988.
- ✚ طه عبد الرحمن في أصول الحوار وتجديد على الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ط 02، سنة 2000.
- ✚ عادل فاخوري، محاضرات في فلسفة اللغة، دار الكتاب الجديد، ط 1، 2012.
- ✚ عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار نهضة، مصر، سنة 1377.
- ✚ عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2009.
- ✚ عبد السلام المسدي، ما وراء اللغة بحث في الخلفيات المعرفية، دار المعرفة، تونس، 2004.

عبد السلام عشير، عندما نتواصل تغير، مقارنة تداولية معرفية لآليات التواصل والحجاج، دار افريقيا الغرب، ط 02، عام 2012.

عبد السلام هارون، البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 7، 1357 م.

صلاح إسماعيل عبد الحق، التحليل التداولي عند مدرسة أوكسفورد، دار التنوير لطباعة والنشر، 1993.

عبد العزيز الكنانى، الحيدة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 2005

عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، 2009.

عبد الله صولة، الحجاج في القرآن من خلال أم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، 2001

عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب - مقارنة تداولية لغوية، دار الكتب العلمية، ط 1، 2004

عطية محمد سالم، تنمة أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي محمد الأمين دار عالم الفوائد ط 02، 1980 ج 08.

علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، سنة 1983م.

علي محمود حجي الصراف، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة - دراسة دلالية ومعجم سياقي -، مكتبة الآداب، مصر، 2010.

عمارية حاكم، الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغوي، دراسة لسانية تداولية في الخطابة العربية أيام الحجاج بن يوسف الثقفي دار الصماء، دمشق، ط 01، 2015.

عمر بن عثمان بن قنبر الحارثي الملقب سيبويه، الكتاب، تح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 434.

عمر فاروق، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت لبنان ط1

✚ عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء الملقب بسيبويه، الكتاب، مكتبة الخانجي، ط3، سنة 1988.

✚ العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، ط1، 2011.

✚ فاضل صالح السامرائي، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل – جمعية عمال المطابع التعاونية دار عمار.

✚ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مؤسسة الرسالة، د ط، د ت، 2006.

✚ مجدي الكيلاني، تاريخ الفلسفة اليونانية كتطور هام، دار التنوير، ط1، 2008.

✚ محمد أحمد نحلة، أفق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر.

✚ محمد الأخضر صبحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقاته، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط01، سنة 2008.

✚ محمد الطاهر بن عاشور تفسير التحرير والتنوير " تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد"، الدار التونسية للنشر، تونس، د ط، 1984.

✚ محمد الطاهر بن عاشور، كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، ضبطه د. بطة بن علي بوسريج التونسي، دار السلام، القاهرة، ط1 2006 م.

✚ محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، الغرب، ط1، 1999.

✚ محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، مدخل نظري وتطبيق لدراسة الخطابة العربية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط2، 2002.

✚ محمد بن أحمد الخوارزمي، مفاتيح العلوم، الطباعة المنيرية، مصر.

✚ محمد بن أحمد جهلان، فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، ط1، دار القدس للطباعة.

✚ محمد بن اسماعيل صحيح البخاري، دار ابن كثير، لبنان، بيروت.

✚ محمد بن الحسن الإستراباذي السمنائي، شرح الرضي لكافية ابن الحاجب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط1، سنة 1966.

✚ محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تح محمد عبد الخالق عزيمة، وزارة الأوقاف المصرية، ط1، 1994، ج2.

✚ محمد جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، تح محمد فؤاد عبد الباقي دار أحياء الكتب العربية ط 01 سنة 1957، ج 04.

✚ محمد حسن عبد العزيز، المصاحبة في التعبير اللغوي، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، م1990

✚ محمد حسين علي الصغير، مجاز القرآن: خصائصه الفنية وبلاغته العربية، دار المؤرخ العربي، ط1، 1999.

✚ محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة - بحث في بلاغة النقد المعاصر -، دار الكتاب الجديد، 2008.

✚ محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، كشف اصطلاحات الفنون، ت ح على دحروش، مكتبة ناشرون-بيروت، 1996.

✚ محمد يونس علي، مقدمة في علم الدلالة والمخاطب دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، ط 1، سنة 2004.

✚ محمد مفتاح، دينامية النص (تنظير وإنجاز)، المركز الثقافي العربي، 1990.

✚ محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر دار المعرفة الجامعية الإسكندرية د ط، 2002، ص 09.

✚ محمود بن عمر الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة.

✚ محمود عكاشة، النظرية البراغماتية اللسانية التداولية، - دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ، مكتبة الآداب، 2013.

- ✚ مراد سليمان محمد إمام، علم اللغة النصي، ج1، ديوان أبي إسحاق الألبيري.
- ✚ مرادي، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1992.
- ✚ مسعود صحراوي، التداولية عند العرب – دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة بيروت ط 1 سنة 2005.
- ✚ مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، ط 1 سنة 1991.
- ✚ معمر منير العاني، تجليات النقد اللغوي المعاصر في خطاب التفسير، عالم الكتاب الحديث، ط1، الأردن، 2014.
- ✚ منذر العياشي، اللسانيات والدلالة، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1996.
- ✚ مهدي المخزومي، في النحو العربي نقد وتوجيه، دار الرائد، لبنان، ط 2، 1986
- ✚ موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل، تح إبراهيم محمد عبد الله، دائرة الكتب العلمية، ط2، 1981.
- ✚ مؤيد عبید آل صوينت، الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ط 2009.
- ✚ نادية رمضان النجار، الاتجاه التداولي والوظيفي في الدرس اللغوي، مؤسسة حورس الدولية، 2013.
- ✚ نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، 5 دار الكتاب العالي، 2005.
- ✚ يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي، مفتاح العلوم، تح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، دمشق، ط 2، 1987.

المراجع المترجمة:

- ✚ أبو نصر الفارابي، الألفاظ المستعملة في المنطق، تح، محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، 2008.
- ✚ أرسطو طاليس، الخطابة (الترجمة العربية القديمة)، تح عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت لبنان، وكالة المطبوعات، الكويت، د ط سنة 1979 م.
- ✚ آن روبول، وجاك موشلار، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، ترجمة سيف الدين دفعوس ومحمد الشيباني، مراجعة لطيف زيتوني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2003.
- ✚ أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة - كيف ننجز الأشياء بالكلمات - ترجمة عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، ط 1991.
- ✚ جيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تر محمد يحياتن ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر د ط - د ت.
- ✚ دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة محمد يحياتن، منشورات الاختلاف الجزائر، ط 1، 2008.
- ✚ منشورات الاختلاف الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط 1، 2008.
- ✚ ديان ماك دونيل، مقدمة في نظريات الخطاب، تر الدكتور عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية - مصر، الطبعة العربية الأولى، 2001.
- ✚ طالب سيد هاشم الطبطبائي، نظرية الأفعال الكلامية العامة بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، تر عبد القادر قنيني، دار افريقيا الشرق، 1991.
- ✚ فان دايك، علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر سعيد حسن بحيري.
- ✚ فان ديك، النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي ترجمة عبد القادر قنيني افريقيا الشرق الدار البيضاء الغرب ط 2000.
- ✚ فرانثيسكو يوس راموس، مدخل الى دراسة التداولية، الفرع الأكاديمي كتب ودراسات.

- ✚ فرنسواز أرمينكو، المقاربة التداولية، تر سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، 1987.
- ✚ فولفغانغ إيزر، فعل القراءة - نظرية جمالية التجاوب في الأدب، تر عبد الوهاب علوب، دار الخليج، 1995.
- ✚ فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، ترجمة صابر الحباشة دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية - سورية ط 1 2007.
- ✚ ميشيل فوكو، حفريات المعرفة، مكتبة طريق العلم، الطبعة 1987، 2، تر سالم يفوت.

المقالات:

- ✚ أبو بكر العزاوي، الحجاج والمعنى الحجاجي مقال ضمن كتب التحاجج ومجالاته ووظائفه، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، المغرب ط 1، 2006
- ✚ بن عيسى عبد الحليم، - " مصطلح التداولية " في الدراسات العربية المعاصرة بين التلقي والتأسيس - قراء تحليلية نقدية - بحث في المجلة الأكاديمية لدراسات الاجتماعية والإنسانية.
- ✚ جميل حمداوي، التداوليات وتحليل الخطاب (بحث)، ط 1 الألوكة.
- ✚ حساني سهيلة، الأبعاد التداولية في تفسير القرآن الكريم، بحث مجلة الخليل في علوم اللسان.
- ✚ لخوش جار الله، التأشير والتباعد بين القدماء والمحدثين، مقاربة تداولية، جامعة صلاح الدين، العراق، بحث 2015.
- ✚ محمد عبد الجابري، أشكال المعنى من الاستعارة إلى الاستلزام الحوارية بحث (شبكة المعلومات)
- ✚ مجموعة باحثي، البحث اللساني والسينمائي، ندوة سنة 1981 منشورات كلية الآداب والعلوم الإسلامية بالرباط، المغرب، الطبعة الأولى، 1984 (بحث).
- ✚ وفاء بن يوسف، حدة رواحية، ملامح تداولية نصية في سورة الحجر من تفسير التحرير والتنوير، بحث (حوليات جامعة قالمة).

- ✚ حسن أعراب، الحجاج والاستدلال الحجاجي عناصر استقصاء نظري جملة عامة الفكرة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، والآداب بالكويت ع 01، مج 30 يوليو، سبتمبر 2010.
- ✚ شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، دار الرؤى للنشر والتوزيع، المغرب.
- ✚ على الشبعان، الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، بحث في الاشكال والاستراتيجيات، دار الكتاب الجديدة بيروت، ط 1 2010.
- ✚ كلاوس برينكر، التحليل اللغوي للنص - مدخل الى المفاهيم الأساسية والمناهج -، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005.
- ✚ محمد الزليطي، ليلي آل حماد، المقاربة التداولية قضية لغوية، جامعة الملك سعود، السعودية 1428م، ص 42
- ✚ مريم فرنسيس، في بناء النص ودلالاته، وزارة الثقافة، سورية، 1998.
- ✚ ميشال زكرياء، المؤسسة الجامعية لدراسات، ط 1 الألسنية المبادئ والإعلام.
- ✚ نرجس باديس، المشيرات المقامية في اللغة العربية، مركز النشر الجامعي.
- ✚ هشام الريفي، الحجاج عن أرسطو ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. دار النشر المكتبة العلمية، ط 1، 2010.

المجلات والدوريات:

- ✚ جبران محمد مسعود، منهج الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في إصلاح التعليم الاسلامي، مجلة كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا ع 5.
- ✚ حسن عبد الجليل عبد الرحيم، نهج ابن عاشور في الاحتجاج بالقراءات القرآنية، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية م 21 العدد الأول 2005.
- ✚ رشيد الراضي، الحجاجيات اللسانية عند أنسكومبر وديكرو، ط 1، الكويت، 2005.
- ✚ رولان بارت قراءة جديدة في البلاغة القديمة نقلا عن محمد سال ولد محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند برلمان (مقال) مجلة عالم الفكر.

✚ سامي الرشواني، الاتجاه المقاصدي في تفسير ابن عاشور، المكتبة الشاملة، مقال منشور على شبكة المعلومات.

✚ سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، مجلة الموقف الأدبي - دمشق، العدد 336، 1999.

✚ شيتز رحيمة، تداولية النص الشعري جمهرة أشعار العرب نموذجاً، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009.

✚ صلاح إسماعيل، النظرية القصصية في المعنى عند غرايس، حوليا الآداب والعلوم الاجتماعية، الكويت، الرسالة 230، 2005.

✚ عادل فاخوري، الاقتضاء في التداول اللساني، مجلة عالم الفكر 04، 2004.

✚ عبد الرحمن مرعي، السور المكية في القرآن الكريم - مقارنة تداولية رسالة - دار الكتب العلمية، ط1، 2010.

✚ عيد يلعب، التداولية البحث الثالث في سيموطيقا موريس مجلة فصول القاهرة، العدد 66، 2005.

✚ كريم حسين ناصح الخالدي، مراعاة المخاطب في النحو العربي، مجلة المورد، العراق ✚ محمد سويرتي، اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي (مقال)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني الثقافي والفنون والأدب دولة الكويت مج 28 ع 3، يناير / مارس 2000.

الرسائل الجامعية:

✚ ابتسام بن خراف، الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة،

أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه علوم في اللغة، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009.

✚ عويسات عائشة، تواصلية الأسلوب في روميات أبي فراس الحمداني، (رسالة)، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر، 2009.

- ✚ قدور عمران، البعد التداولي في الخطاب القرآني الموجه إلى بني اسرائيل، رسالة دكتوراه جامعة الجزائر، 2008-2009.
- ✚ ليلي كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية - ظاهرة الاستلزام التخاطبي أنموذجا -، أطروحة دكتوراه علوم - تخصص علوم اللسان العربي -، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2015.
- ✚ مشرف بن أحمد جمعان الزهراني، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه - التحرير والتنوير -، أطروحة علمية مقدمة لنيل درجة دكتوراه، جامعة أم القرى.
- ✚ نسيمة نابي، مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانيات، رسالة ماجستير، جامعة مولود معمري الجزائر، 2011.

المراجع الأجنبية:

- ✚ D-maingueneau : pragmatique pour le discours litterie Austin، quand dire c'est faire، P 18 introduction
- ✚ Le grand 20 bert، dictionnaire de la langue franctoi – paris 1989 p 535.
- ✚ O، ducrat، le dire et le dit، edition minit.1984 p 30-31.
- ✚ Perlmer et tyteca : traite de l'argumentation p 05

فهرس المحتويات

شكر وتقدير

إهداء

أ مقدمة

7	مدخل: إضاءات على الطاهر بن عاشور وتفسيره
11	مفهوم الخطاب:
12	مفهوم الخطاب:
14	مفهوم الخطاب القرآني:
16	الخطاب القرآني والبعد التداولي:
16	التداولية: قراءة في المصطلح
17	اللسانيات التداولية "المفاهيم والأصول":
17	مفهوم التداولية لغة واصطلاحاً:
17	أ - المعنى اللغوي للتداولية:
19	ب - المعنى الاصطلاحي للتداولية:
20	مفهوم التداولية عند الغرب:
21	المعنى الاصطلاحي للتداولية عند العرب:
24	السياق ودرجات التداولية:
26	الأبعاد التداولية وتفسير التحرير والتنوير:

الفصل الأول: لأفعال الكلامية في التحرير والتنوير

30	تمهيد:
32	المبحث الأول: الأفعال الكلامية في الدرس اللغوي العربي:
32	أولاً: الأفعال الكلامية عند جمهور النحاة:
32	أ/ فعل الإغراء والتحذير:

33	ب/ فعل الاستغاثة والتدبة:
34	ج / فعل التأكيد:
35	د / حروف المعاني والأفعال الكلامية:
36	ثانيا / الأفعال الكلامية في البلاغة العربية:
37	الأشكال التداولية في البلاغة العربية:
37	أ - تداولية المتكلم في البلاغة العربية:
38	ب - تداولية المخاطب في البلاغة العربية:
38	1 - الحذف والافتراض المسبق:
39	2 - أسلوب الحكيم ومخالفة حال المخاطب:
40	ج - الالتفات وأثره على السامع:
41	ثالثا - الإنشاء والخبر ونظرية أفعال الكلام:
43	المبحث الثاني: الأفعال الكلامية في الدرس اللغوي الغربي:
44	أ. فكرة أفعال الكلام عند "أوستين" (Austin):
44	ب - تصنيف الجمل عند "أوستين" (Austin):
45	1. الأفعال الإخبارية، التقريرية، الوصفية:
45	2. الأفعال الإنشائية، الأدائية، الإنجازية:
47	شروط النجاح الفعل الكلامي لدى "أوستين" (Austin):
48	تصنيف "أوستين" (Austin) للأفعال الكلامية:
49	ثانيا: مرحلة البناء لنظرية الأفعال الكلامية:
49	تعديلات "سيرل" (Searle) على أستاذه "أوستين" (Austin):
53	المبحث الثالث: تجليات نظرية الأفعال الكلامية في التحرير والتنوير.....
53	الأفعال الإخبارية (التقريريات):
56	ب - وصف الكافرين:
57	د - وصف المنافقين:
64	2 - الأفعال التوجيهية (الطلبية):

67	ب - الأمر والنهي:
71	ج-الاستفهام:
76	3/-الوعديات (الالزاميات):
79	4 / التّعبيريات (الإفصاحيات):
82	5. الأفعال الإعلانية (التصريحيات):

الفصل الثاني: المنحى الحجاجي في تفسير التحرير والتنوير

88	تمهيد:
88	1/ المعنى اللغوي للحجاج:
90	2.1-المعنى الاصطلاحي للحجاج:
92	المبحث الأول: الحجاج في الدرس العربي:
92	1- الحجاج في الدرس العربي القديم:
93	1.2-الحجاج عند الجاحظ (ت 255 هـ):
94	1.3-الحجاج عند ابن وهب (ت 335 هـ):
96	2-الحجاج في الدرس العربي الحديث:
96	2.1 - فلسفة الحجاج عند طه عبد الرحمن:
98	2.2 - الحجاج البلاغي عند محمد العمري:
99	ضوابط النص الحجاجي وخصائصه:
100	أ - خاصية البناء والدينامية:
100	ب - خاصية التفاعل:
100	ويُعنى بها تفاعل المتلقي مع ما يعطى له وهو المحقق للوجود الفعلي للحجاج:
100	د - خاصية التأويل:
100	هـ - خاصية الاعتقاد:
101	و - خاصية الانتهاض إلى العمل:
102	1-الحجاج في الدرس الغربي القديم:

2 - مفهوم الحجاج عند الغرب حديثاً:	104
2.1 الحجاج عند (بيرلمان) و(تيتيكا):	104
2.2 - نظرية الحجاج عند "ديكرو" (ducrot) ، (أسكومبر):	106
3- الآليات اللغوية لتحليل الخطاب الحجاجي:	108
3.1.1- قوانين السلم الحجاجي:	110
3.1.1.1 قانون تبديل السلم (النفي):	111
3.2 - الروابط والعوامل الحجاجية:	112
المبحث الثالث: المنحى الحجاجي في التحرير والتنوير.	114
الحجاج وعلم التفسير:	114
الآليات الحجاجية في التحرير والتنوير لابن عاشور:	115
1 - الروابط الحجاجية:	115
1.1 الرّابط الحجاجي (بل):	116
1.2 - الرّابط الحجاجي "لكن":	119
1.3 الرّابط الحجاجي (حتى):	121
الرّابط الحجاجي (الواو):	122
2. لعوامل الحجاجية:	123
2.1 العامل الحجاجي (لا وإلا):	124
3. المناظرة:	125

الفصل الثالث: الاستلزام الحواري في التحرير والتنوير

تمهيد:	129
المبحث الأول: الاستلزام الحواري في المنجز العربي القديم:	130
أ/ ثنائية الخبر والإنشاء عند السكاكي (ت626 هـ):	130
ب/- المعاني الملتزمة عن الأسلوب الخبري:	131
3-تنزيل المنكر منزلة غير المنكر:	133
4 /-تنزيل المنكر منزلة السائل:	133

أ- إظهار الحرص في وقوع الفعل المطلوب:	134
ج - المعاني المستلزمة عن الأسلوب الإنشائي:	135
1/ المعاني المستلزمة عن التمني:	137
أ - التحضيض:	137
ب - الندم والتحسر والتلهف:	137
2/- المعاني المستلزمة عن الاستفهام:	137
3/- المعاني المستلزمة عن الأمر:	139
5/- المعاني المستلزمة عن النداء:	141
المبحث الثاني: الاستلزام الحوارى فى الدرس اللسانى الغربى:	142
أ/خصائص الاستلزام الحوارى:	143
1/-مبدأ التأذب (التهذيب):	149
أ-قاعدة التعفف:	150
ب-قاعدة التشكيك (التخيير):	150
ج-قاعدة التودد:	150

الفصل الرابع: الإشارات فى التحرير والتنوير

تمهيد:	166
المبحث الأول: الإشارات فى الدرس العربى القديم:	168
أ - الإشارات عند النحاة:	168
ب-الإشارات عند الفلاسفة العرب:	169
ج-الإشارات الاجتماعية عند علماء التفسير:	170
المبحث الثانى: الإشارات فى الدرس الغربى الحديث:	172
1. الإشارات الشخصية:	174
2. الإشارات المكانية:	175
3. الإشارات الزمانية:	175
4. الإشارات الخطابية:	176

178	5.الإشارات الاجتماعية:
182	المبحث الثالث: الإشارات في التحرير والتنوير
182	أ- الإشارات الشخصية:
183	أولاً: إشارات الحضور:
183	1 - ضمائر المتكلم:
187	2 - ضمائر المخاطب:
191	3 -أسماء الإشارة:
194	ثانياً: إشارات الغياب:
196	ب - الإشارات الزمانية:
197	أولاً: الإشارة عبر الزمان الكوني والزمن النحوي:
199	ثانياً: الإشارة عبر الزمن النحوي بعاملي الصيغ الفعلية والسياق التركيبي:
200	ثالثاً: الإشارة الزمانية عبر أسماء الإشارة:
203	خاتمة:
206	ملحق:سيرة ابن عاشور وأهم المناصب التي تقلدها
206	اسمه ونسبه ومولده:
206	عصره:
207	حياته العلمية:
208	شيوخه:
209	تلاميذه:
209	مكانته العلمية:
210	آثاره العلمية:
210	المناصب التي تقلدها:
211	وفاته:
211	فهرس الأيات:

المصادر والمراجع: 221

فهرس المحتويات: 237

ملخص:

1. الإشكالية المطروحة (السياق، الحادثة، أهمية الموضوع)

الإشكالية عالجت قضية الأبعاد التداولية و أثرها في فهم الخطاب القرآني لدى الطاهر بن عاشور من خلال مدونة التحرير و التنوير في محاولة منها إبراز تجليات هذه الأبعاد و مدى انعكاسها على عملية الفهم للنص القرآني و درست مدى انعكاس هذا الجانب على معالجات طاهر بن عاشور من خلال المدونة التفسيرية ذات الطابع التجديدي في الرؤية و الاجراء متأثرا بالدرسين اللغويين القديم و الحديث و مدى تأثير كل ذلك على مقبولية المتلقي، حيث أن محاولة التجديد تلك في معالجته للخطاب القرآني متأثرا بالدرس اللغوي المعاصر لإعطاء نفس جديد للمألوف من التفسير ، وأهمية الإشكالية تكمن في الوقوف على تأثير تلك الأبعاد على النص القرآني. المنهجية المتبعة (تناسب مع الموضوع، منطقية في العرض) بدأ البحث بتناول البعد التداولي و ممارساته لدى الطاهر بن عاشور ، و نظرت التجديدية ذات الرؤية المقصدية للخطاب القرآني ، فالطاهر بن عاشور أظهر مقدرة على احكام القبضة على المعنى بواسطة أدوات فاعلة ، ثم الانتقال إلى نظرية الأفعال الكلامية في الدرس العربي القديم من خلال جهود القدامى الذين كانت دراساتهم ذات طابع تطبيقي و ممارساتي ثم في الدرس الغربي المعاصر كدراسة تأصيلية لهذه النظرية ، لينتقل البحث لدراسة تجليات تلك النظرية من خلال معالجات ابن عاشور ، ثم الانتقال إلى بقية الأبعاد التداولية (الحجاج ، الاستلزام الحواري، الإشارات) بدأ من ارهاصات لها لدى القدامى إلى دراستها تأصيلا و تفصيلا من خلال جهود الغربيين و قوفا على مدونة البحث و الكفاءة التي أظهرها صاحب المدونة الذي زواج بين التأثير بالمدرستين القديمة و الحديثة ، أي قبل الدرس اللغوي و بعده . فكان هناك تسلسل في عرض الموضوع ودراسته. 3. المصادر والمراجع (قديمة، حديثة، نقد الطالب لها) جاءت المصادر والمراجع متنوعة بين القديم والحديث والمعاصر، وكان اختيارها متوافق والموضوع المستهدف إلى حد كبير والاعتماد على تلك المراجع والمصادر كان كثيفا وتوظيفها أيضا موفق، ما جعلها تخدم الجانب العلمي للدراسة.

كلمات مفتاحية:

الحجاج؛ الخطاب؛ الإشارات؛ المقام؛ ابن عاشور؛ الأفعال الكلامية ؛ الاستلزام الحواري.

نوقشت يوم: 2023/12/03

بتقدير: مشرف جدا